

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

كلية الآداب والعلوم الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر

- قسم التاريخ -

للعلوم الإسلامية - قسنطينة

السنة الدراسية: 1420 - 1421 هـ / 1999 - 2000 م

وسائل انتشار الإسلام في السودان الأوسط

من القرن

الأول إلى الخامس الهجريين / السابع الحادي عشر الميلادين

رسالة

مقدمة لنيل شهادة الماجستير في

شعبة التاريخ والحضارة الإسلامية

من الطالب : خالدي مسعود

الجامعة الأصلية

الرتبة

الإسم واللقب

أمام اللجنة

جامعة باتنة

أستاذ

1/ مسعود مزهودي

الرئيس

جامعة قسنطينة

أستاذ

2/ اسماعيل سامعي

المقرر

جامعة الجزائر

أستاذ

3/ عبد العزيز لعرج

/

جامعة قسنطينة

أستاذة

4/ بوبية مجاني

المشرفة

نوقشت يوم 11 / جوان 2000 م



عناصر البحث

الصفحة

5	- المقدمة.
23	أ- التمهيد
24	أ- تعريف السودان الأوسط
25	ب- الدراسة الطبيعية للسودان الأوسط
	1- المظاهر التضاريسية:
	- المرتفعات.
	- الأحواض والأنهار.
27	2- المناخ
29	3- النباتات
	ج- عناصر السكان في السودان الأوسط
36	الفصل الأول: أوضاع السودان الأوسط قبل الإسلام.
37	أ- الوضع السياسي:
	- مملكة كانم.
38	- مملكة غانة.
41	- مملكة صنغاي.
43	ب- الوضع الاقتصادي:
	- الزراعة.
	- الصناعة.
	- التجارة.
46	ج- الوضع الاجتماعي والثقافي
47	1- الوضع الاجتماعي
48	2- المعتقدات الدينية

50 الفصل الثاني: انتشار الإسلام بواسطة الفتوحات الإسلامية.

أ- الغزوات الإسلامية لبلاد السودان خلال القرن الأول الهجري/السابع الميلادي.

51 - حملة عقبة بن نافع لبلاد كوار.

54 - حملة موسى بن نصير في السوس الأقصى.

55 - غزوة المرابطيين لبلاد السودان خلال القرن الخامس الهجري/الحادي عشر م.

57 الفصل الثالث: انتشار الإسلام بواسطة الهجرات العربية.

58 - تطور علاقات العرب مع بلاد السودان بين القرنين الأول والخامس هـ

59 1 - أسباب الهجرات العربية إلى بلاد السودان.

60 2- هجرة بني أدية إلى بلاد السودان.

62 3- هجرة التجار العرب ودورهم في نشر الإسلام.

64 4- قضية النسب العربي للأسر الحاكمة في السودان الأوسط:

66 أ. نسب ملوك كانم لسيف بن ذي يزن.

68 ب. نسب ملوك صنغاي لزا الايمن.

70 ج. نسب الهوسا إلى بابا جيد أو أبو يزيد البغدادي.

72 د. نسب ملوك كانم لعثمان بن عفان.

73 هـ- الأثر الثقافي للهجرات العربية على السودان الأوسط.

74 الفصل الرابع: انتشار الإسلام بواسطة الهجرات البربرية.

75 أ- عوامل الهجرات البربرية إلى السودان الأوسط.

76 ب- قبائل زناتة.

78 ج- قبائل صنووجة:

78 - امتونة.

81 - مسوفة.

81 - جدالة.

82 - لمطة.

84 - مواردة.

85 - الطوارق.

د- الأثر الثقافي للهجرات البربرية على السودان الأوسط.

الفصل الخامس: انتشار الإسلام بواسطة التجارة.

أ- تطور العلاقات التجارية بين المغرب والسودان الأوسط من القرن الأول إلى الخامس الهجري/ السابع إلى الحادي عشر الميلادي.

1 - العلاقات التجارية في عهد الدولة الرستمية

أ- تيهرت

ب - جبل نفوسة

2- العلاقات التجارية في عهد الفاطميين والزيريين.

3- العلاقات التجارية في عهد المرابطين.

ب- دور القبائل البربرية في تنظيم قوافل تجارة الصحراء.

ج- أهم الطرق والمراكز التجارية:

1- الطرق التجارية.

2- المراكز التجارية.

د- أساليب التعامل.

هـ- السلع المتبادلة:

- صادرات المغرب.

- واردات المغرب.

و- المقاييس والمكاييل والموازين.

ن- صفات التاجر المسلم.

ي- الأثر الثقافي للتجارة على بلاد السودان الأوسط.

الفصل السادس: انتشار الإسلام بواسطة الفقهاء والمراكز الثقافية.

أ- انتشار الإسلام بواسطة العلماء والفقهاء:

1- عوامل نجاح العلماء في نشر الإسلام ببلاد السودان.

2- دور فقهاء المالكية في نشر الإسلام.

3- دور فقهاء الإباضية في نشر الإسلام.

ب- انتشار الإسلام بواسطة المراكز الثقافية: -

1- مراكز الشمال: - القاهرة.

- مراكز جبل نفوسة

- القيروان.

- تيهرت.

- ورجلان.

- فاس 160 -مراكش.

2- مراكز الجنوب: - غانة.

- غاو او كوكو.

- جني.

- تمبكتو.

-الربط ودورها في نشر الإسلام

ج- الأثر الثقافي للعلماء والمراكز الثقافية على بلاد السودان.

الفصل السابع: انتشار الإسلام بواسطة الحج.

1- أهمية الحج الأهل السودان الأوسط.

2- طرق قوافل الحجاج.

3- حج العامة والفقهاء.

4- حج الملوك.

- حج ملوك مملكة كانم.

- حج ملوك مالي و أثره في نشر الإسلام ببلاد السودان الأوسط.

- الخاتمة.

- الملاحق

- الجداول والخرائط.

- الفهارس (الأعلام-الأماكن والبلدان- القبائل)

- قائمة المصادر والمراجع.

لم تحظ الدراسات الإفريقية (1) باهتمام المؤرخين والباحثين، وتعتبر منطقة وسط إفريقيا (السودان الأوسط) من الأقاليم غير المعروفة تاريخيا رغم أنها تشكل جزءا هاما من العالم الإسلامي، ولها صلات قوية مع بلدان المغرب، وتمثل العنصر الاستراتيجي للوطن العربي (2)، ويتناول هذا البحث بالدراسة وسائل انتشار الإسلام في السودان الأوسط بين القرنين الأول والخامس الهجريين الموافق للسابع والحاد عشر الميلاديين.

التعريف بالبحث:

ويقصد بالسودان الأوسط هي المنطقة الممتدة من الضفاف الشرقية من نهر النيجر الأوسط حتى إقليم وداي ودارفور ودارفور وداي. الجزء الغربي من السودان النيلي ويتوسط هذا إقليم بحيرة تشاد (3) وتضم حاليا البلدان التالية: تشاد والنيجر ومالي وجمهورية إفريقيا الوسطى، وشمال نيجيريا وشمال الكاميرون، بالإضافة إلى الأجزاء الجنوبية للصحراء الكبرى. وتزامن بداية فترة البحث مع أول اتصال للمسلمين بالسودان الأوسط ويتمثل في حملة عقبة بن نافع على مطقة كوار (4) سنة 46 هـ/666م (4) ورغم أن أثرها كان ضعيفا في نشر الإسلام إلا أنها فتحت الطريق أمام الدعاة والتجار للذهاب إلى السودان والقيام بنشر الدعوة الإسلامية. أما القرن الخامس الهجري /الحادي عشر ميلادي، تميز بتعميم الإسلام بين سكان المنطقة، وظهور دول إسلامية قوية أهمها مملكة كانم حول بحيرة تشاد (5)، وبرزت في نفس الفترة قوة سياسية وعسكرية ببلاد المغرب تمثلت في دولة المرابطيين (6)، وهي الدولة التي سيطرت على مداخل الصحراء، ووسعت نفوذها حتى نهر النيجر ببلاد السودان (2) فاستقرت الأوضاع السياسية في الصحراء وازداد التبادل التجاري، كما ترسخت مبادئ العقيدة الإسلامية. إن تسرب الإسلام خلال هذه الفترة، كان بطريقة بطيئة وسليمة. وكان يغلب على وسائل انتشاره الطابع السلمي، فدخل كثير من العرب للسودان الأوسط، كحجار أو دعاة. فممنهم من كان من العراق واليمن ومصر فحاصلوا أهلها وجالسوهم وتقلدوا حتى مناصب ^{داخل} الدول السودانية (7) قبل إسلامها، وممكنهم هذا الوضع من نشر الدعوة الإسلامية دون صعوبات كبيرة. كما تنقل إلى بلاد السودان الأوسط جماعات بربرية خاصة بعد إسلامها خلال القرن الثاني للهجرة. وممن العوامل التي سهلت هذا التنقل هو

1- اسحق إبراهيم ذباب: لمحات من التاريخ الإفريقي، الخديت - دار المربع - الرباط - 1401 هـ/1971م - ص 24.

2- حسين مؤنس: أطلس تاريخ الإسلام - ط 1 - القاهرة - 1396 هـ/1986م - ص 378.

3- كسكار: ناحية واسعة في جنوب فزان بها مدن كثيرة ومياه جارئة ونخل كثير [الحمري: معجم البلدان دار الكتب العلمية - بيروت - ج 7 - ص 210].

4- أبو محمد عبد الله بن عبد الحكم (ت 257 هـ/871م): فتوح مصر والمغرب - تحقيق عبد المعص عامر - القاهرة - 1961م - ص 60-63.

5- علي إبراهيم طرхан: إمبراطورية برنسو الإسلامية - مطابع أغنية المصرية العامة - 1975م - ص 53.

6- عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب الكبير - ج 2 - دار النهضة العربية - بيروت - 1971م - ص 690.

7- أبو عبيد البكري: المغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب - الجزائر - 1958 - ص 174.

سيطرة هذه الجماعات من صنهاجة وزناتة وهوارة على الصحراء وطرقها وإشرافهم على تنظيم التجارة، وقد وردت في كتب السير الإباضية تنقل عدد كبير من التجار والدعاة (1) من جبل نفوسة وورجلان وتيهرت إلى مدن السودان الأوسط ومساهماتهم في نشر الدعوة الإسلامية (2) كما كان للتجار المسلمين سواء كانوا من العرب أو البربر الفضل الكبير في نشر الإسلام. وكان محور تيهرت - غاساو، ومحور جبل نفوسة، فزان، كوار ثم كاتم من أهم الطرق التي سلكوها للذهاب إلى السودان (3) الأوسط بين القرنين الأول والثالث الهجريين/السابع والتاسع الميلاديين. وهي الفترة التي سيطرت فيها الإمارات الخارجية على تجارة الصحراء منها لإمارة الرستمية بتيهرت والإمارة المدرارية بسجلماسة. وخلال القرن الرابع الهجري أعطى الفاطميون أهمية للتجارة بهدف السيطرة على مناجم الملح والذهب ببلاد السودان (4). فتوسعت المراكز التجارية وأصبحت تضم جاليات إسلامية كبيرة في هذه الفترة مما سهل نشر الدعوة الإسلامية. أما خلال القرن الخامس الهجري ظهرت دولة المرابطين وتميز عهدها بزوال الإمارات الإباضية وسيطرة المذهب المالكي على المغرب (5). وشهد عهدها استقرارا سياسيا ساعد على تنشيط التجارة أكثر بين الشمال والجنوب خاصة بالطريق الصحراوي الغربي. وبرزت مدينتا سجلماسة واودغست في هذه الفترة وأصبحتا من المراكز التجارية والثقافية التي ينطلق منها الدعاة والتجار نحو بلاد السودان. (6) ومن وسائل انتشار الإسلام التي تناولها هذا البحث هجرة العلماء إلى بلاد السودان بالإضافة إلى دور المراكز الثقافية في تكوين الطلبة والعلماء. وكانت تيهرت ومدن جبل نفوسة (جسادو وشروس) وورجلان والقاهرة وفاس ومراكش... من المراكز التي كان يأتيها الطلبة من كل مكان ومنهم طلبة السودان، كما كانت تجتمعا للعلماء ونقطة انطلاق لحسم للدعوة الإسلامية. (7)

وذكرت الحج كأحد الوسائل التي انتشر بواسطتها الإسلام ولقد لعب دورا كبيرا في توطيد العلاقات السياسية والثقافية بين دول السودان الأوسط من جهة ودول المشرق والمغرب من جهة أخرى، وكانت قوافل الحجيج تترك أثرها على المناطق التي تمر بها، منها مناطق القبائل الوثنية. (8) ويزيد تأثير هذه القوافل أهمية

- 1- كتب السير الإباضية: المصادر التاريخية - كتبها علماء من الإباضية منهم أبو زكريا، الوسياني، الدرجي والنماحي، تعرضت لتتحقيقات اناضية من تبار وفناء.
- 2- يمي بن أبي بكر أبي زكريا (ت 471 هـ/1078م): سم الالة واحبارهم - المكتبة الوطنية - الجزائر - تحقيق اسماعيل العربي - ص 122.
- 3- ابن الصمغ: سم الالة الرستميين - تحقيق محمد ماضي وارايم فحار - طبعة دارالغرب الإسلامي - الجزائر - 1986 - ص 12.
- 4- أبو القاسم محمد ابن حرقل (ت 367 هـ/978م): صورة الارس - ليدن 1938 ص 61
- عبدالعزيز سالم: تاريخ المغرب الكبير - ج 2 - ص 632
- 5- حسن احمد عمرد: السرحلة الافريقية في المريخ المرابطون - ص 112 [أخلة التاريخية المصرية - القاهرة]
- 6- أبو عبيد البكري: المغرب - ص 146، 1، 163.
- باقرت الحموي (ت 1296/694م) - معجم البلدان - ج 1 - ص 277 - مصر 1906.
- 7 - المصدر نفسه: ج 5 - ص 176.
- 8- مزهود مسعودي: جبل نفوسة من الفتح الإسلامي إلى هجرة بني هلال - جامعة فلسطينية - رسالة دكتوراه - ص 215.

لما يقودها سلاطين الدول انفسهم. (١)

إشكالية البحث: إن الإشكالية التي يطرحها البحث تتمثل في انتشار الإسلام بطريقة بطيئة وسلمية، وقام بنشره الأفراد والجماعات من العرب والبربر المسلمين الذين هاجروا الى بلاد السودان، منهم الدعاءة والتجار والعلماء والقبائل. وكان ذلك لأسباب طبيعية واقتصادية وسياسية ودينية. وهذا عبر فترة زمنية طويلة وبسبب إشراف الدولة كما يحدث في المنتح.

وعلى هذا الأساس كان انتشاره يسوده الغموض وغير واضح، والسؤال المطروح: من هؤلاء الأفراد والجماعات من تجار وعلماء الذين تنقلوا الى بلاد السودان وقاموا بنشر الإسلام، وما هي القبائل العربية والبربرية التي هاجرت الى هناك؟ وماهي الطرق التي سلكوها؟ وكيف استقبلهم سكان السودان؟ ولماذا تقبلوا مبادئ الدين الإسلامي؟ هل لتناسبها مع عقليهم وبعض عاداتهم أم لما تحمله من قيم أخلاقية كالعدل وعدم الغش والمساواة...؟ وما هي المناطق التي أنتشر بها الإسلام قبل غيرها ولماذا؟

للإجابة إلى هذه الأسئلة سأوضح في هذه الدراسة كيفية انتشار الإسلام بالشرق السلمي منذ القرن الأول الهجري ببلاد السودان الأوسط، وهي منطقة غير معروفة تاريخيا والدراسات حولها قليلة. كما سأتناول هذه الطرق أو الوسائل بالتحليل وأعرض للجماعات والأفراد من تجار وفقهاء وقبائل وغيرهم الذين تنقلوا لبلاد السودان وقاموا بنشر الدعوة الإسلامية هناك.

١- احمد محمد كاف: الجهاد الإسلامي في غرب إفريقيا- ج7- ط١- الزهراء للإعلام العربي- القاهرة- ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧- ص١٤

هذه لمحة عامة عن محتوى البحث والإشكالية التي يطرحها، أما المنهج الذي اعتمدته فهو المنهج التاريخي الوصفي . وهو المنهج الذي يسمح لنا بمعرفة الظواهر الطبيعية والاجتماعية السائدة خلال الفترة المحددة، (1) فعن طريق الرحالة والجغرافيين العرب استقيت معلومات وافية عن الطرق التجارية والمراكز الموجودة غيرها في الصحراء وبلاد السودان، والهدف من ذلك هو الوصول الى بعض الحقائق التاريخية منها حدوث اتصال بين اهل المغرب وسكان السودان الاوسط منذ القرن الاول الهجري . وبفضل هذا الاتصال انتشر الاسلام بهذه المناطق وبالطرق السلمية.

وفي نفس الوقت اعتمدت على المنهج الاستدلالي من اجل الوصول الى نتائج هامة في هذا البحث . وقد استخدمته في بعض الفصول منها الهجرات العربية الى بلاد السودان والتي كانت تتميز بالغموض، وتكثر حولها الروايات وتشوبها في بعض الاحيان الخرافات. ومن خلال هذه الروايات استنتجت ان الهجرات العربية كانت حنيقة تاريخية ولكنها غير محددة وواضحة. (2)

عناصر البحث:

وقد قسمت البحث إلى سبعة فصول بالإضافة إلى مقدمة وتمهيد وخاتمة

سالمقدمة : تناولت فيها التعريف بموضوع البحث والإشكالية التي يطرحها والمنهج المتبع في كتابته وملخص لأهم محتويات عناصره . كما تعرضت لأهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها وشرحت كيفية الاستفادة منها

- التمهيد: عرفت بالسودان الاوسط وتركيبته الاجتماعية الحالية، والهدف من هذه الدراسة التمييز بين السودان الغربي والاوسط، والتعريف بالدول والشعوب التي تضمها المنطقة في وقتنا الحاضر.

- الفصل الاول: تعرضت فيه لأوضاع السودان قبل الاسلام سياسيا واجتماعيا واقتصاديا ودينيا منذ القرن الاول الميلادي حتى الثامن الميلادي، وهو التاريخ الذي بدأ يتسرب فيه الاسلام نحو السودان الاوسط. (3)

- الفصل الثاني: خصصته لانتشار الاسلام بواسطة الفتوحات الاسلامية. وتمثلت هذه الفتوحات في غزوة عقبة بن نافع (46هـ / 666م) لبلاد كوار وغزوة موسى بن نصير (77هـ / 717م) وحبيب بن ابي عبيدة لبلاد السوس الاقصى (616هـ / 746م) وهي منطقة قريبة من السودان والاستقرار بها. وكان لهذه الغزوات اثره في نشر الاسلام،

وتكمن اهميتها في فتح الطريق امام التجار والدعاة الى السودان ونشر الدعوة الاسلامية هناك. حيث كان القانحون يقومون ببناء المساجد في كل منتهى يدخلونها ويتركون فيها من يعلم مبادئ الاسلام. (4)

1 - غازي عناية: اعداد البحث العلمي - دار الازهار - باتنة - ط1 - 1985 - ص35.

2 - عبدالرحمان بدوي: منابع البحث العلمي - الكويت 1977 - ص95.

3 - ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب - ص60.

4 - بن عذاري المراكشي: البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب - ص14. تحقيق ج. م. كوان، ليلى بروفينسال، دار الثقافة، بيروت - لبنان - 1400/1418هـ.

- الفصل الثالث: تناولت فيه امجرات العربية التي حدثت بين القرنين الاول والخامس المجرين الموافق للقرنين الثامن والحادي عشر الميلاديين نحو بلاد السودان الاوسط. ومن اشهرها هجرة بني امية وبعض التجار العرب. (1) وللاستدلال على الوجود العربي خلال هذه الفترة في المنطقة اوردت قضية النسب للأسر الحاكمة في السودان الاوسط، فمنهم من يدعي النسب الى عثمان بن عفان أو لسيف بن ذي يزن (5) أو للصحابه رضوان الله تعالى عليهم. (2)

- الفصل الرابع: تعرضت فيه لانتشار الاسلام بواسطة المجرات البربرية وكان للقبائل الصنهاجية والزناية التي تسكن الصحراء دور كبير في ذلك (3)، ومن هذه القبائل لمتونة وجدالة و مسوفة ولمطة بالإضافة الى الطوارق وميلسة هواره. وتناولت في هذا العنصر العوامل التي ساعدت هذه القبائل على نشر الإسلام (4) ببلاد السودان، وسيطرهما الواسعة على الصحراء واشرافها على تنظيم تجارة القوافل وتأسيسها لا مرات ودول قوية ببلاد المغرب.

- الفصل الخامس: تحدثت فيه عن انتشار الاسلام بواسطة التجارة وهو فصل محوري في هذا البحث، ففضل التجارة تنقل آلاف الأشخاص الى بلاد السودان الاوسط وقاموا بنشر الدعوة الاسلامية هناك. ولتوضيح ذلك تعرضت للعلاقات التجارية التي كانت قائمة بين بلدان المغرب والسودان الاوسط، منذ عهد الدولة الرسمية (القرن الثاني المجرى) حتى قيام دولة المرابطين (القرن الخامس) ومن خلال هذه العلاقات ذكرت التجار الذين قاموا بنشر الدعوة الاسلامية وقد اوردت لنا كتب السير الاباضية كثيرا منهم، كما تعرضت للطرق والمراكز التجارية، وبينت صعوبة التنقل في الصحراء واساليب التعامل. واستنتجت ان الصحراء لم تكن حاجزا امام تنقل الاشخاص وان الاتصال المباشر بأهل السودان كان يسيرا، وتميز التجار المسلمين بالاخلاق الحسنة والتمسك بمبادئ الاسلام مثل الصدق، وعدم الغش، ادى الى انتشار الاسلام بطريقة سلمية ودون صعوبة. (5)

- الفصل السادس: اوردت فيه انتشار الاسلام بواسطة المراكز الثقافية وتناولت بالدراسة بعض المراكز التي كان لها تأثير في انتشار الاسلام بالمنطقة منها تيهرت، وورجلان، ومدن جبل نفوسة مثل جادو. واشرت الى بعض الطلاب والعلماء الذين درسوا في هذه المراكز ثم رحلوا الى بلاد السودان وقاموا بنشر الدعوة الإسلامية (6)، وتناولت بالدراسة بعض الفقهاء الذين تقربوا من الملوك وأثروا فيهم وادخلوهم في الإسلام ومن فقهاء المالكية الذين تغلوا الى بلاد السودان ونشروا الاسلام عبدالله بن ياسين مؤسس دولة المرابطين (7)

- 1 - ابو بكر عبدالله بن ابي عبدالله المالكي: رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وافريقية - ج1 - راجعه محمد القروي - دار الغرب - بيروت - لبنان - ص 97.
- 2 - حسن احمد محمود: الاسلام والثقافة العربية في افريقية - ج1 - دار النهضة المصرية - 1964 - ص 60.
- 3 - حسن احمد محمود: المرحلة الافريقية في تاريخ المرابطين - ص 112.
- 4 - عبدالرحمان ابن خلدون: العمر وديوان المنندا والحر - ج6 - بيروت - 1971 - ص 80، 79.
- 5 - حسن ابراهيم حسن: انتشار الاسلام جنوب الصحراء - ط2 - مكتبة النهضة المصرية - 1964 - ص 73.
- 6 - علي يحيى معمر: الاباضية في موكم التاريخ - المطبعة العربية - غرداية - 1985 - ج1 - ص 160.
- 7 - محمد بن القاسم بن ابي دينار: المؤس في أخبار افريقيا وتونس - ط1 - تونس سنة 1286 هـ - ص 101.
- لسان الدين ابن الخطيب: أعمال الأعمال - تحقيق مختار العبادي، محمد ابراهيم - الدار البيضاء - 1964 - ص 227.

كما تنقل فقهاء الاباضية الى المنطقة خاصة من جبل نفوسة، ووردت اسماؤهم بملوك السودان وتمكنوا من تحويلهم للإسلام.

في كتاب الدرر الباهية (1) تاريخ لؤي

- الفصل السابع: عاجلت في نشر الاسلام بواسطة الحج، وبقيت من خلالها ألبية المعبر، بلاد السودان وتأثير قوافل

الحجيج على المناطق التي تمر بها، ومساهمتها في نشر الاسلام بين الوثنية التي تسكن بعيدا عن المدن، واوردت امثلة عن الملوك الذين قاموا بعملية الحج (2) وتحدثت عن اهمية هذا الغرض بالنسبة لهم ولعامة الناس، ومن اشهر مواكب الحج، حجة اومي اوحومي عبدالجليل سنة 490 هـ/1093م وحجة الماي "دونامة بن اوم".

الخاتمة : تناولت فيها النتائج المتوصل إليها في البحث وأشارت إلى الطرق السلمية التي انتشر بواسطتها الاسلام في بلاد

السودان بسبب الاتصالات الاقتصادية والثقافية وحتى السياسية بين دول المغرب وسكان المنطقة

-
- 1- ابن العباس احمد بن سعيد الدرجمي (ت 610 هـ/1214م): طبقات مشايخ المغرب - ج 1 - تحقيق ابراهيم ملاي - مطبعة الممت - قسطنطينة - ج 2 ص 202.
 - علي يحيى معمر: المرجع السابق - ج 1 - ص 119.
 - 2- عبدالرحمان بن عبدالله السعدي (ت 1065 هـ/1655م - تاريخ السودان - باريس 1898 - ص 7.
 - ابن خلدون : المعر - ج 6 - ص 201.

اعتمدت في إنجاز هذا البحث على مجموعة من المصادر الأساسية ومن ضمنها كتب التاريخ الإسلامي العام. وكانت الاستفادة منها حول تجارة الصحراء والمراكز التجارية، وانتشار الإسلام داخل بلاد السودان الأوسط، ومن أهمها:

- ابن الصغير: (ت ق 3 هـ / 9 م) : يعتبر مؤرخ الدولة الرستمية ومصدر هام لهذه الفترة أي القرن الثالث الهجري ، تعرض في كتابه سير الأئمة الرستميين إلى الأئمة الذين تعاقبوا على الحكم مع ذكر أعمالهم و سيرهم ، و تناول من خلال ذلك علاقة الرستميين ببلاد السودان الأوسط خاصة في عهد الإمام أفلح بن عبد الوهاب . (1)

-- ابن عبد الحكم (ابو عبدالله محمد عبدالله) (ت 214 هـ / 829 م) تعرض في كتابه "فتوح مصر و المغرب" (2) و تناول بالتفصيل حملة عقبة بن نافع لمنطقة كوار سنة 46 هـ / 666 م.

- ابن عذاري المراكشي (ت 712 هـ / 1312 م) تعرض في كتابه البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب لتاريخ دولة المرابطين و دورها في نشر الإسلام في بلاد السودان ، "كَمَا تَعْرِضُ فِي الْفَصْلِ الْأَوَّلِ لِفَتْوحَاتِ عَقْبَةِ بْنِ نَافِعٍ وَمُوسَى بْنِ نَهْشٍ لِبِلَادِ السُّومِ الْأَقْصَى، وَلِعِلَّتَانِ سَلَاةً لِدَوْلَةِ أَزْزِيرِيَّةِ بِلَادِ السُّودَانِ." (3)

- ابن خلدون (عبد الرحمان بن محمد) (ت 809 هـ / 1406 م) تناول في كتابه الضحى "العبر وديوان المبتدأ والخبر"، في أجزائه 7، 6، 5، تجارة الصحراء وبلاد السودان والعلاقات التجارية والدبلوماسية والثقافية التي كانت تربط دول إفريقيا جنوب الصحراء بالعالم الإسلامي. كما تحدث عن البربر وأصولهم وأشرفهم على التجارة في الصحراء (4) ودورهم في نشر الإسلام ببلاد السودان .

1- ابن الصغير : أخبار الأئمة الرستميين ص 62 .

2- ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب - ص 60 - 63.

3- ابن عذاري المراكشي : البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب - ج 1 - ص 142، 146، 148.

4- عبد الرحمان ابن خلدون: العبر وديوان المبتدأ والخبر - ج 6 - ص 194، 205، 371 .

- يوري فال : المصادر الأعرابية في التاريخ الإفريقي - ص 191 - معهد البحوث والدراسات العربية - بغداد - 1401 هـ / 1985 م .

القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي) (ت 821 هـ / 1418 م) أورد في كتابه "صبح الأعشى في صناعة الإنشاء" تفاصيل عن العلاقات بين مصر في عهد المماليك و دولة برنو و تعرض لإنشاز الإسلام و المذهب المالكي بمملكة كانم . (1)

المقريري (تقي الدين أحمد بن علي ت 848 هـ / 1445 م) و هو مؤرخ المدن المصرية منها القاهرة و من أشهر كتبه "المواعظ و الاعتبار بذكر الخطط و الآثار" ذكر فيه مدرسة ابن رشيق التي ساهم في بنائها أهل كانم ، و كان يتردد عليها سكان السودان من أجل التعلم (2) . كما كان للمقريري كتاب آخر عنوانه "إعطاء الخفا" و هو كتاب تاريخي تعرض فيه لأهم الحوادث التي ميزت المغرب العربي في العهد الفاطمي و المرابطي .

- المغيلي: (محمد بن عبد الكريم بن محمد) (ت 901 هـ / 1504 م) أصله من تلمسان سكن مدينة توات ، و عبر الصحراء الكبرى و استقر ببلاد الهوسا . و لم تكن رحلته أخبارا أو كتابا للجغرافيا بل كان هدفها إعطاء نصائح و توصيات إسلامية لملوك السودان و منهم ملك صنغاي "الإسقي محمد" وفي هذا الإطار جاء مؤلفه أسئلة الإسقي و أجوبة المغيلي (3) " واستفدت منه حول مدى انتشار الإسلام بالسودان الاوسط بعد القرن الخامس الهجري.

- التنبكي (محمد كمت) (ت 925 هـ / 1519 م) يعتبر كتابه "تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجنوس و اكابر الناس" من أهم مصادر تاريخ مملكة "صنغاي" الإسلامية، وأشار فيه لدولة برنو و أفادني كثيرا حول انتشار الإسلام بالسودان الاوسط. (4)

1- أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي : صبح الأعشى في صناعة الإنشاء - دار الكتب المصرية ج 280 .

2- تقي الدين أحمد بن علي المقريري : المواعظ و الاعتبار بذكر الخطط و الآثار - القاهرة ج 2 ص 365 .

3- محمد بن عبد الكريم المغيلي : دراسة حول أسئلة الإسقي و أجوبة المغيلي - تحقيق عبد النادر زبادة الجزائر 1974 ص 8 و 9 .

4- محمد كمت التنبكي : تاريخ الفتاش في أخبار البلدان و الجنوس - نشره دولوفرس و هودام باريس 1913 ص .

- السعدي (عبد الرحمان بن عبدالله بن عمران) (ت 1065هـ / 1655 م) تناول في كتابه "تاريخ السودان" تاريخ الممالك السودانية وكيفية انتشار الاسلام بها منها مملكة "غانا" و "صنغاي" و "مالي". (1)

• كتب الرحلة والجغرافيا :

قام مجموعة من الرحالة المسلمين بالسفر الى افريقيا جنوب الصحراء بين القرنين الاول والخامس الهجريين، وسجلوا لنا مشاهداتهم وتعرضوا لمدن الاقليم وسكانه وتوسعوا في اعطاء تفاصيل عن النشاط التجاري والمسافات بين المراكز التجارية واعتمدوا على الروايات في كتبهم كما سمعوها من افواه التجار والمسافرين والحجاج الذين كانوا يترددون على بلاد السودان، واهم مصادر الرحلة التي اعتمدت عليها في انجاز هذا البحث .

-اليعقوبي (أحمد بن يعقوب بن واضح) (ت 284 هـ) من اشهر الجغرافيين العرب ، تضمن كتابه " البلدان " و صفا دقيقا للطرق التي سلكتها القوافل عبر الصحراء و التبادل التجاري ، حيث أعطى تفاصيل عن "زويلة" و " غاو " و " غانا " و مناجم الذهب و سجل ماسة ، كما تعرض لانتشار الإسلام في المناطق الصحراوية و المناطق المتاخمة لها و لذلك يعتبر مؤلفه مصدرا هاما في الفترة بين القرنين الاول و الثاني الهجري أما في كتابه " التاريخ " فقد تحدث فيه عن سكان السودان و ميزهم من الأجناس الأخرى في العالم . (4)

1- عبد الرحمان بن عبدالله السعدي (ت 1065هـ / 1655 م): مروج من اهل السودان كان شاهدا على سقوط مملكة صنغاي في اواخر القرن السادس عشر .

2- اسماعيل العربي: تاريخ الرحلة والاكتشاف في البر والبحر - المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر - 1980 - ص 168، 169.

3- مصادر الرحلة: وهي الكتب الجغرافية التي تعرضت لتجارة الصحراء واعطت وصفا دقيقا للطرق التي كان يسلكها التجار ومعظمها كتبت تحت اسم "الممالك والمسالك" [عبد الدين موسى: انتشار الاسلام في غرب افريقيا- ص 46].

4- بوروي قال: المصادر العربية للتاريخ الافريقي - ص 198.

- عبدالعزيز سالم: المغرب الكبر - ج 2 - ص 111، 113، 114.

- السعدي (عبد الرحمان بن عبدالله بن عمران) (ت 1065هـ / 1655 م) تناول في كتابه "تاريخ السودان" تاريخ الممالك السودانية وكيفية انتشار الاسلام بها منها مملكة "غانا" و "صنغاي" و "مالي". (1)

• كتب الرحلة والجغرافيا :

قام مجموعة من الرحالة المسلمين بالسفر الى افريقيا جنوب الصحراء بين القرنين الاول والخامس الهجريين، وسجلوا لنا مشاهداتهم وتعرضوا لمدن الاقليم وسكانه وتوسعوا في اعطاء تفصيلات عن النشاط التجاري والمسافات بين المراكز التجارية واعتمدوا على الروايات في كتبهم كما سمعوها من افواه التجار والمسافرين والحجاج الذين كانوا يترددون على بلاد السودان، واهم مصادر الرحلة التي اعتمدت عليها في انجاز هذا البحث .

-اليعقوبي (أحمد بن يعقوب بن واضح) (ت 284 هـ) من اشهر الجغرافيين العرب ، تضمن كتابه " البلدان " و صفا دقيقا للطرق التي سلكتها القوافل عبر الصحراء و التبادل التجاري ، حيث أعطى تفصيلات عن "زويلة" و " غاو " و " غانا " و مناجم الذهب و سجل ماسة ، كما تعرض لانتشار الإسلام في المناطق الصحراوية و المناطق المتاخمة لها و لذلك يعتبر مؤلفه مصدرا هاما في الفترة بين القرنين الاول و الثاني الهجري أما في كتابه " التاريخ " فقد تحدث فيه عن سكان السودان و ميزهم من الأجناس الأخرى في العالم . (4)

1- عبد الرحمان بن عبدالله السعدي (ت 1065هـ / 1655م: مورخ من اهل السودان كان شاهدا على سقوط مملكة صغاي في اواخر القرن السادس عشر .

2- اجتماعي العربي: تاريخ الرحلة والاستكشاف في البر والبحر - المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر - 1980 - ص 168، 169.

3- مصادر الرحلة: وهي الكتب الجغرافية التي تعرضت لتجارة الصحراء واعطت وصفا دقيقا للطرق التي كان يسلكها التجار ومعظمها كانت تحمل اسم "الممالك والمسالك" [عبد الدين موسى: انتشار الاسلام في غرب افريقيا- ص 46].

4- بوري فال: المصادر العربية للتاريخ الافريقي - ص 198.

- عبدالعزيز سالم: المغرب الكبير - ج 2 - ص 111، 113، 114.

المقديسي (أبو عبد الله بن أبي بكر) (ت 488 هـ / 998 م) قام برحلات طويلة زار خلالها بلداناً كثيرة خاصة الإسلامية منها. دون هذه الرحلات اسمه "أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم" ومن المناطق التي تعرض لها منطقة السودان الأوسط. وتمتاز مشاهدته بالدقة. (1)

- البكري (أبو عبيد بن عبد العزيز) (ت 468 هـ / 1094 م) أصله من الأندلس، تقلد منصب وزير دولة "الماريا الأندلسية" ومعروف بكتابه "المسالك والممالك" خصص جزءاً كبيراً منه للمغرب وبلاد السودان أطلق عليه اسم "المغرب في ذكر بلاد أفريقيا والمغرب" ألفه سنة 460 هـ / 1068 م، أعطانا منه وصفاً دقيقاً للصحراء والبلاد المتاخمة لها، وتحدث عن العلاقات العربية الأفريقية في عصره. (2)

ووصف الطرق وأهم القوافل التجارية عبر الصحراء الموجودة بين المغرب ومصر من جهة وبلاد السودان من جهة أخرى، وسرد معلومات حول أصل التجار ونشاطهم والسكان، منهم البربر مبرزاً الدور الذي لعبوه في تنشيط المبادلات التجارية وتنظيمها. كما تحدث عن بلاد السودان ومدنها الشهيرة والعجائب التي تحويها والمعتقدات وتقاليدها وسكانها وأخذ البكري معلوماته من مؤلفات ممن سبقوه منهم "المهلب" (285 هـ / 899 م).

وتعرض لسلام ملوك السودان منهم ملك مالي ولهذا فمعلوماته هامة جداً في البحث لأننا ترجع إلى القرن الثالث الهجري رغم أنه كتبها خلال القرن الخامس الهجري .

- الإدريسي (أبو عبد الله محمد) ت 560 هـ / 1153 م : زار بلداناً عديدة منها الأندلس ومصر والمغرب ووصل إلى الصحراء وألف كتابه نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للملك النورمندي ملك صقلية روجر الثاني (3).

- محمد بن أحمد المقديسي : أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم - طبعه ديفريه - ليدن 190 ص 37 .

2- عبد العزيز سالم : مناهج البحث في التاريخ الإسلامي والآثار - الإسكندرية ص 186 .

3 - أبو عبد الله الشريف الإدريسي : القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس - مقيس من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق - ديوان المخطوطات الجامعية الجزائر ص 10 .

- أحمد شلي مرسوعة التاريخ الإسلامي ج 6 ص 133 .

و هو كتاب يزخر بالمعلومات الجغرافية عن البلاد الإسلامية منها بلاد السودان . تعرض فيه للقوافل التجارية و المدن التي تقطعها ، والمسافات بين هذه المدن كما أعطانا و صفا عن المظاهر الطبيعية منها الأنهار (النيجر و السنغال) و ذكر السلع المتبادلة . و يبين لنا من خلال كتابه هذا العلاقات التجارية المتينة بين المغرب وبلاد السودان .

- زكريا بن محمد القزويني (588 هـ / 1192) من كتبه آثار البلاد و أخبار العباد و هو كتاب جغرافي يدخل ضمن كتب الخطوط (1) ، تعرض فيه لعدد من مدن بلاد السودان منها غانا و مدن الصحراء الكبرى مثل زويلة و غدامس .

- أبو حامد الغرناطي (أبو عبد الله بن عبد الرحيم) (ت 560 هـ / 1170 م) و لد بغرناطة سنة 473 هـ و رحل إلى الإسكندرية وزار " الشام " و " بغداد " و " صقلية " ألف كتابه في الموصل سنة 1170 م باسم " تحفة الألباب و نخبه الإعجاب " تعرض فيه لتجارة الصحراء و مسالكها ، و السلع المتبادلة بين بلاد السودان و المغرب . (2)

- ابن سعيد (أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي) (قتل 683 هـ / 1284 م) رحالة أندلسي زار المشرق و مصر الفسطاط و تونس و لم يرحل إلى بلاد السودان بل أخذ معلوماته من المنطقة من كتب الجغرافيا ، و تعرض لدولة " كانم " و " غانا " (3)

- ياقوت الحموي (شهاب الدين أبو عبد الله) (ت 662 هـ / 1264 م) زار عدة بلدان منها مصر و الشام و لم يرحل إلى بلاد السودان ، ولكنه اعتمد في معجمه على النقل من كتب الجغرافيا العربية و أشهر من نقل عنهم " المهلب " الذي عاش خلال القرن الثالث الهجري (ت 285 هـ) .

1- زكريا بن أحمد القزويني : آثار البلاد و أخبار العباد - دار بيروت للطباعة و النشر 1399 هـ / 1979 م ص 24 ، 42 .

2- أبو حامد الغرناطي : تحفة الألباب و نخبه الإعجاب بباريس 1925 ص 41 .

3- أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد : كتاب الجغرافيا تحقيق اسماعيل العربي بيروت 1970 ص 93 .

- نقولا زيادة : الجغرافية و الرحلات في العرب - دار الكتاب اللبناني - بيروت 1962 .

وتناول كتابه المعروف بـ "معجم البلدان" المدن والاقاليم والمصطلحات الجغرافية المستعملة في ذلك الوقت مثل البريد والفرسخ وقد اخذت معلوماته ونسبة عن تاريخ بعض المدن والاقاليم داخل بلاد السودان منها "كانم" و "غانسا". (1)

- ابن فضل الله العمري (شهاب الدين) (ت 742 هـ / 1341 م): عاش بالقاهرة وفد اليها من بلده الاصلي سوريا، واشتغل بوظيفة لدى دولة المماليك مكلف بالمراسلات للسلطان. ومن تأليفه كتاب "مسلك الابصار في ممالك الامصار"، تعرض فيه للعلاقات الدبلوماسية بين مصر وممالك السودان منها مالي وبرنو، وكانم. (2) وتحدث فيه عن كيفية استغلال مناجم الذهب في بلاد السودان.

- ابن بطوطة (ابو عبد الله بن محمد التواتي) (ت 779 هـ / 1377 م) هو اعظم الرحالة العرب، كتب تفصيلات عن مشاهداته خلال الرحلات التي قام بها. وجاب خلالها العالم لمدة ثلاثين عاما. وزار الهند والصين وبلاد الفرنج والقوقاز. اوفده السلطان المريني أبو عنان (750 - 758 هـ / 1349 - 1358 م) في سفارة الى بلاد السودان الغربي سنة 753 هـ، دامت سنة كاملة، والف ابن بطوطة كتابه "تحفة النظائر في غرائب الامصار وعجائب الاسفار" بعد عودته وبإشارة من السلطان المريني، تناول فيه رحلته المشهورة الى بلاد السودان. ومما جاء فيها انه اجتاز الصحراء الكبرى، ووصل الى حوض النيجر، واتصل بسلطان مالي، ودون بالتفصيل حجه واشهر ملوكها هو "منسي موسى" (740 هـ / 1324 م) (3). وكتب عن بعض العادات لاهل السودان، وصفاتهم، وملابسهم، ومعيشتهم.

وكانت معلوماته عبارة عن تقرير صحفي، يهدف من ورائها لاخذ فكرة عن مدى تمسك اهل السودان بالاسلام، ومدى نفوذ الملوك الحاكمين من سكانها. وهذا ما يحتاجه السلطان المريني، والملاحظ ان ابن بطوطة فقد اوراقه وكتب رحلته باعتماده على الذاكرة، ومن هنا تميزت بعض المعلومات بالخلط وعدم الدقة. (4)

1- يافوت الحموي : معجم البلدان - تحقيق أنور الجندى دار الكتاب اللبناني ج 1 ص 277 ، ج 4 ص 263.

2- شهاب الدين بن فضل الله العمري : مسالك الأبصار في ممالك الامصار - القاهرة 1964 ص 12 ، 43 .

3- أبو عبد الله محمد بن بطوطة : رحلة ابن بطوطة دار بيروت للطباعة 1400 هـ / 1980 ص 690 .

4- أحمد شلي : مرسعة التاريخ الإسلامي - ج 6 - ص 37 .

- الوزان (حسن بن محمد) المعروف بليو الإفريقي (ت 958 هـ / 1552م) من أشهر دكتابه " وصف إفريقيا " وهو عبارة عن موسوعة تاريخية و جغرافية و ردت فيه دقيقة عن كثير معلومات من مدن المغرب و إفريقيا و جنوب الصحراء. و سجل معلوماته بعد الرحلات الثلاثة التي قام بها إلى بلاد السودان أشهرها رحلة إلى مملكة صنغاي سنة 917 هـ / 1511 م و أخرى إلى بلاد الهوسة و غار (1) كتب السير و الطبقات (2)

ومن المصادر الهامة التي اعتمدت عليها كتب السير خاصة الإباضية ، و التي ذكرت فيها رحلة عدد من التجار و الفقهاء إلى بلاد السودان ، و قيامهم بنشر الدعوة الإسلامية . ومن خلال تراجم الشخصيات التي تعرضت لها هذه المؤلفات ، استخلصت العلاقات التجارية و الثقافية التي كانت قائمة بين بلاد السودان و دول المغرب بين القرنين الثاني و الخامس الهجريين ، منها إمارتي " تيهرت " الرستمية ، و إمارة " سلجماسة " المدرارية و أهم كتب السير :

- أبو زكريا (يحيى بن أبي بكر) (379 هـ / 1078م) وردت فيه معلومات قيمة عن تاريخ الإباضية و وأئمتها و المحن التي لحقت بهم ، والدول التي أقاموها في بلاد المغرب و علاقاتها مع بلاد السودان ، و يحمل كتابه اسم " سر الأئمة و أخبارهم " . (3)

المالكي (أبو عبد الله) : (ت 453 هـ / 1060م) تضمن كتابه " رياض النفوس " طبقات علماء القيروان وإفريقية " أهم الشخصيات السياسية و الثقافية في بلاد المغرب مركزا على فقهاء المذهب المالكي . (4)
- الوسياني (أبو الربيع سامان عبد السلام) (ت 600 / 1200م) ترك لنا نسختين من كتابه و قام إسماعيل العربي بتحقيق النسخة الثانية ، (5) و هي التي اعتمدت عليها في البحث و تضمنت عددا من الفقهاء .

- 1- حسن الوزان : وصف القرية - ترجمة عن الفرنسية محمد حجي و محمد الأحضر - دار العرب الإسلامي - بيروت - 1983 ط 2 ج 2 - 165
- إسماعيل العربي : تاريخ الرحلة و الاستكشاف في البر والبحر ص 14 .
- 2- كتب السير : معظم المصادر التي تمتعت لعلماء أو فقهاء أو تجار الفترة المحددة في البحث ، من تأليف كتاب الإباضيين ، و لذلك فهي أغفلت هجرة علماء المالكية إلى بلاد السودان في هذه الفترة . (أحمد إلياس حسين : دور فقهاء الإباضية ص 429 .
- 3- أبو زكريا : سر الأئمة و أخبارهم - تحقيق إسماعيل العربي - الجزائر - ص
- 4- المالكي : رياض النفوس و طبقات علماء القيروان وإفريقية و زهادهم و نساكهم و سمر من أخبارهم و فضائلهم و أوطانهم - بتسمير البكونز - مراجعة العروس الخطوي - دار الغرب الإسلامي - بيروت - 1981 ج 2 - ص 103 .
- 5- أبو الربيع الرساني - سر مشايخ العرب - تحقيق إسماعيل العربي - ج 2 - ص 22 ، 28 .
- سر مشايخ المغرب - مخطوطة مكتبة بني يسفن - غرداية - مع 2 ص 49، 22 . (نقلا عن م. هودي مسعود : جيل مفوسة من النسخ الإسلامي إلى هجرة بني هلال - جامعة قسنطينة)

والعلماء لبلاد السودان ، ومولاه هو " كتاب السير " و توجد مخطوطة بدار الكتب المصرية بالقاهرة و كذلك أخرى بغرداية .

- الدرجيني (أبو العباس أحمد بن سعيد) (ت 670 هـ / 1272 م) تعرض في كتاب " طبقات مشايخ المغرب " لمجموعة من الفقهاء و التجار الإباضية خاصة من " جبل نفوسة " ، ورد فيه تردد الكثير منهم على بلاد السودان ، أشهرهم " علي بن يخلف " الذي يقول عنه أنه زار مالي و أسلم ملكها على يده . (1) .

- الشماخي (ت 928 هـ / 1511 م) كان له كتاب " السير الإباضية " اعتمد فيه على ما ورد عند أبو زكريا ، و الوسياني ، و الدرجيني ، و لم يضيف شيئا جديدا عنهم فيما يخص فقهاء و تجار الإباضية طبع طبعة حجرية في قسنطينة (2) .

- أحمد بابا التمبكتي (أبو العباس أحمد بن عمر بن محمد أقيت) ت 1032 هـ / 1628 م و هو فقيه من مواليد وهران رحل إلى تمبكتو و أقام بها كان شاهدا على غزو مراکش لمملكة صنغشاي و حمل أسيرا إلى مراکش سنة 918 هـ / 1500 م ثم عاد مرة أخرى إلى تمبكتو . من أشهر كتبه " نيل الابتهاج بتطريز الدياج " تناول فيه بالدراسة مجموعة من فقهاء السنة خاصة الذين عاشوا بمدينة تمبكتو خلال القرنين التاسع و العاشر الميلاديين و هذا الكتاب هو شرح لكتاب " ابن فرحون الدياج المذهب في أعيان علماء المذهب " و أضاف عليه فقهاء المذهب المالكي في بلاد السودان . وهو يمثل تاريخ الحركة الفكرية لمدينة تمبكتو (3) و يمكن القول أن التراث الإباضي منها " كتب السير " تضمنت كثيرا من الروايات حملت أخبارا رحلات الفقهاء إلى بلاد السودان ، و رغم أنها تركزت على تاريخ الأفراد إلا أنها بينت لنا من خلال هؤلاء ، الحياة الاجتماعية و الثقافية لبلدان المغرب و علاقتهم ببلاد السودان بين القرنين الأول و الخامس الهجريين (4) .

1- أحمد بن سعيد الدرجيني - طبقات مشايخ المغرب تحقيق إبراهيم جلاص - مطبعة البعث قسنطينة - ج 1 ص 54 .

2- أحمد بن سعيد الشماخي : السير - طبعة حجرية - قسنطينة - ص 143 ، 185 ، 273 .

3- أحمد بابا التمبكتي : نيل الابتهاج بتطريز الدياج - مطبعة السعادة بمصر - ط 1329 ص 6 ، 30 .

4 - علم ، نعم ، معمر : الإباضية في ممالك التاريخ ص 165 ، 169 ، 199 .

المراجع العربية :

اعتمدت في إنجاز هذا البحث على مجموعة من المراجع التاريخية و التي تناولت موضوع انتشار الإسلام في بلاد السودان (إفريقيا جنوب الصحراء) ، ومن أهم هذه الدراسات : كتاب لعلي ابراهيم طرخان :

عنوانه " مملكة برنو الإسلامية " طبع في مصر سنة 1975 ، تعرض فيه لكيفية دخول الإسلام لمملكة كانم . (1) أما كتاب : حسن ابراهيم حسن " انتشار الإسلام في افريقية جنوب الصحراء " الصادر في مصر 1964 (2) و كتاب حسن أحمد محمود " انتشار الإسلام و اللغة العربية في افريقية جنو الصحراء " (3) الصادر عن دار النهضة المصرية 1964 بالإضافة إلى كتاب نعيم قداح " افريقية الغربية في ظل الإسلام " الصادر في دمشق ، تعرضت كلها إلى انتشار الإسلام ببلاد السودان و الثقافة العربية الإسلامية بهذه المنطقة . أما كتاب " تاريخ الإسلام و حياة العرب " في امبراطورية كانم برنو الصادر بالقاهرة سنة 1976 تناول بالدراسة الوجود العربي في مملكة كانم منذ القرن الأول الهجري (4) . أما كتاب " حضارات السودان الشرقي و الأوسط " لعبد الجليل شاطر البصيلي تعرض لأهم الدول الإسلامية التي قامت في السودان الأوسط بين القرنين السابع و التاسع عشر الميلاديين (5) . وتضمن كتاب " مملكة صنغاي في عهد الإسقيين " معلومات قيمة عن المملكة المذكورة و كيفية انتشار الإسلام بها و للمؤلف تحقيق لمخطوطة بعنوان أسئلة الاسقيا و أجوبة المغيلي و هي عبارة عن نصائح و إرشادات قدمها محمد بن عبد الكريم المغيلي لسلطان غاو خلال القرن السابع الهجري / 13 م و هي تبين مدى تمسك أهل السودان بالإسلام (6) .

هذه هي مجموعة من المؤلفات كانت الاستفادة منها كبيرة حول كيفية تسرب الإسلام إلى بلاد السودان و التي تناولت بالدراسة الثقافة العربية الإسلامية بالمنطقة .

1 - ابراهيم علي طرخان : امبراطورية برنو الإسلامية ص 63 .

2 - حسن ابراهيم حسن : انتشار الإسلام - ثم في القارة الإفريقية - مكتبة النهضة المصرية 1964 ج 1 ص 33، 35، 66 .

3 - حسن أحمد محمود : الإسلام و الثقافة العربية في افريقيا - دار النهضة المصرية - ج 1 ص 167 267 .

4 - ابراهيم صالح يونس : تاريخ الإسلام و حياة العرب في امبراطورية كانم برنو القاهرة 1976 ص 23 .

5 - عبد الجليل شاطر البصيلي : حضارات السودان الأوسط و الشرقي - الهيئة المصرية العامة مصر - ص 407 .

6 - عبد القادر زبادية : مملكة صنغاي في عهد الاسقيين - الجزائر - 1971 م - ص 201 .

كما اطلعت و تحصلت على معلومات قيمة للبحث من مؤلفات أخرى منها كتاب "الصحراء الكبرى و شواطئها" لاسماعيل العربي (1) و "تاريخ المغرب الكبير- ج3" لمحمد دبور و "الإباضية في الجزائر" ليحيى معمر (2) ، و "التاريخ الإفريقي الحديث" لأحمد إبراهيم دياب ، و كتاب "كشف القارة الإفريقية منذ أقدم العصور" لزاهر رياض .

تناولت هذه المؤلفات العلاقات التجارية التي كانت قائمة بين بلاد السودان و بلدان المغرب خلال الفترة التي حددها البحث .

المراجع الأجنبية

وتناول الموضوع عددا من المؤرخين الاوروبيين خاصة الرحالة الذين قاموا بجولات استكشافية للقارة الافريقية خلال القرن التاسع عشر. وكانت اهداف بحوثهم هي التعرف على المنطقة تمهيدا لاحتلالها (3). ومن اشهر هؤلاء "هنري بارث" وهو الماني الاصل، ضمن ملاحظاته في كتاب اسمه "رحلة لاكتشاف افريقية الوسطى" ويتكون من اربعة اجزاء، تعرض فيه لتاريخ المدن التي مر بها، وركز على كيفية دخولها للإسلام، وتحدث عن المخطوطات التي تحصل عليها واشهرها "ديوان سلاطين برنو". (4)

وقد قام الدكتور "ديرج لانغ" بتحقيق هذه المخطوطة في كتاب خاص، تحصلت عليه من المكتبة الجامعية لقسنطينة، وكان ذا فائدة كبيرة للبحث، خاصة انه تناول التاريخ التسلسلي لمملكة كانم، واهم الملوك الذين حكموها وكيفية دخولهم للإسلام. (5)

واعتمدت كذلك على كتاب "بازل دفيدسن" وعنوانه "تاريخ كشف افريقيا"، وكتاب المؤرخ "مونتاي" "الاسلام الاسود" و "ديشان" "الديانات في افريقيا السوداء". و مارسية وكتابة "تاريخ

1- اسماعيل العربي : قام بتحقيق عدد من المؤلفات مرتبطة بتاريخ السودان منها كتاب "السير" للرساي و كتاب "الجغرافيا" لابن سعيد ، و كتاب "سير الأنسة" لابن زكريا .

2 - علي يحيى معمر : تركزت دراساته حول الإباضية في بلاد المغرب ، جعلها تحت عنوان "الإباضية في مركب التاريخ" منسها الإباضية في الجزائر ، خصص الجزء الأول للدولة الرسمية و انتها و فقهاها ، أما الجزء الثاني خصصه للأفكار التي تضمنتها الإباضية . (معمر علي يحيى : تاريخ الإباضية في مركب التاريخ - ج 1 - ج 2 -)

3- اسماعيل العربي : الصحراء الكبرى و شواطئها - الشركة الوطنية للنشر و التوزيع - الجزائر ص 40 .

4- H.BARTHELEMY -- VOYAGE ET DECOUVERTE DANS L'AFRIQUE SEPTENTRIONNALE ET CENTRALE PENDANT LES ANNEES 1845 - 1855 - EDITION 1863 - PARIS .P.24 .25 .26

5- LANG DIERG : le diwan des sultans de kanem /borne weisbaden - 1977 - p9- 5

افريقيا الغربية " و الملاحد في الكتابات الأوروبية أنها تعتمد على التحقيقات الميدانية و المخطوطات و الآثار و الدراسات الجغرافية ، و لذلك فهي تتميز بالدقة العلمية . و بإستيفاء المعلومات من خلال الوثائق و الآثار و الروايات الشفوية المتداولة .

الموسوعات ودوائر المعارف

استفدت منها في مجال شرح المصطلحات، ومعرفة التاريخ العام للمنطقة، ومن أهم هذه الموسوعات: "موسوعة التاريخ الاسلامي" - الجزء السادس - ل احمد شلي، وردت فيها معلومات مستفيضة حول انتشار الاسلام في السودان الاوسط.

وموسوعة "التاريخ الافريقي العام" من اصدار منظمة اليونسكو ، وصدرت في اربعة مجلدات، اعدھا مجموعة من المؤرخين المتخصصين من مختلف الجامعات العالمية.

اما أهم الدوريات التي ساعدتني في كتابة البحث هي: "المجلة التاريخية المصرية" الصادرة في القاهرة، تناولت مواضيع كثيرة منها تاريخ انتشار الاسلام في منطقة السودان وكانت من اصدار كتاب متخصصين منهم "ابراهيم علي طرخان" و "حسن ابراهيم حسن" و "حسن احمد محمود".

ومن المجلات الاخرى التي اطلعت عليها مجلة "المنار" ومجلة "البحوث والدراسات العربية" الصادرة في العراق، والدروس الحسينية الصادرة بالمغرب الأقصى، بالإضافة الى دائرة المعارف الاسلامية وهي مرجع اساسي في البحث.

(المجلة التاريخية المصرية : الهيئة العامة للمكتبة - القاهرة) م 13 ص 11 .

1- ابراهيم طرخان : غانا في العصور الوسطى - .

* قتيبي

١ - تعريف السودان الأوسط

ب - الدراسة الطبيعية للسودان الاوسط.

1- المظاهر التضاريسية:

- المرتفعات.

- الاحواض والانهيار.

2- المناخ.

3- النباتات.

ج- التركيب السكاني في السودان الاوسط.

1- الزنوج.

2- السير:

3- العرب.

١ - تعريف السودان الاوسط:

يقصد بالسودان الاوسط النواحي المدارية الشاسعة من الضفاف الشرقية من النيجر الاوسط حتى منطقة بحيرة تشاد ثم المناطق التي تلي ذلك حتى دارفور ووداي وهي الجزء الغربي من السودان النيلي. (١)

والاقليم جزء من السودان، وهو الاقليم الذي يحده بحر الظلمات (المحيط الاطلسي) من الغرب وبلاد الحبشة من الشرق، والصحراء من الشمال والبراري من الجنوب (٢). وحسب القزويني: "هي بلاد كبيرة وأرض واسعة، ينتهي شمالها الى ارض البربر وجنوبها الى البراري، وشرقها الى الحبشة وغربها الى البحر المحيط" (٣). وعرف التونسي (٤) (وهو من سكان المنطقة) السودان بأنه اسم يطلق على جميع الاقاليم شبه الصحراوية في افريقية التي انتشر فيها الاسلام، ويمتد جنوبي الصحراء الكبرى ومصر، أي من المحيط الاطلسي غربا الى وادي النيل شرقا وتساير حدوده الجنوبية خط عرض عشرة درجات شمالا، وقسم الاقليم الى ثلاثة اقسام ومنها:

- السودان الاوسط يشمل حوض تشاد أي المناطق المجاورة لبحيرة تشاد .

وميز العرب بين بلاد السودان وبلاد الزنج مع ان لفظ السودان يعني بلاد السود، ويشير الى ذلك الاصطخري (٥) بقوله بأن بلاد السودان بلاد عريضة الا انها قفرة ... وليس هم سود ولا بزنج ولا الحبشة ولا البجة .

ويشمل السودان الاوسط الاقاليم السياسية التالية : جمهورية تشاد، وشمال نيجيريا، وشرق النيجر والجزاء الشمالية لجمهورية افريقيا الوسطى وشرق جمهورية السودان والجزاء الجنوبية من ليبيا. وقامت في الاقليم عدة دول اسلامية منها: كانم، وضغاي، والحوسا. وعلى اساس حدودها تم التقسيم الاقليمي الحالي والذي يتمثل في :

- ١- حسين مؤنس: اطلس تاريخ الاسلام - القاهرة - ١٩٥٧ هـ / ١٩٥٧ م - ص ٣٧٨.
- احمد عطاء الله: القاموس الاسلامي مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - ١٣٩٦ هـ / ١٩٨٦ م - ص ٥٥٠ .
- ٢- ابو حامد محمد بن عبد الرحمن الغرناطي (٥٦٠ هـ / ١١٧٠ م): نغمة الالباب ونخبة الاعجاب - باريس ١٩٢٥ - ص ٤١.
- اسماعيل بن علي ابو الفد (٧٣٢ هـ / ١٣٣٢ م): لفرغم البلدان - الجزائر - ١٨٣٩ م - ص ١٥١ - ١٥٤.
- ٣- زكريا بن محمد القزويني (٦٨٢ هـ / ١٢٨٣ م): اثار البلاد واخبار العباد - دار بيروت للطباعة والنشر - ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م - ص ٢٤.
- ٤- محمد بن عمر التونسي: تشجيد الانهال بسمرة بلاد العرب والسودان - تحقيق خليل عساكر - مصطفى مسعد - الدار المصرية للتأليف والترجمة - ١٩٦٥ - ص ١٣٢.
- ٥- ابن اسحاق ابراهيم بن محمد الامسليحي (ت في القرن ٤ هـ): المسالك والممالك - تحقيق الحبي - مصر ١٣٨١ هـ / ١٩٦١ م - ص ٣٧.

- ولاية الكانم - برنو: وتقع في شمال غرب بحيرة تشاد.
- ولاية الوداي: وتقع في غرب دارفور مباشرة وتعرف بدارمانا.
- ولاية البارقمي: واحة في منطقة غرب وداي.
- ولاية البرقو: واحة في منطقة بحيرة فطري.
- ولاية الابانجي شاري: وهي واحة في جنوب المنطقة وقد ضمت في الوقت الحاضر الى جمهورية افريقيا الوسطى. (1)

ب - الدراسة الطبيعية للسودان الاوسط:

1-المظاهر التضاريسية:

يشمل السودان الاوسط مجموعات تضاريسية متنوعة اهمها: جبال التبستي والجيرات والسوورو، وحوض بحر الغزال، ومنطقة بحيرة فطري، وحوض نهر شاري الادنى، وتتوسط هذا الاقليم بحيرة تشاد.

* المرتفعات: وتمثل في:

- جبال التبستي: وهي جبال متوسطة الارتفاع لا تتعدى 2000 م . (2)
- جبال العير: تقع في الحدود الجنوبية للصالح، شمال نهر النيجر سفوحه الشمالية قاحلة أما سفوحه الجنوبية خصبة. (3) وتوجد مجموعات جبلية اخرى وهي جبال بايندي وهي امتداد لجبال تبستي وجبال اردي وجيرا وابو تلقان وابو الطيور.
- جبال مرة: وهي كتلة جبلية يبلغ اعلى ارتفاع بها 3088م وتقع باقليم دارفور وتليها هضبة كردفان. (4)
- هضبة جوس: تقع في شمال نيجيريا وهي هضبة واسعة قليلة الارتفاع تشبه السهول المرتفعة وتعرف بسهول اراضي الهوسا. (5)

1 - شاطر عبد الجليل البصيلي : حضارات السودان الاوسط (من القرن 7 إلى 19 م - ص 410 - 411 .

2- جودة حسن جودة : جغرافية إفريقيا الإقليمية - دار النهضة العربية - بيروت - 1971 - ص 50 .

3 - عمر عبد الرحمن الماحي : تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ط 1 - 1982 - ص 11 .

4 - علي موسى : جغرافية العالم الإقليمية - دار الفكر - دمشق - 1404 هـ / 1971 م - ص 181 .

5- نفسه - ص 197 .

- الصحراء: تحتل جزءا كبيرا من المنطقة الشمالية للسودان الاوسط وهي عبارة عن منطقة رملية مستوية وجافة تتخللها بعض المرتفعات، مثل جبال "تبستي" وهضبة "إندي"، وجبال الهوقار والطاسيلي، وتوجد بها بعض الواحات التي تحولت الى مراكز تجارية مثل "غدامس"، "زويلة" و"ورجلان". (1)

* الاحواض والانهار.

يعتبر نهر شاري ولوجون اجمع الرئيسي للمياه في السودان الاوسط، ينبع نهر شاري من اراضي افريقيا الوسطى (او بانجي) ويلتقي مع روافد اخرى عند سيره نحو الشمال منها نهر كيتا واوراك واوهام ويبلغ طوله 1180 كلم. (2) اما نهر لوجون فهو ينبع ايضا من اراضي اوبانجي ويتغذى من مياه الامطار الموسمية مما يمكنه الوصول الى بحيرة تشاد، ويبلغ طوله 965 كلم، (3) ويلتقي مع نهر شاري عند وصوله الى مدينة فورت لامي، او نجamina حاليا. (4)

1- عمر عبدالرحمن الماحي: تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ط1 - 1982 - ص 1

2- علي موسى: جغرافية العالم الاقليمية - دار الفكر - دمشق - 1401 هـ / 1971 م - ص 181.

3 - المرجع نفسه: ص 91.

4- فورت لامي: هو الاسم القديم لعاصمة تشاد حاليا وهي "نجamina"

[عمر عبدالرحمن الماحي: تشاد من الاستعمار الى الاستقلال - ص 11].

- بحيرة تشاد: اتخذت تسميتها من اسم نوع الاسماك "شاد" "ch ad" يكثر وجوده في هذه البحيرة ، وهي (1) بحيرة قديمة التكوين، كانت واسعة المساحة، غزيرة المياه ولكنها بدأت تجف شيئا فشيئا حتى أصبحت عبارة عن مستنقعات. تتخللها جزر صغيرة، وعمقها لا يتعدى ثلاثة أمتار، ومساحتها تتراوح بين 100.000 كلم² و 25.000 كلم²، ولذلك فشواطئها غير محددة، ومساحات واسعة جفت خاصة في جزئها الشمالي الشرقي . وفيض ماؤها أحيانا ويغمر ما يحيط بها من بلاد. وللبحيرة (2) موقع استراتيجي فهي تتوسط السودان الأوسط، دفعت كثير من القبائل للهجرة إليها سواء من منطقة النيل أو من الصحراء شمالا (3)، وكانت هذه المنطقة ملتقى القوافل التجارية منذ القدم، كما اقيمت حولها زراعات متنوعة كالارز لخصوبة تربتها. (4)

- حوض سوكونتو: ويشمل منطقة شمال نيجيريا، تعرض لعملية التعرية الجوية، وترتبه خصبة، ولذلك اقيمت فيه زراعات فقيرة (ذات مردود ضعيف) من الذرة والبول السوداني. (5)

2- المناخ:

تعرضت المنطقة منذ القدم الى تغيرات مناخية كثيرة وقد دلت الحفريات انما كانت تتميز برطوبة عالية مما عليها الان. وكان الموقع الفلكي للسودان الأوسط تأثير على المناخ، فالسودان الأوسط يقع بين 8 و 23 درجة شمالا وبين 14 و 24 شرقا، ولذلك فهو يقع في المنطقة الحارة ، ويندرج المناخ من صحراوي جاف في الشمال الى مداري رطب في الجنوب يتخللها المناخ المداري القاري. (6)

1- احمد شلي: مرسعة التاريخ الاسلامي - ج 6 - ص 614.

2- عبد الجليل شاطر البصلي: حضرات السودان الشرقي والوسط - ص 410.

3- حدثت هجرات قديمة نحو المناطق المحيطة ببحيرة تشاد، منها هجرة مملكة كوش خلال القرن الرابع الميلادي، (350م) وذلك عندما هاجم ملك اكسوم على هذه المملكة واحتلال عاصمتها مروي .

BASIL DAVIDSON - l'Afrique Ancienne - T1- PARIS - 1973 - P 45 - 55 |

4- البصلي: المرجع السابق - ص 411 .

5- جودة حسين جودة: جغرافية انبيا الافليمية - دار النهضة العربية - بيروت - 1981 ص 230 .

6- المرجع نفسه.

ويتميز المناخ المداري (1) بتقاري بفصل شتاء جاف نتيجة لسيطرة الرياح التجارية الجافة الآتية من مركز الضغط المرتفع شبه المداري، أما فصل الصيف فهو فصل الأمطار . وتتباين كمية الأمطار بين جزء وآخر، فيبلغ عند الحافة الإستوائية حوالي 125مم عند الحافة الصحراوية ، حيث تندر الأمطار ، ويقبل فصل المطر كلما أتحنا من الشمال الى الجنوب تسعة أشهر في الجهات القريبة من خط الإستواء وأقل من أربعة أشهر في الجهات القريبة من الصحراء (2).

وتعتبر المناطق الداخلية في هذا الإقليم ذات حرارة مرتفعة ، إذ لا يفوقها حرارة في العالم سوى حرارة الإقليم الصحراوي القريب منها، وترتفع النهاية العظمى للحرارة في فصل الصيف إلى 44° ويزيد المتوسط الشهري في شهر الصيف الحار عن 30° وتكون درجة الحرارة أكثر إرتفاعا في الفترة المبكرة من فصل الصيف قبيل بداية الأمطار الصيفية قبيل بداية الأمطار الصيفية التي تأتي عقب ذلك تطف من درجة الحرارة .

ويمكن تقسيم المنطقة إلى ثلاثة أقاليم مناخية : (3)

- الإقليم الأول من 8° الى 16° ويدخل في هذه المنطقة السافانة المعروفة بحشائشها وأمطارها.
- الإقليم الثاني من 18° الى 16° : ويشمل بحيرة تشاد وما جاورها تقل به الأمطار وتسود الأعشاب والشجيرات الصغيرة ، والزراعة فيه محدودة ولذلك فهي منطقة رعوية تسكنها قبائل رعوية منها التوبو والعرب . (4)
- الإقليم الثالث من 23° الى 8° شمالا : ويشمل جبال تيبستي ويغلب عليه الطابع الصحراوي وهو يتميز بالجفاف وقلة الأمطار.

-
- 1- المناخ المداري: يشمل المنطقة التي تقع على جانبي المنطقة الإستوائية بين خط 5° شمالا ومدار السرطان ، وخط 5° جنوبا ومدار الجدي ويتميز بالحرارة الشديدة وأقل رطوبة من المناخ الإستوائي (محمد محمود صياد: مدخل للجغرافية الإقليمية- دار النهضة- ص55)
 - 2- الماحي: تشاد من الإستعمار حتى الإستقلال- ص41
 - 3- علي موسى: جغرافية العالم الإقليمية- ص177
 - 4- العبداني: حضارات السودان الشرقية والأوسط- ص41

3- النباتات:

انعكس الوضع المناخي السابق ذكره على الحياة النباتية، ففي الاقليم الاول (23° الى 18° شمالاً) يتميز بنمو النباتات القصيرة والفقيرة وتمثل في الاعشاب الشوكية والحشائش القصيرة خاصة على اطراف الصحراء مثل "تيسيت" ويمارس سكانه الرعي والمتمثلة في تربية الابل والماعز.⁽¹⁾

اما الاقليم الثاني (18° الى 16° شمالاً) نجد به اعشاب وشجيرات منها اشجار السبط التي تنتج الصمغ. وتعيش فيه قبائل رعوية منهم التبو والشو (العرب) ويمارسون الرعي ويملكون الجمال والبقر والخيول والماعز.⁽²⁾

اما الاقليم الثالث (8° الى 16° شمالاً) تسوده السافانا الطويلة وتلتقي بالغابات الكثيفة في الجزء الجنوبي بهذا الاقليم. وبصفة عامة فالاقليم فقير النباتات لموقعه المتميز بالجفاف وقلة الامطار، وعلى هذا الاساس يغلب على المنطقة الطابع الرعوي وتنتشر فيه بعض الزراعات مثل الارز والشعير.⁽³⁾

1- علي موسى: جغرافية العالم الاقليمية - ص 177.

2- المرجع نفسه.

- البصلي: حضارات السودان الشرقي والارسط - ص 41.

3- جوده حسين جوده: جغرافية افريقيا الاقليمية - ص 175.

جـ - التركيب السكاني في السودان:

تسكن السودان الاوسط بمجموعات بشرية مختلفة، منها من كانوا من السكان الاصليين ومنهم من هاجروا اليها من الشمال والشرق من العرب والبربر. وكان اختلاط هؤلاء عن طريق الشواح^{الذي} أدى الى ظهور مجموعات سكانية جديدة.⁽¹⁾

ومن اقدم الهجرات للمنطقة هو وصول اعداء كبيرة من الكوشيين خلال القرن الرابع الميلادي اثر سقوط مدينتهم في يد الاحباش الاكوميين⁽²⁾. وهجرة البربر من الشمال منهم قبائل التوبو خلال القرن السابع الميلادي. وازدادت الهجرات البربرية والعربية من الشرق والشمال بعد الفتح الاسلامي لمصر وشمال افريقيا.⁽³⁾

ويضم السودان الاوسط حاليا المجموعات السكانية التالية:

1- الزنوج:

- الصو: وهم السكان الاصليون للمنطقة ويسكنون حول بحيرة تشاد، كان للهم الفضل في اقامة حضارة قديمة بالمنطقة. وقد ترجع اصولهم الى سلالة الهكسوس الذين هاجروا للمنطقة خلال القرن الرابع الميلادي.⁽⁴⁾

- الكانمبو⁽⁵⁾: استقرت في منطقة تشاد، وهي خليط من قبائل الصو والبربر ونسب اليها تكوين مملكة كانم، اشتهروا بالنشاط الزراعي.

- الكانوري⁽⁶⁾: وهي تنسب قبائل كانمبو من حيث انها خليط من عناصر مختلفة من عرب وبربر وزنوج، ويكونون اغلب سكان كانم - برنو، اشتهروا بتربية الخيول

1- البصلي: حضارات السودان الشرقي والوسط - ص 114

2- الاكوميين: نسبة الى مملكة اكسو - والتي توسعت على حساب مملكة كوش خلال القرن الرابع الميلادي.

[BASIL DAVIDSON - l'Afrique ancienne - T1 - P 54 - 55]

3- قائل التوبو: وتسمى كذلك التيد ، وخصصت لمجرلم عصرا كاملا في الفصل الخاص بالحضارات البربرية.

- ابراهيم صالح يونس: تاريخ الاسلام وحياة العرب في امراطورية كانم - برنو - القاهرة 1976م - ص 160.

4- طرخان: مملكة برنو الاسلامية - مطابع الهيئة المصرية - 1975م - ص 21 - 22 .

5- الكانمبو: اسم مشتق من كلمة "كانم"، والحرف "ما" يدل الى النسبة، ومعناها الكانمبون

[طرخان - المرجع نفسه - ص 25]

6- كانوري: اسم مشتق هو الاخر من "كانم" اضيفت له كلمة "نور" ومعناها حملة النور، اشارة الى دورهم في نشر الاسلام

[طرخان - المرجع نفسه - ص 25 . - البصلي - المرجع السابق - ص 443]

وصناعة النسيج.

- الهوسا (1) وهي قبائل اختلطت بالكانوري والفلولانيين ، يتمركزون في شمال نيجيريا وعددهم اليوم خمسة ملايين نسمة ، يتكلمون لغة واحدة هي الهوسا، اسسوا سبع دول اطلق عليها دول الهوسا وهي كانو، وكوتسينا، وبرم وزاريا، وزنقرة، وداورة وغويير، ودخلت الاسلام خلال القرن الثامن الهجري/الرابع عشر ميلادي. (2)

- الفلولانيون: (3) ينتشرون في منطقة واسعة من الصحراء ومنطقة تشاد، وتضاربت الاراء حول اصولهم. اشتهروا بكثرة هجر اقم داخل بلاد السودان، ونشرهم بين القبائل الوثنية السودانية. (4)

2- البربر: (5)

سكنت السودان الأوسط مجموعات سكانية كبيرة من البربر نذكر منها :

- التبو او التدا : من القبائل المنتشرة في منطقة تشاد وهم من البربر، وسكان هضبة تيبستي اصلا، وقد يكونون من فزان، هاجروا الى تشاد حوالي القرن الاول الهجري/السابع الميلادي، كان لهم دور في ادخال الاسلام ونشره في كاتم. (6)

- الطوارق : هم قبائل من فروع صنهاجة، وكلمة طوارق مشتقة من اسم قبيلة ترغة احدى قبائل صنهاجة، يستقرون حاليا بالحدود الشمالية لافليم في
وحول منطقة

1- المرزا: تطلق على مجموعة من الشعوب تجمعها لغة واحدة، تسكن في الضفة اليسرى لنهر النيجر.

[كمت: تاريخ الفتاش - ص 53. مؤنس: الاسلام الفاتح - ص 60.]

2- مؤنس: الاسلام الفاتح - مجلة دعوة الحق - القاهرة 1400 هـ/ 1980م - ص 160.

3- الفلانيون: يطلق عليهم ايضا اسم الفلانا، الفولب، او البول، او الفولا، وهم خليط من الاحباش اشتهروا بدعوتهم للاسلام. [طرخان: مملكة برنو - ص 35.]

4- اصول الفلانيون: ينسبون انفسهم جينا البربر (من صنهاجة) وحينما احر من العرب (سلالة عقبة بن نافع) وقد يكون اصلهم من الهكسوس الذين جاءوا من مصر، وتعني كلمة فلانيين في لغتهم: قوم جاءوا من البحار.

[BAKARI - Connaissance de la republique de MALI - Edite par le secretariat d'etat de l'information et de tourisme - MALI - P 39.]

5- مؤنس: المرجع السابق - ص 139.

6- طرخان: المرجع السابق - ص 28.

7- طوارق: يطلق عليهم كذلك الملتو، اشتهروا بملابسهم الزرقاء. وللتوسع اكثر ارجع للفصل الخاص بالمهجرات البربرية.

زندر موطنهم الاصلي الصحراء الكبرى فيما بين بلاد البربر وبلاد السودان، دخلوا الاسلام منذ القرن الثاني الهجري/التاسع الميلادي ، هاجرت مجموعات منهم الى منطقة تشاد واستقروا فيها وكان لهم فضل في نشر الاسلام ببلاد السودان .⁽¹⁾

3- العرب:

ويشملون المجموعات السكانية التالية:

الشوا: هذه التسمية اطلقها اهل السودان منهم الكانمبو على العرب. وهي كلمة مشتقة اصلا من الكلمة العربية "شاء" في صيغة الجمع، وجمعها أي جمع الجمع "شوى" بمعنى رعاة الاغنام وهم من المجموعات التي هاجرت للمنطقة عبر فترات متقطعة، يستقرون حول بحيرة تشاد، ونجدهم بدارفور وبنو.⁽²⁾

تميزوا بتربية الماشية منها الاغنام والابل، واشتهروا بالفروسية في جيش مملكة بنو، كما اشتهروا بصناعة الحديد والجلود، ولهم اثر كبير في امبراطورية بنو.⁽³⁾

- قبيلة جهينة: تدعي انهم جاءوا من اليمن الى مصر، وشقوا طريقهم نحو كردفان ومن ثم نحو حوض الشاري. ومن اهم مجموعات هذه القبيلة: السلامات، وخزام، واولاد راشد والمسيرية.⁽⁵⁾

- الحساونة: وهم العرب الذين جاءوا الى حوض شاري عن طريق طرابلس، ومن اشهر فروعها: العسالة، والدقنة، ويحتل انهم جاءوا بعد جهينة.⁽⁶⁾

التنجور: يرجع اصلهم الى بني هلال، خرجت جماعة منهم من تونس خلال القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، استوطنوا باقليم وادي دارفور ، وفرضوا⁽⁷⁾

1- ابن خلدون: العمر - ج 6 - ص 755.

2- طرخان: مملكة كانم - ص 29.

3- BAUMANN Ernest: les peuples et les civilisations d'Afrique - Paris - 1927 - P 259.

4- طرخان: المرجع السابق - ص 23.

5- كردفان: من اقاليم السودان الاوسط، تقع غرب نهر النيل (السودان الحالي). [التونسي: تشييد الاذهان - ص 7].

6- البصلي: حضارات السودان الشامي والوسط - ص 433.

7- صالح ابراهيم يونس: تاريخ الاسلام والعرب في امبراطورية بنو - الخرطوم 1970 - ص 44.

8- دارفور: اقليم بالسودان (الحالي) تأسست به مملكة اسلامية سنة 922هـ/1516م وموسسها احمد المفعور. [التونسي: تشييد الاذهان - ص 7].

سيادتهم على الاقليم بتأسيس دولة لهم حوالي اوائل القرن الحادي عشر هجري/السابع عشر ميلادي.⁽¹⁾ وبالإضافة الى هذه المجموعات السكانية الهامة التي ذكرت، تنتشر بالاقليم قبائل ومجموعات اخرى اقل عددا، منهم الكوتوكو، بجنوب اقليم برنو، والباجرميون بحوض شاري ووداي، والبولالا قرب بحيرة فطري.⁽²⁾

وتتميز مجتمعات السودان الاوسط بطبيعتها التقليدية، وكثرة العادات والتقاليد لكثرة الاجناس وتعددتها، وتقوم على الارتباط القبلي، فالقبيلة اساس المجتمع. ومن التقاليد الموروثة والتي مازالت منتشرة، سمو مكانة المرأة عندهم.⁽³⁾

ومن الناحية الاقتصادية كان اهتمامهم بالرعي اكثر من غيرهم، فهم يقومون بتربية الابقار والماعز والضأن، والجمال: ويعتمدون عليه في معيشتهم.

اما من الناحية الدينية: فالاسلام يمثل ديانة الغلبية السكان، ودخل المنطقة في وقت مبكر أي منذ القرن الاول الهجري، كما يعيش بجانب المسلمين اقلية مسيحية، ووثنية مازالت تتبع المعتقدات القديمة.⁽⁴⁾

وتوجد بالمنطقة لغات عديدة اهمها الهوسا وهي لغة تنتشر حول حوض النيجر، تكتب حروفها باللغة العربية، وتحمل كثيرا من مفرداتها مستمدة من اللغة العربية⁽⁵⁾ وهي من أشهر اللغات الإفريقية إنتشارا ولا تضاهيها من اللغات المحلية الإفريقية الا اللغة السواحلية في شرق القارة والأمهرية بالحبشة، بالإضافة الى لغات أقل إنتشارا منها لغة الماندي (نسبة الى قبائل الماندينجو بمالي)، ولغة الفولاني (نسبة لقبيلة الفولاني). كما تنتشر اللغة العربية انتشارا واسعا بين اهل بلاد السودان الاوسط، وممر عوامل انتشارها انها لغة القرآن الكريم، وكانت قبل العهد الاستعماري تمثل اللغة الرسمية لكثير من دول المنطقة منها مملكة برنو، فقد كانت لغة التعليم ولغة الحكومة الرسمية ولغة المعاملات التجارية وتتم بها الدراسات

1- بونس: تاريخ الاسلام والعرب في امپراطورية برنو - ص 44.

2- ابراهيم احمد ذياب: لغات من التاريخ الافريقي - ص 36.

3- الماحي: نشاد من الاستعمار حتى الاستقلال - ص 80.

4- شلي: موسوعة التاريخ الاسلامي - ج 6 - ص 63.

5- طرخان: مملكة برنو الاسلامية - ص 30.

الدولية. وقد بلغ الاسلوب العربي درجة كبيرة من التقدم، كما يبدو في المؤلفات العربية التي صدرت عن علماء السودان او في الرسائل التي ارسلها ملوك السودان الى حكام المغرب ومصر، ويتضح ذلك في رسالة الماي عثمان بن ادريس الى السلطان برقوق فهي مليئة بالشواهد القرآنية والاحاديث، وكتبت باسلوب متقدم.⁽¹⁾

وقد اصاب اللغة العربية الضعف في العهد الاستعماري (اواخر القرن 19 وبداية القرن 20) فقام الاوروبيون بمحاربتها واحياء اللهجات القديمة، ونشروا لغاتهم منها الفرنسية والانجليزية، وما زالت الى يومنا هذا بعض المدارس والجامعات بالمنطقة تدرس باللغة العربية.⁽²⁾

ومن الناحية الاقتصادية كان اهتمام السكان بالرعي اكثر وهو المورد الرئيسي لاغليبتهم. فهم يقومون بتربية الابقار والماعز والضأن والجمال. كما يمارسون الزراعة في المناطق ذات التربة الجيدة خاصة حول بحيرة تشاد وحوض النيجر، ومن اهم الزراعات الذرة، والارز والحبوب والفول السوداني والقطن.⁽³⁾

واما في المجال الصناعي فقد اشتهرت المنطقة بصناعة النسيج والجلود وكانت تصدرهما للبلدان المجاورة لها، ومن الصناعات المنتشرة بها النحاس والحديد، وكانت مدينة تيكدا من اقدم المراكز التي كان يستخرج منها ، واكتسبت دولة برنو قوتها من صناعة الاسلحة الحديدية، وهي صناعة قديمة دخلت من الشرق.⁽⁵⁾

اما التجارة فتتمثل في تبادل السلع في اسواق عواصم اقاليم السودان الاوسط والمدن المجاورة لها منها بلما، كوار، انجيمي، ماسينا، لوجون وكانو...

1- طرخان: مملكة برنو الاسلامية - ص 175.

2- الماحي: تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال - ص 100.

3- جردة: جغرافية افريقيا الاقليمية - ص 214-232.

4- تيكدا: هي مركز تجاري صحراوي، قرية من بلاد السودان، اشتهرت باستخراج النحاس من مناجمها.

[ابن بطرطة - تحفة النظار - ج 4 - ص 191.]

5- ابر العباس احمد بن علي (الملقشدي) (ت 821 هـ / 1418م): صبح الاعشى في صناعة الانشا - ج 5 - ص 280.

وبدأت مجتمعات تشهد حاليا تغيرات في عاداتها وتقاليدها نتيجة للتطور الصناعي الذي شهده
دخول شركات اجنبية للمنطقة واقامتها لوحدات سياحية، وزيادة حجم المدن. ⁽¹⁾

- الماضي: تشاد من الاستعمار حتى الاستقلال - ص 46.

أوضاع السودان الأوسط قبل الإسلام

أ - الوضع السياسي :

- 1 - مملكة كانم
- 2 - مملكة غانة
- 3 - مملكة صنغاي

ب - الوضع الاقتصادي :

- 1 - الزراعة
- 2 - الصناعة
- 3 - التجارة

ج - الوضع الاجتماعي والثقافي :

- 1 - الوضع الاجتماعي
- 2 - المعتقدات الدينية

أ - الوضع السياسي

1- مملكة كانم

ظهرت مملكة كانم في النصف الشرقية لبحيرة تشاد ، ويرجع تاريخ ظهورها إلى القرن الثاني للهجرة /الثامن للميلادي، ثم نمت وتوسعت خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين، وينسب تأسيسها إلى قبيلة الزغاوة (1). واصل الزغاوة من البربر هاجروا من الشمال واندمج أفرادها مع السكان الأصليين "الصو" خلال القرنين الأول والثاني الهجريين/ السابع والثامن الميلاديين(2). ولم تلبث أن أصبحت تشكل هيئة أرسقراطية تتمتع بالتنفيذ والمال، مما مكنها من السيطرة على الحكم والتوسع في المنطقة (3)، ويرجع لها الفضل في تأسيس أقدم مملكة حول بحيرة التشاد هي كانم، ذكرها اليعقوبي بأهم "كانوا (أي الزغاوة) يتلون في موضع يقال له كلثم ومترلهم اخصاب القصب وليس لهم مدن ويقال لمكهم كاكرا" (4). أما المسعودي فقال عنها "مملكة الزغلوة واسعة كبيرة" (5).

وأطلق الزغاوة على أنفسهم اسم السيفيين نسبة إلى سيف بن ذي يزن (6)، فقد ذكر القلقشندي بأن ملك برنو الماي عثمان بن إدريس كتب رسالة إلى السلطان المملوكي برقوق عام 754 هـ/ 1392 م يذكر فيها شكوكها من إعتداءات عرب، جذام في بلادهم أنه من سلالة سيف بن ذي يزن وعبارته: "نحن بنو سيف بن ذي يزن والد قبيلتنا، العربي القرشي، كذا ضبطناه من شيوخنا" (7). إن هذه الدعوة مرتبطة بأحداث وقصص فالوثيقة تذكر أن سيف من قرشي وهو خطأ فإن سيف من بن ذي يزن حميري من تابعة اليمن من حمير. وقد يكون هذا الخطأ نسبة إلى مقابلة حدث بين عبد المطلب جد النبي (ص) في مكة وبين سيف بن ذي يزن على إثر انتصار بن أبي يزن على الأحباش بمساعدة الفرس حوالي عام 602م وأن عبد المطلب هنا سيفا بهذا الانتصار بسبب كراهية عبد المطلب وقرشي للأحباش الذين كانوا يريدون هدم الكعبة من قبل عام الفيل (حالي عام 570م) ولما سأله سيف عن أبيه أجاب عبد المطلب أنه عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف وحينئذ عقب سيف: إذن أنت ابن أينا" (8).

ومن هذه المقابلة الأسطورية جاءت الصلة بالنسب القرشي كما إدعاء التوماغوريين (يتمسكون للأسرة الحاكمة في مملكة كانم) وهم طوارق من البربر من سكان تبستي، أنهم قرشي وهم عبد مناف القرشي. من خلال هذا الإدعاء نستنتج أنملوك كانم في عهد أسرة الزغاوة لم يصنعوا لنا يستحق الذكر وأن النسب إلى بن ذي يزن والصلة بقرشي قد يكون خرافة روجها مورخو البلاط، وأن هذا الإدعاء لم يظهر إلا بعد تحول الأسرة المالكة إلى الإسلام خلال القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي

1- علي إبراهيم طرخان: مملكة برنو الإسلامية - ص 47-48.

2- جوزاف تجوان: الإسلام في ممالك وإمبراطوريات إفريقيا حتى القرن 16 - ترجمة عمار السوي - القاهرة - 1404 هـ / 1984 م ص 90.

3- حسن احمد محمود: الإسلام وإثارة في إفريقيا - ص 257.

4- أحمد بن يعقوب اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي - بيروت - 1960 - ج 1 - ص 156، 168.

5- أبو الحسن علي بن الحسن المسدي: أخبار الزمان ومن أباده الهدنان وعجائب البلدان - ص 19، 1.

6- سيف بن ذي يزن: أنظر الفهرست الثالث عصر نسب ملوك كانم. ص 66 والجداول: ص 151.

7- القلقشندي: صبح الأعشى - ص 117.

8- طرخان-مملكة برنو-ص 57. إبراهيم صالح يونس: تاريخ الإسلام وحماة العرب في امبراطورية كانم - ص 76.

كما ورد هذا النسب في السجلات التي تركوها وتعرف بديوان سلاطين كانم (1)، دونست فيها ملوك هذه الدولة منذ تأسيسها حتى تحولها للإسلام، وتذكر هذه السجلات أن أول ملوك كانم هو سيف بن ذي يزن، وهو مؤسس، تعاقب على حكمها بعد ذلك إحدى عشرة ملكا قبل دخولها للإسلام خلال القرن الخامس الهجري.

وتجمع المصادر العربية على أن مملكة كانم في عهد أسرة الزغاوة غزت البلدان المجاورة لها ووصلت في الغرب إلى النيجر وفي الشرق إلى الوداي (2) ويذكر البكري (3) أنها سيطرت على بلاد الهوسا. وتعرضت مملكة الزغاوة خلال هذه الفترة لهجمات عربية وبربرية أدت إلى إنتشار الدعوة الإسلامية. وتقول المملكة إلى الإسلام خلال القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي. وتصفه في هذا الفتح أنزلت إلى ما نتمسك به من بلاد السودان الأوسط وكان ذلك في عهد الماي الثاني عشر "حومي عبد الجليل" (1)

- مملكة غانة

فرغم أن مملكة غانة تقع في السودان الغربي إلا أننا أوردناها في هذه الدراسة، والسبب هو اتساع مساحتها وضمها مناطق من السودان والأوسط (4). ترجع أصولها إلى القرن الأول الميلادي، وكان ظهورها على يد جماعة من أهل السودان وتكلم لغة الماندي، ينتمون إلى قبيلة "السونكة" فاختلطوا هم وأخذوا لغتهم، ثم أصبحوا يتحكمون في المنطقة (5) خلال القرن الرابع — الميلادي وتأسس مملكة غانة، وذكر المسعودي "أنهم من البيض لكن لم يذكر الطائفة التي ينتمون إليها" (6) أما محمد كعت "فاعتبرهم من قبيلة منتهاجة" (6) والراجح أنهم من البربر هاجروا إلى المنطقة ثم اختلطوا بالزنج . وبلغ عدد الملوك الذين حكموا غانة، أربعة وأربعين ملكا، غمك منهم اثنا وعشرون ملكا قبل البعثة واتسني وعشرون بعدها (7). ومملكة غانة روفة عند المؤرخين العرب منهم المسعودي (8) الذي أشار بأنها تقع في بلاد السودان الذي أشار بأنها تقع في بلاد السودان، أما ياقوت الحموي (9) فقال بأنها مدينة كبيرة تقع في جنوب بل لغرب متصلة ببلاد السودان، أما الإدريسي (10) حدد موقعها فذكر أنها "أرض تتصل من غربيها ببلاد مفايزة، ومن شرقيها بلاد ونقارة، وبشماليها بالصحراء المتصلة بين أرض السودان وأرض البربر وتتصل بجنوبها بأرض الكفار من اللممية وغيرها"، أما القلقشندي (11) فقال عنها "إن بلاد غانة تقع غربي صوصو وتجاور البحر المحيط الغربي، وقاعدة إقليمها مدينة غانة".

1- ديوان سلاطين كانم: وثيقة تاريخية تضم قائمة أسماء الملوك من الأسرة السيفية، ألفه الشيخ عمر بن عثمان في أوئل القرن 16م، عثر عليه الأمازيغي

بارت حوالي 1853، وقام بتحقيقه الروح لا (طرحان: مملكة برنو-ص 10، lang-cop-cit-p520)

2- عبد الجليل شاطر البجلي: حضارات السودان الشرقي والأوسط-ص 413

3- المغرب-ص 175 4- طرحان: مملكة برنو-ص 45

5- جودة حسين: العلاقات الخارجية للدولة الرسمية-ص 263، 6- نفسه-ص 36، 7- اختيار الزمان ص 39

8- محمد كعت: تاريخ الفتاش-ص 2، 9- السعدي: تاريخ السودان-ص 9

10- مروج الذهب-ج 1-ص 37، 11- معجم البلدان- مادة غانة-ج 7 ص 263

12- نزهة المشتاق-ص 39، 13- ص 5 ص 284

ومن اشتهر الملوك الذين حكموا غانة قبل القرن الثاني للهجرة/التاسع الميلادي هم: "كع" و"كارا" خلال القرن الرابع الميلادي و"كنسي" (1) خلال القرن السابع الميلادي. وقد اورد صاحب "التنقيح" اسم الملك الذي كان يعاصر الرسول (ص) أي منذ القرن الاول الهجري/السابع الميلادي وهو "كنسي". (2) واتسع نفوذ غانا قبل البعثة النبوية حيث شمل مساحات تمتد بين اغالي كمر الشمال واغالي كمر النيجر. وكانت تعتمد على الزراعة كما اهتمت بالتجارة واستخراج الذهب حتى صار ملوكها يلتفون بملوك الذهب (3) كما عرفت بارض الذهب. (4) كما ذكر المسعودي ان ملك غانة يتصل ببلاد معادن الذهب.

وفي سنة 380هـ/990م استطاعت غانة ان تمد نفوذها الى "اودغست" (5) عاصمة التي كانت تحكمها قبيلة لمتواسة من البربر، وتقع على بعد حوالي مائتي ميل من كرومي عاصمة غانة، وذكرها اليعقوبي (6) بانها "من اهم محطات القوافل في المنطقة". اما ابن حوقل (7) فيذكر بانها مدينة لطيفة اشبه ببلاد الله بمكة تقع بين جبلين ذات الشعاب، ووصفها البكري (8) انها "مدينة كبيرة آمنة رملية يظل عليها حل كبير لا يبت شيئا. ان هذه التيهادات تدل على ان اودغست كانت لها شهرة واسعة وكانت لها علاقات تجارية مع بلاد السودان منها امانة التي كان ملوكها في اشد الحاجة الى منحها يتسول ابرر حوقل (9): "وحاجة ملوك السودان الى ملوك اودغست ماسة من اجل الملح الخارج اليهم من ناحية الاسلام". وكان لادوغست 19 في نشر الاسلام في غانة قبل مجيئ المرابطين (10). فقد كان ملوكها متحمسين لنشر الدعوة الاسلامية في المناطق الصحراوية والسودان الغربي. يقول ابن حوقل (11): "ان الملك الاودغستي" ثيوتان" كان شديدا. التحمس لنشر الاسلام بين قومه وبين الرنوج من ناحية الجنوب وان الملك "تين بروتان" ابن "ونسو بن رار الاودغستي" قد بلغ من سعة النفوذ وقوة السططان ما جعله سيدا على اكثر من عشرين من ملوك السودان، كلهم يؤدون له الجزية، وكان هذا الملك يحكم في الفترة بين 350-370هـ/961-981م (12). وكانت جهود هؤلاء الملوك اثر في دخول اعداد كبيرة في الاسلام قبل القرن

الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي.

- 1- محمد كعت: تاريخ الفتن - ص 41.
- 2- نفس المصدر - ص 41. - السعدي: تاريخ السودان - ص 9.
- 3- طر حان: غانة في العصور الوسطى - ص 42.
- 4- اجبار الرمان - ص 02.
- 5- اودغست: مدينة صحراوية جنوب المغرب الاقصى كانت عاصمة لمملكة تمبة ومركز امارتي هام حامية في القرن 4 هـ. [ابن حوقل: صورة الارض - ص 99. البكري: المغرب - ص 158. اخموي: الفتن - ج 1 - ص 277].
- 6- كتاب البلدان - ص 22.
- 7- صورة الارض - ص 91.
- 8- المصدر السابق - ص 154.
- 9- المصدر السابق - ص 98.
- 10- أحمد شلي: موسوعة التاريخ الاسلامي - ج 6 - ص 166.
- 11- المصدر السابق - ص 101.
- 12- البكري: المصدر السابق - ص 15.
- طر حان: المصدر السابق - ص 52.

وقد وصلت مملكة اودغست درجة كبيرة من القوة في القرنين الثالث والرابع الهجريين التاسع والعاشر الميلاديين، مما اثار المنافسة بينها وبين غانة، ولكن اشكاسا اصالحا غتت ومادة "تبن بروتان"، واستفادت غانة من هذه النكسة ومدت نفوذها الى هذه المملكة واصبح تحت يد ملك غانة عدة مسوك وممالك. (1)

وقد اشار المؤرخون الى انتشار الاسلام قبل مجيء المرابطين، ووصفها الكري بأها مدينتان سهنيتان احدهما المدينة التي يسكنها المسلمون والاخرى مدينة الملك ، وذكر صاحب الاستبصار بأها مدينتان احدهما يسكنها الملك والاخرى يسكنها الرعية والتجار .

وجاء المرابطون الى غانة في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي، وقد بدأوا حركتهم في المشرق الشمالية لبلاد السودان باخضاع اودغست باعترافها مركزاً تجارياً عظيماً في قلب الصحراء، وعقابا لها على خضوعها لغانة الوثنية. (4)

ومع ان غزو المرابطين قد اضعف غانة سياسيا الا ان تبعية غانة لم تستمر طويلا، فسرعان ما تخلصت من هذه السيادة على اثر وفاة "ابوبكر بن عمر" (5) امير جيش المرابطين 445هـ/1087م وتفرق كلمتهم من بعده. (6) الا ان هذه الحركة كانت مفيدة الاثر في ازدياد انتشار الاسلام وتقوية العقيدة الاسلامية في السودان الغربي خاصة غانة. (7)

وتحولت غانة بعد ذلك الى الاسلام وقد اشار السعدي (8) الى ذلك حيث قال: "ان اربعة واربعين ملكا حكموا غانة، عاش نصفهم قبل زمن الي محمد (ص) وعاش النصف الاخر بعد ذلك، وقد بنى هؤلاء على الوثنية حتى اقتحم المرابطون امراطورية غانة، فاصبح الملوك الاخرون مسلمين" وقد عملت حكومة غانة الاسلامية على الاتصال المباشر بالخلافة الاسلامية في بغداد واجرت رعاياها على لسان العمامة". (9)

وما تنقص في كبرياء ان غانة تقع في السودان الغربي ووسعت حدودها لتشمل اقاليم شرق نهر النيجر، وهي جزء من السودان الاوسط، وان الوثنية كانت منتشرة بها وعاشت جنبا الى جنب مع الاسلام بين القرنين الاول والخامس الهجريين، ومعجى المرابطين تحولت المملكة الى الاسلام الذي اصبح طابعها العام وهذا منذ القرن الخامس الهجري.

1- الادريسي: نزهة المشتاق - ص 39

2- الكري: المغرب - ص 184.

3- مولف مجهول: الاستبصار في محائب الاخبار - تحقيق سعد زعزلول - الاسكندرية - 1955 - ص 22.

4- طرخان: غانة في العصور الوسطى - ص 108.

5- السلاوي: الاستبصار - ج 2 - ص 21.

6- نفسه - ج 2 - ص 21.

7- طرخان: المرجع السابق - ص 54.

8- تاريخ السودان - ص 9.

9- الادريسي: المصادر السابق - ص 7.

3- مملكة صنعائي (1)

تعتبر مملكة صنعائي من الدول السودانية الأطول عمرا، فقد بدأت بذورها في القرون الميلادية الأولى، وينقسم تاريخها إلى قسمين، فقد كانت دولة وثنية حتى سنة 400 هـ / 1009م، ثم تحولت إلى الإسلام باعتناق أول ملك لها وهو الملك الخامس عشر من الأسرة المالكة واسمه "راكوسوي" (2) وتنتشر في هذه الدراسة على المرحلة الوثنية.

وتقع هذه المملكة في شمال غربي نيجيريا الحالية وشمال نواهي شاطئ نهر النيجر، وقابل الصنعائي تنقسم إلى قسمين، قسم اشتغل بالزراعة فاستقر الأرض ومنهم اشتغل بصيد السمك فراح ينتقل من مكان إلى آخر على طول منحنى النهر، وكان هؤلاء يسمون "سركو" ولكن الصيادين قاموا بالعدوان على الفلاحين ومهاجمة قراهم، فتجمع الفلاحون ضدهم، ففي سنة 300م تجمعت في تكتل واحد واتخذوا لهم ملوكا منهم لكنهم لم يستطيعوا التغلب على الصيادين، ومع ذلك أسسوا الدولة الأولى لدولة صنعائي (3).

وتذكر الروايات أن المملوكة تعرضت لهجمات اجنبية منها حمرة "زالايم" (سيف بن ذي يزن) فقد استطاع هذا القائد الجديد أن يهاجم الصيادين ويطردهم بعيدا إلى الشمال، ففرح به فلاحو صنعائي وجعلوه أول ملك عليهم وذلك سنة 81 هـ / 700م. (4)

وقد أورد لنا السعدي أن الملك "زالايم" جاء من اليمن، غادر اليمن هو وأخوه، حتى وصلوا إلى منطقة "كوكيا" بارض صنعائي، وكانا في حالة يرثى لها، وحين مشوا من أين جاءا رد اكبرهما جاء من اليمن، ومنذ ذلك الحين نطقها الناس ذا-ال-ابامن، فغير أهل المدينة نطق العبارة على هذا النحو، وصعب عليهم نطقها لأن لمحتهم البربرية كانت تثقل السنتهم.

وبقي ذا-ال-ابامن في كوكيا (5)، ولما شهد الحزم وثيقين بتدسوس تمكة ظهر من حين لآخر في النهر، فعزم على قتلها وذات يوم ظهرت فتدفعها بحربة فماتت. وعندئذ فرح الناس بهذا العمل ونصبوه ملكا عليهم. (6) وهذا يرمز إلى تغلب الفلاحين على الصيادين.

ويذكر السعدي (7) أن ذا-ال-امير كان مسلما، ولكن خلفاءه ارتدوا إلى الكفر. ولما ملك من ملوك صنعائي هو "زالايم" ومر بعدة تولى أربعة عشر ملكا ماتوا جميعا في جاهلية، وتحوّلت المملكة إلى

1- صنعائي من تراث السودان الأوسط - ص 77. وتحوّلت إلى امبراطورية واسعة في 15 هـ. [السعدي: تاريخ السودان - ص 13]

2- نفسه - ص 3.

3- أحمد شلي: موسوعة التاريخ الإسلامي - ج 6 - ص 121.

4- برييه جادو: الاتصالات المختلة بين وادي النيل ومنطقة نهر النيجر - ليبيا الفتية - البروك - 1984 - ص 229-232.

5- أحمد شلي: المرجع نفسه - ص 121.

6- كوكيا: وتعرف كذلك بجاو أو غاو أو كوكو أو كاغ ونفع على الضفة اليسرى لنهر النيجر وكانت عاصمة لدولة صنعائي.

7- السعدي: المصدر السابق - ص 7.

8- نفسه - ص 6، 8.

9- نفسه - ص 2، 7.

الاسلام في عهد الملك الخامس عشر الملك "زاكوسوى". وقد نقل هذا الملك عاصمته من "كوكبا" الى "جاو"

واستمر ملوك صنعائي يحملون اسم زا حتى سنة 733 هـ/1332م حين تعرضت لغزو "منسي موسى" حيث احتل عاصمتها جاو حينما كان في طريق عودته من مكة، وامد نفوذ مالى الى سنة 776 هـ/1375م حين استقل "سي على" بالمملكة من جديد، واستمر الملوك يحملون هذا الاسم "سي" واحذت صنعائي تقوي نفسها، ويتغير لقب الملوك من جديد في عهد الحجاج محمد (1) سنة 899 هـ/1493م الى "اسكيا" ومعناها الغاصب او التاهر. واتسعت المملكة اثناء حكمه لضم "جي" و"نبيكو" (2). وشهدت ازدهارا اقتصاديا وثقافيا ويقول عنها حسن بن محمد الوزان (ليون الافريقي) (3) "ان نبيكو كانت في هذه الفترة مدينة قوية يوجد بها عدد كبير من التفضاة والاطباء واصبحت مركزا ثنائيا بها كتب عديدة". واستمرت مملكة صنعائي في الوجود حتى قام بالاستلاء عليها ملك مراکش خلال القرن العاشر الهجري/السادس عشر الميلادي. (4)

-
- 1- الحجاج محمد: حكم صنعائي من 899 هـ الى 935 هـ/1493-1529م. ثمر حكمه باردهار مملكة صنعائي اقتصاديا وثقافيا ومنه عهده اصبح ملوك هذه الدولة بلقبون باسم الاسكيا، السعدي : تاريخ السودان - ص 72. انظر الجدول ص 185
 - 2- انظر الفصل الخامس - عصر المراكم التجارية - جي ، نبيكو. ص 162، 164
 - 3- وصف اريقيا - ج 2 ص 165.
 - 4- احمد شلي: موسوعة التاريخ الاسلامي - ج 6 ص 272.

ب- الوضع الاقتصادي

1- الزراعة:

ساهمت عوامل عديدة في وجود نشاط زراعي في بلاد السودان الأوسط منذ أقدم العصور منها: انتشار التربة الفيضية الخصبة حول بحيرة تشاد وفي الحوض الأعلى لنهر النيجر، ونوع المساحات منها المنخفض شبه المداري المشير بمطاره الصيفية، ووجود المنطقة في موقع استراتيجي جعلها على اتصال بالخصارات المجاورة لها، سمح بدخول المزروعات منها الحبوب إليها منذ أقدم العصور.

ومن أشهر المزروعات التي عرفت بها المنطقة الحبوب والارز والذرة بالإضافة الى بعض الخضار والفواكه. (1) وذكر الفيلسوف في هذه المزروعات عند تعرضه لمملكة كانم فقال: "بلادهم -أي كانم- قحط شتلف وسوء مزاج، مستول عليها وغالب عيشهم الارز والقمح والذرة، وبلادهم التين والليمون والبادنجان والرطب ويقال ان الاوز ينبت عندهم من غير بذر" (2). ومن الخصائص التي ذكرها القبط الذي يزور في جنوب برنو حيث المناخ مالئهم، وعند تعرضه لمدينة "كاكا" (3) ذكر ان بها الرمان وقصب السكر. (4)

واشتهرت المنطقة بالرعي، فقبائل التبو او التدا والتي هاجرت الى السودان الأوسط خلال القرن الثاني للهجرة/الثامن الميلادي اشتهرت بتربية الابل والماعز والبقرة (5). كما كان السكان يمارسون القصر والجمع وصيد الاسماك خاصة عند سفاف بحيرة تشاد او الأكار منها لمر شاري ولهر النيجر (الحوض الملطي) (6). فالتبائل التي كانت تسكن حول بحيرة تشاد كانوا صيادين مهرة. (7)

المهم ان بلاد السودان الأوسط عرفت الزراعة منذ أقدم العصور، واغلب سكانها كانوا يمارسون الرعي خاصة في المناطق الجبلية المحاذية للصحراء، وساعدت المنطقة على البلدان المجاورة على دخول زراعات كثيرة منها الحبوب...

1 - ملحقان: ملكة برنو الإسلامية - ص 164.

2 - صبح الاعشى - ج 6 - ص 27.

3 - كاككا: هي العاصمة التي انتقل اليها سلطان كانم وامرته بعد هروبهم من نيجري (تقع شرق بحيرة تشاد) العمري: مسالك المستشرقين - ص 44.

4 - الفيلسوف: المصدر السابق - ج 6 - ص 279-281.

5 - محمد عوض محمد: الشعوب والسلالات الأفريقية - الدار المصرية للناليف والترجمة 1965 - ص 356.

6 - كورناف ماربان: معلومات جديدة عن هبة عمر (النيجر) - ليبيا القديمة - بيرنسكر - ص 122.

7 - ابراهيم صالح بونس: تاريخ الإسلام وحياة العرب في امبراطورية برنو - ص 91.

2- الصناعة:

لم تكن بلاد السودان الأوسط تعيش بمعزل عن العالم بل كانت على اتصال بالحضارات المجاورة لها منذ القدم، فقد تأثرت بالحضارة الفرعونية من الشرق واليونانية والفينيقية والرومانية من الشمال. وسمح هذا الاتصال بتطور عدة صناعات منذ ما قبل الميلاد.

فقد عرف "الصو" وهم السكان الاصليون صناعة الحديد وصنعه منذ القرن الاول قبل الميلاد ويعتقد انها وردت من مدينة "سروى"، عاصمة مملكة "كوش" بحوض النيل (1)، ووجدت اثار تدل على ذلك، فقد عثر على افران لبهر الحديد في مدينة "جني" ترجع للقرن الاول الميلادي (2)، وقد اشار هيرودوت (القرن الخامس قبل الميلاد) على وجود مؤثرات مصرية في المجال الصناعي وتطور صناعة الحديد ببلاد السودان، عندما اشار انه المصريين لهم وحدات عسكرية زنجية تحمل اسلحة وهي نفسها وجدت مع الاثار. (3)

وبجانب الحديد، انتشرت صناعة النحاس والبرونز وهي من اقدم الصناعات ترجع الى ما قبل التاريخ (4). وقد اشتهرت مدينة "تكدة" في العصر الاسلامي بهذه الصناعة، وهي مدينة واحة شرقي لمر النيجر اشتهرت بمناجم النحاس وتصديره لمصر وبلاد المغرب. (5)

وعرفت المنطقة تعدين الذهب منذ 300 قبل الميلاد حسب دراسات المؤرخ الفرنسي "موني" (6). وكان يستخرج من مناجم قريبة من الاقليم جنوب مملكة غانة، من غيارو ووقارة. تعرض لذلك الادريسي (7) بقوله: "وشرقي غانة ارض ونقارة ارض التبر، بينهما ثمانية ايام، وهي جزيرة كبيرة محيطها النيل".

واوضح البكري (8) (القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي) ان "هناك انوغا من الذهب، يستصفينها الملك لنفسه ويترك ما دونه لرعاياه حتى ينحط سعر الذهب وهو يستخرج من منطقة غيارو". وعرف سكان السودان الاوسط منهم "الصو" صناعة الزجاج نقلوها عن الفينيقيين وعرفوا غزل القطن وحياته (9). وكان لهم ادوات فخارية مزلية ذات قيمة عالية من الناحية الفنية، حيث كانوا يستعملون طريقة "صب القالب" في صناعة التماثيل. (10)

1- BASIL DAVIDSON - cop - cit - T1 - P 80.

2- MAUNY - Tableau géographique de l'ouest Africain au moyen âge - Paris 1961 - P 307.

3- HERODOTE - - cop - cit T 4 - P 143.

4- القبط: الاتصالات الخمسة بين وادي النيل الاوسط ودر فجبر - ليبيا القديمة - الميسكو 1984 - ص 22

5- ابن بطوطة: برقة ابن بطوطة، ص 298

6- MAUNY, cop - cit- p 307

7- برقة الشناق - ص 39..

8- المغرب - ص 188.

9- Herodote cop - cit - pl 43 - ص 1-13.

10- عماد حنيفة: في ارض السودان - المائدة الكاتوليكية - بيروت 1962 - ص 18.

10- جزائف جرات: الاسلام في ممالك وامبراطوريات ارض السودان - ص 90.

اما من الناحية العمرانية، فقد اقام القسرو مدنا محاطة بأسوار ضخمة مبنية بالطوب الاحمر، وخلفوها لمبان عظيمة ومدناً كبيرة منها برج مشيد بالطين والحنارة مازال موجودا الى يومنا هذا في مدينة غلفي وهو ما يدل على تطور صناعة البناء منذ زمن بعيد. (1) وما نستخلصه من هذا العرض ان سكان السودان الاوسط عرفوا صناعات عديدة منذ ما قبل التاريخ، وانهم اقاموا حضارة هي مريخ مسن ثقافة شعوب نهر النيل والثقافة التي كانت سائدة بين القبائل التي كانت تعيش حول بحيرة تشاد.

1- ابراهيم صالح بونس: تاريخ الاسلام وحياة العرب في امراضهم كتاب - ص 91.

3- التجارة:

ان اتصال بلاد السودان الاوسط بالشمال قديم، لقد أهم القرطاجيون ومن بعدهم الرومان بالحلقة مع هذه المنطقة، وهذا من اجل جلب سلع غديدة منها الرقيق والذهب وريش النعام والعاج والانسجة والنحاس.

فخلال القرن الخامس قبل الميلاد تعرض المؤرخ اليوناني هيرودوت عندما زار افريقيا وكتب ما فحواه "ان الجرمانيين (سكان جزمة بجنوب ليبيا) يغزون الاثيوبيين (سكان السودان) الذين تقع اراضيهم جنوب صحراء ليبيا، واستعملوا في ذلك عربات تجرها الخيول، وكان هدفهم هو جلب الرقيق والذهب". (1)

كما كان للقرطاجيين نشاط تجاري داخل القارة الافريقية، فقد تحصلوا على الياقوت من "جرامش" (فزان) وكانوا يقايضون سلعهم التجارية بالتبر النفيس مع اهل المنطقة (2)، ففي النصف الاول من القرن الرابع قبل الميلاد قام الرحالة القرطاجي حنون برحلة عبر سواحل افريقية الغربية، وكانت هذه الرحلة متكونة من سبعين سفينة، واستطاع من خلالها تاسيس عدة مستعمرات في مدن ساحلية، ووصل الى مدينة "سيرين" (جنوب ليبيا)، وتوغل الى داخل القارة من الساحل الغربي. وعبر فزان كان يعبر بالتاماسيح وافراس النهر (قد يكون نهر السينغال) وصادفه بركان كبير في آخر مرحلة الرحلة. (3)

وبعد تدمير قرطاج واحتلال الساحل الليبي خلال القرن الثاني قبل الميلاد، توغل الرومان نحو الجنوب لجلب العاج والعبد، وللسيطرة على تجارة الصحراء قاموا بعدة حملات داخل الصحراء. ففي سنة 19 ق م زحف البروقنصل كارلتوس باليوس على الجرمانيين (سكان جزمة) واحتضع العديد من مدغم وقلاعهم منها جزمة وكيداموس (غدامس)، وفي سنة 10 م خرج القائد التوميدي ستيسوس فلاكوس نحو فزان وسار مسدة ثلاثة اشهر، وهو ما يدل على وصوله الى بلاد الاثيوبيين (اهل السودان). (4)

ورغم الحصون التي اقاموها على حدود الصحراء، الا ان الرومان كانوا يتعرضون من حين لآخر لهجمات القبائل الصحراوية او ما يسمونه "كرماتين". ولذلك اقدموا سياسة جديدة تستل في التقرب لهذه القبائل وجعلها حلفاءهم، فاصبح اهل الصحراء وسطاء بينهم وبين الاثيوبيين (5). وكانوا يضنون تنقل السلع منها الياقوت والرقيق وريش النعام والحيوانات المفترسة نحو الشمال. اما الرومان فيصدرون الخمور

والمواد المعدنية والمنسوجات والاولان الزجاجية. (6)

1 - HERODOTE ^{op - cit} - T 2 - P 83.

2 - جمال مختار: تاريخ افريقيا العاد - جون اريك - البرنسكو - 1975 - ج 2 - ص 505.

3 - دونالد إيدز: تاريخ افريقيا جنوب الصحراء - ترجمة على احمد وسامي عطاش - مؤسسة العرب القاهرة - 1976 - ج 1 - ص 25.

4 - رياض زاهر: تاريخ كشف القارة الافريقية منذ اقدم العصور - مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة 1969 - ص 57.

5 - واي انلاه: العصر الروماني وبعده في شمال افريقيا - تاريخ افريقيا العام - البرنسكو - الفصل 13 - ج 2 - ص 503.

6 - نفسه - ص 503.

ومن الاساليب التي كانوا يتعاملون بها مع اهل السودان هي التجارة الصامتة. وقد تعرض خا هيرودوت (1) عندما كتب عن التجار القرمطاجيين. فقال: "... كان التجار البيض يثثون مراس سفنهم في غرض البحر ويحملون بضائعهم على زوارق الى البر. حيث كانوا يضعون بقرب كل كومة منها شئ من النر والذهب وبنارون ويعود التجار الى البر ويقابلون بين البضاعة والشن فاذا توازنت القيسة حملوا الشن وتركوا للسود البضاعة....".

واستمرت التجارة الصامتة او تجارة المقايضة في العهد الاسلامي وذلك قبل شيوخ استعمال النود والذهب. وقد اورد المسعودي (2) وصفا لها عند حديثه عن مملكة غانة قال: "وملكها -أي ملك غانة- عظيم الشأن ويتصل ببلاد معادن الذهب وبها مناخم عظيمة ولهم خط لا يتجاوز من صدر اليهم. فادوا وصلوا الى ذلك الخط جعلوا الامتعة والاكيسة عليه وانصرفوا. فياتي اولئك السودان ومعهم الذهب فيتركونه عند الامتعة وينصرفون وياتي اصحاب الامتعة فان ارضاهم والا عادوا ورجعوا. فيعود السودان فيزيدونهم حتى تتم المبايعة، كما يفعل التجار الذين يبايعون القرنفل من اهل سواحل. وربما رجع التجار بعد زوالهم مختفين، فوضعوا النير في الارض فيسبل الذهب فيسرقه التجار ثم يهربون لان الارض كلها ذهب عندهم ومعادن ظاهري، وربما فطنوا بهم فيخرجون في انارهم وان ادركوهم قتلوهم".

- HISTOIRE D' Herodote - T 2 - P 84 - 1
2- احبار الرمان - ص 139.

ج - الوضع الاجتماعي والثقافي

1- الوضع الاجتماعي:

سكنت السودان الاوسط قبل الاسلام بمجموعات بشرية كثيرة منها قبائل الضمير، وبتسرون السكان الاصليين للمنطقة، وقد يكونون من المكسوس الذين فروا من مدينتهم مروي اثر سقوط مملكتهم كوش على يد مملكة اكسوم (1) خلال القرن الرابع الميلادي، ومملكة كوش هي مملكة قديمة تقع بالسودان الحالي غاصبتها مروي. ظلت قائمة لمدة الف عام (من 650 ق م الى 350 م) بلغت درجة كبيرة من الازدهار وكانت لها علاقات تجارية وثقافية مع المناطق المجاورة لها منها المنطقة المحيطة بحيرة تشاد (2)

واستطاع المصريون قبضة على حضارة قديمة تميزت بخصائص منها تأسيس مدن محاطة بأسوار ضخمة مبنية بالطوب الاحمر، كما عرفوا صناعة الحديد في وقت مبكر بالاضافة الى صناعة النحاس والفضة (3). وتعرض القصور لمجرات بربرية من الشمال خلال القرن الثاني الهجري/السابع الميلادي، وقد تكون هجرة قبائل التبو او التيدا المسلمين الذين اتحدوا مع السكان الاصليين وتمازجوا معهم بالمصاهرة، وأسسوا اول مملكة ببلاد السودان الاوسط، اطلق عليها مملكة الزغاوة (4). وورد اسم الزغاوة عند البعثي (5) فذكر بانهم "كانوا يتزلون موضع يقال له كاتم ومنازلهم اخصاب القصب وليس لهم مدن ويقال لمكهم كلاك". وقال عنهم ابن حوقل (6) بان الزغاوة كانوا يسكنون كاتم وانهم مازالوا كثرنا بتدسون ملكهم. اما الادريسي (7) فاعتبر الزغاوة مدينة على مسيرة ايام من انجمي ومملكتهم مجاورة لفزان وتضم كوار. وذكر ياقوت الحموي نقلا عن المهلبي (1) بان "مملكة الزغاوة مملكة عظيمة وهي من ممالك السودان". (8)

- 1- اكسوم: هي عاصمة مملكة اثيوبية قديمة، تقع في شمال هضبة الحبشة، تأسست خلال القرن الاول الميلادي، وتوسعت غربا حتى وصلت اراضي كثيرة منها كوس سنة 350 م. [البشار: الاتصالات المختلة بين حوض النيل ومنطقة البحر - ص 198]
- 2- المرجع السابق - ص 198.
- 3- جبران جوزاف: الاسلام في ممالك وامراتيات افريقيا - ص 90.
- 4- طرخان على ابراهيم: مملكة بربر الاسلامية - ص 8.
- 5- التاريخ - ج 1 - ص 156.
- 6- صورة الارض - ص 91.
- 7- نزهة المشتاق - ص 46.
- 8- المهلبي: موزج عاصر في الصحف الثاني من القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي في القاهرة، مؤلفه مشهور، و برعوان "الغرم" اعداد لمدينة العاطمي العزيز (385 هـ/995 م) ونقل عنه عدد من المؤرخين والجغرافيين منهم ياقوت الحموي. - معجم البلدان - ج 4 - ص 391.

كما هاجرت الى المنطقة مجموعة من قبائل الطوارق⁽¹⁾، وموطنهم الاصلي الصحراء. وهم احسن
فروع صنهاجة (2)، حيث استقروا المنطقة وكان لهم الفضل في انتشار الاسلام بالسودان الاوسط.
وما نستخلصه من كل ما سبق ان بلاد السودان الاوسط كان يسكنها مجموعات سكانية عديدة
منها الصو، ثم تعرضت لهجرات اجنبية متتالية من الشمال، من بينها هجرة قبائل النيو او النيدا
والطوارقوهم فروع من بربر الصحراء خلال القرن الثاني والثالث الهجريين/السادس والتاسع الميلاديين.

2- المعتقدات الدينية:

كانت تسود بلاد السودان الاوسط العقائد الوثنية قبل وصول الاسلام. ومن بين الديانات البدائية
المنتشرة، تقديس الظواهر الطبيعية وارواح الاجداد او تقديس ارواح وهمية غامضة، وقد تكون للابلطال
والرؤساء، وما زالت بعض القبائل تمارس الطوطية الى يومنا هذا، وهو الاعتقاد باصل من الحيوان او النبات
لهذه الجماعات البشرية وتطور هذا الاعتقاد الى تقديس الحيوان او النبات او عمن تمثل له يطلق عليه
الطوطم. (3)

ونظرا للموقع الجغرافي للسودان الاوسط، وباعتباره منطقة مرور للتجار من الشرق الى الغرب ومن
الشمال الى الجنوب، تأثر اهله بالحضارات المجاورة لهم منها الحضارة الفرعونية من الشرق والحضارة
القرطاجية والرومانية من الشمال.

ومن المعتقدات الدينية التي انتقلت الى المنطقة، الديانة الفرعونية والمتمثلة في عبادة الاله المصري "امون" وهو
اله يظهر في شكل راس بشرية بقرون الكباش، وهو موجود في مختلف الالهة المصرية (4)، ودلت الحفريات
التي قام بها كل من اركل وسوني وكونراد على وجود اثار ذلك منها: تماثيل مصرية من الخزف البرونز
على شكل راس الخروف وهي ترمز للاله المصري القديم "امون رع" (5)، ومن الاساطير المنتشرة بين
السكان، تعتبر قبائل الماندينجو ان اله الرعد يتمثل في شكل راس خروف.

كما تأثر السكان بالمعتقدات القرطاجية، منها صنع اقنعة ومسوخ طينية تحتل اشكالا بسيطة يرتديها
الانسان و يضعها في منزله او مقبرته لاحافة القوى الشريرة وبالتالي ابعادها عنه. كما كانوا يقدمون
القرابين البشرية للآلهة. (6)

1- ابن خلدون: العبر - ج 6 - ص 373.

2- انظر الفصل الرابع من البحث، مصدر الطوارق ودورهم في نشر الاسلام، ص 81.

3- شليي احمد: موسوعة التاريخ الاسلامي - ج 6 - ص 45.

4- غزال احمد حسن: اصواء جديدة على التمييز بين امون ليبيا وزوس فورية - ليبيا القديمة - ابوسكرو - ص 1988 - ص 197.

5- جبران جوزاف: الاسلام في شمال إفريقيا والجزائريات إفريقيا السوداء - ص 90.

6- الشافري: المغرب الكبير - دار النهضة العربية - بيروت 1987 - ج 1 - ص 218.

ونتيجة لهذه المعتقدات الوثنية التي انتشرت بالمنطقة، ظهرت عادات وتقاليد منها ذبح الذبائح وتقديم الانسان قربانا وواد الاطفال وصب دماء الفساحيا على ابواب المدن، والمحدث من هذه الاعمال في رايهم هو جلب البركة ودفع الشر والشر، ويعتقدون ان لم يفعلوا ذلك اصابهم الدحط والخفاف. (1)

اما عادات الدفن فتتمثل في دفن الملك ومعه المقربون اليه من خدم، فضلا عن طعامه وشرايه وحنينه، ووصف البكري (2) هذه العادات بقوله "بان دياتهم الماجوسية وعبادتهم الدكاكير - أي الاصنام - فاذا مات ملكهم يدفن معه شرايه وطعامه وحليه وخدمه".

ولما انتشر الاسلام بالمنطقة حارب هذه الظواهر والتي تعتبر من الرذائل خاصة تقديم الانسان قربانا وواد الاطفال، وعدم الاغتسال وعدم ارتداء الملابس، وبعد اعتناق السكان للاسلام اصبحوا يرتدون الملابس ويتأنقون في ارتدائها ويكثرون الاغتسال لان الشريعة الاسلامية تأمر بالطهارة. (3)

والمهم من كل هذه الشواهد، ان المعتقدات الوثنية هي التي كانت سائدة في المنطقة قبل الاسلام، وان الديانات السماوية وهي اليهودية والمسيحية لم يكن لها وجود، رغم اتصال المنطقة عن طريق التجارة مع ممالك المنطقة المجاورة لها منها مملكة كوس واكسوم، ورغم وجود مجموعات يهودية في بعض الواحات الصحراوية، ويعتبر الاسلام هو الدين المساوي الوحيد الذي دخل المنطقة وان المسيحية لم تنتشر الا بعد وصول الاوروبيين وقيامهم بالتبشير الديني في اطار الحملة الاستعمارية الحديثة. (4)

1- حسن ابراهيم حسن: انتشار الاسلام والثقافة العربية في البريقية - ص 79.

2- المغرب - ص 176.

3- حسن ابراهيم حسن: المصدر السابق - ص 79.

4- ابراهيم صالح بونس: تاريخ الاسلام وحياة العرب في امبراطورية كام - ص 49.

الفصل الثاني

انتشار الاسلام بالسودان الاوسط عن طريق الفتح

أ - الغزوات الاسلامية لبلاد السودان خلال القرنين الاول والثاني للهجرة/السابع و الثامن الميلاديين:

- 1- حملة عقبة بن نافع لبلاد كوار.
- 2- حملة موسى بن نصير الى السوس

الاقصى.

ب - غزوة المرابطين لبلاد السودان.

أ- الغزوات الإسلامية لبلاد السودان خلال القرنين الأول والثاني للهجرة:

1- حملة عقبة بن نافع لبلاد كوار:

بعد مشاركته في فتح مصر مع عمرو بن العاص سنة 644/هـ 20م، تولى عقبة بن نافع قيادة جيش من جيوش المسلمين في فتح برقة سنة 645/هـ 21م، وأكتسب من معارك فتح مصر خبرة عملية في إدارة القتال، وبرزت مواهبه القيادية مبكرة، وقد بعثه عمرو بن العاص على رأس جيش من العرب المسلمين إلى زويلة، ففتحها صلحا وصار بين برقة وزويلة سلما للمسلمين، وكان ذلك سنة 645/هـ 21م، ثم ولده واليا على برقة. يذكر ابن عذارى (1) في هذا الصدد: "... ووجه منها (أي من مصر) عقبة بن نافع الفهري إلى لوبية وإفريقية فأفتحها ثم جاء عمرو بنفسي إلى برقة فصالح أهلها على الجزية... وتوجه منها إلى طرابلس ففتحها بعد إستغاثة أهلها بقبيل من البربر يقال نفوسة..".

وبعد عزل عمرو بن العاص عن مصر سنة 649/هـ 25م، وفي خلافة عثمان بن عفان تولى سعد بن أبي السرح مكانه على مصر، فأقر هذا الأخير عقبة على منصبه قائدا الأخير على حامية برقة، فشهد فتوحات في إفريقية وأبلى في جهاده وحمل الحدود الغربية لمصر من هجمات الروم، كما حمى منطقة برقة والتي أصبحت منطقة ينطلق منها المسلمون فتح إفريقية (2).

وفي سنة 649/هـ 46م، خرج إلى أدامس (3)، ثم انطلق منها إلى ودان وهي من المدن القديمة في الصحراء الليبية وكانت عاصمة الإقليم زمن الفتح الإسلامي (4)، وافتتحها بسر بن أرطاة سنة 647/هـ 23م ولكن أهلها نقضوا عهدهم مع المسلمين، فسار إليها عقبة في أربع مائة رجل وثمان مائة فرس ماء، على كل جمل قربتان ماء، فلما وصلها أبي أهلها إلا العصيان، فأفتحها وأخذ ملكهم فجدع أذنه، فقال: لما فعلت هذا بي وقد عاهدتني؟ فقال عقبة: "فعلت هذا بك دبا لك، إذا أمست أذنك ذكرته فلم تحارب العرب، فأستخرج منهم مما كان بسر بن أرطاة فرضه عليهم سنة ثلاث وعشرين الهجرية، ثلاثمائة رأس وستين رأسا من العبيد". (5)

ثم سألهم هل من ورائكم أحدا؟ فقليل له جرمة فسار إليها ثمانين ليلا من ودان، فلما دنا منها أرسل فدعاهم للإسلام، فأجابوا فتزل منها بلى ستة أميال، وخرج ملكهم يريد عقبة، وأرسل عقبة خيلا فحالت بين ملكهم وبين موكبه، راجلا حتى أتى عقبة، وقد أصابه التعب فجعل يبصق الدم، فقال له: لم فعلت هذا بي وقد أيتك طائعا؟ فقال عقبة: أدبا لك إذا ذكرته لم تحارب العرب وفرض عليه ثلاثمائة وستين عبدا. (6)

1- ابن عذارى: البيان المغرب - ج 1 - ص 8

2- ابن الأثير: أسد الغابة في معرفة الصحابة - القاهرة 1286 - ج 3 - ص 234

3- الحصري: معجم البلدان - ج 6 - ص 268

4- نفسه - ج 8 - ص 405

5- ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب - ص 60

6- نفسه - ص 60

و يذكر ابن الحكم (1) أن عقبة واصل سيره إلى قصور فزان فافتحها قصرا قصرا ، و لكنه عجز عن فتح حصن خاوار ، بعد حصار دام شهرا و انتهى إلى قصور كوار فافتحها و أدب ملكها بأن قطع له أصبعاً ، و فرض عليه ثلاثمائة و ستين عبداً . و كان عقبة في نيته أن يمضي قدما في مجاهل الصحراء ، فسأل أهل كوار : " هل من ورائكم أحد ؟ فقال الدليل : ليس عندي بذلك معرفة ولا دلالة ، فانصرف عقبة راجعا " .

فمر بقصر خاوار فلم يعرض له و لم يترل بهم ، ثم سار ثلاثة أيام ، فامنوا و فتحوا مدينتهم ، أما عقبة فأقام بموضع صحراوي جذب ، فأصاب أصحابه العطش فدعا الله أن ينقذهم فاستجاب الله لدعائه ، إذ اندفعت المياه في موضع كان فرسه ينقب برجليه فيه ، فسمى الموضع بماء فرس ، ثم باغت عقبة أهل خاوار من طريق آخر و دخل الحصن ، فاستباح ما فيه من اموال (2) .

و انصرف عقبة بعد فتح خاوار إلى زويلة ، و منها إلى معسكره بسرت ، و ذلك بعد غزوة دامت خمسة أشهر ، و تفرغ بعد لذلك لغزو القيروان ، و اعتمر حسين مؤنس (3) أن تاريخ الحملة كان سنة 49 هـ بدل سنة 46 هـ حسب ما أورده ابن عبد الحكم و البكري . و رأى أن عقبة قضى خمسة أشهر في حملته الصحراوية التي ذكرناها ، ثم عاد إلى معسكره بسرت حيث قضى فترة كافية أراح فيها جنده و خيله و هناك و لاه معاوية بن أبي سفيان إمارة إفريقية ، فسار من سرت إلى إفريقية ، و قام بحمل جديدة بعد و صول الإمدادات ، و الثابت أن القيروان أسست سنة 50 هـ و لا يعقل أن تستغرق غزوته مدة طويلة . و ورد في المصادر الإسلامية أن عقبة و لي إفريقية في نفس السنة .

و الملاحظ أن عقبة بن نافع تغلغل في الصحراء بقوات قليلة ، لأنه كان يعرف عدم و جود قوات رومانية تستطيع القتال في هذا الميدان ، كما أن سكان الصحراء لا يمتلكون قوة كبيرة لقلة عددهم و يمكن التغلب عليهم ، و لهذا كان الهدف لهذا الفتح الصحراوي هو الاستيلاء و معرفة المناطق الجنوبية ، و ربما لفتح الطريق أمام التجار و العلماء للإتصال ببلاد السودان . (4)

و فعلا تحولت كوار فيما بعد إلى مركز تجاري كبير ، يتم فيه تبادل السلع منها الرقيق ، و قد بني بها مسجد ، و منها انتشر الإسلام بين أهل السودان . (5) و عن طريق فزان كوار هاجرت القبائل البربرية المسلمة إلى إقليم تشاد و أقامت هناك ، كما انتشرت عبر هذا الطريق المساجد والزوايا والربط مما سهل انتشار الإسلام (6)

1- فتوح مصر و المغرب - ص 60 .

2- نفسه - ص 62 .

3- فتح العرب للمغرب - القاهرة 1946 - ص 138 .

4- عبد العزيز سالم : المغرب الكبير - ج 2 - ص 195 .

5- اليعقوبي : البلدان - ص 345 .

6- حسين مؤنس : الإسلام الفاتح - ص 91 .

وقام عقبة بن نافع بحملة عسكرية أخرى وهذه المرة في المغرب الأقصى، وقد يكون اجتاز الصحراء الكبرى ونفذ إلى ضفاف نهر السنغال والنيجر، وأدى ذلك إلى إنتشار الإسلام بين أهل السودان، يقول القلقشندي (1) أن أهلها قد أسلموا في أول الفتح الإسلامي، وتذكر المصادر التاريخية بأن عقبة بن نافع قد قضى على مقاومة قبيلة مصمودة وتحالف مع زناتة ووصل زحفه إلى مدينة ماسة بالسوس الأقصى، حيث يذكر الإدريسي (2) أنه وصل إلى مدينة نول على ساحل المحيط ثم فتح مدينة تاوندت مطاردا أمامه مسوفة ولتونة، وقصد مدينة انجلي وبنى فيها مسجدا ودعا قبائل المنطقة إلى الدخول في الإسلام فأجابته قبائل جزولة أتوه فأسلموا وعادوا إلى منازلهم. وأشار ابن حوقل (3) في هذا الصدد أن أهل تاوندت يتمذهبون بمذهب المالكية. ومن الملاحظ أن بناء مسجد ماسة يثير جدلا كبيرا بين المؤرخين. (4)

وبذلك تكون حملة عقبة بن نافع لها دور محدود في انتشار الإسلام ببلاد السودان منذ القرن الأول الهجري/السابع الميلادي رغم أنها لم تدم إلا مدة قصيرة فقد كان عقبة بن نافع يبني مسجدا في كل منطقة يصلها ويترك فيها الدعاة ومن يعلم القرآن ومبادئ الإسلام، يذكر ابن عذارى (5) عن فتح عقبة لبلاد السوس الأقصى: "...وقد كان عقبة بن نافع ترك فيهم بعض أصحابه يعلمونهم القرآن والإسلام". وقد يكون لعقبة بن نافع أهداف عسكرية محدودة تتمثل في تأمين المناطق الجنوبية لبلاد المغرب (6).

1- صحح الأعشى - ج 5 - ص 284

2- نزهة المشتاق - ص 131

3- صورة الأرض - ص 131

4- سعد زغلول: تاريخ المغرب العربي - تأليف أحمد فكري - دار المعارف - 1965 - ص 53

5- البيان المغرب - ج 1 - ص 37

6- حسين مؤنس: الإسلام الفاتح - ص 11

2- حملة موسى بن نصير في السوس الأقصى :

بعد أن أكمل موسى بن نصير فتح المغرب منها مدينة طنجة ، وجد أن البربر قد فروا إلى أقصى الغرب خوفاً من بطش العرب لهم ، فتبعهم بجيش كبير واسع قلاعهم ومعقلهم حتى بلغ السوس الأدنى ، وهي بلاد درعة ، أرسل ابنه مروان إلى السوس الأقصى سنة 86 هـ - 705 م وكان ملك البربر في ذلك الحين رجلاً يعرف باسم مزدان الأسواري ، فاشتبك جيش البربر في قتال عنيف ، سفر عن هزيمة أهل السوس ، وبلغ سيدهم في هذه الغزوة أربعين ألفاً . (1) وهو رقم مبالغ فيه يذكر ابن عذارى (2) " .. ثم وجه ابنه مروان فأتى بمثلها فكان الخمس يومئذ ستين ألفاً فكتب موسى إلى عبد العزيز يعلمه بالفتح ، ويعلمه الخمس بلغ ثلاثين ألفاً وكان ذلك وسماً من الكاتب ، كتب ثلاثين ألفاً بدلاً من ستين ألفاً . فلما قسراً عبد العزيز بن مروان الكتاب ، أستكمل ذلك ورأى أنه وهم من الكاتب لكثرتة ."

وقد أحدثت غزوات موسى هزة تبرى بين قبائل البربر فآخذوا في إعلان خضوعهم والدخول في طاعة المسلمين و اعتناق الإسلام . والمهم في هذه الغزوة هو استيلاء على مدن لها أهمية كبرى في نشر الإسلام ببلاد السودان ، منها درعة وأغمات (3) التي بُني فيها أول مسجد (4) أضحى منذ ذلك الوقت مركزاً إسلامياً هاماً لعب دوراً كبيراً في نشر الإسلام والثقافة العربية في بلاد السودان ، أما في المجال التجاري فقد أصبحت من المدن المهمة في جلب الرقيق (5) .

إن حملة موسى بن نصير لبلاد السوس الأقصى لها أهمية بالنسبة للسودان الأوسط والغربي ، فهي مكنت أهالي هذه المنطقة من الاتصال بالمسلمين والإطلاع على ثقافتهم من خلال المراكز التي أقاموها والمتمثلة في المساجد ، كما سمحت للتجار المسلمين التوغل داخل الصحراء ببلاد السودان ونشر الدعوة الإسلامية وحقق حملات موسى بن نصير في المغرب الأقصى نجاحاً باهراً وقد بداها بأن أخضع قبائل البربر التي خرجت عن الطاعة بعد مسير حسام إلى الشرق (6) أو لم تكن قد خضعت بعد للعرب فجهز لها جيشاً كبيراً فاضع طنجة ثم تتع القبائل الهاربة نحو الجنوب ووصل إلى السوس الأدنى وسجل ماسة ووادي درعة وأرسل إلى السوس الأقصى جيشاً بقيادة ابنه مروان قوامه خمسة آلاف رجل كما سير قائده زرع بن أبي مدرك إلى بربر مصمودة في الأطلس العليا (7) .

ونجحت الحملتان فرجع مروان بسير كبير . وأحدثت غزوات موسى هذه هلعاً وخوفاً حتى أخذ البربر يستأمنون العرب على أنفسهم ويتسابقون في إسلامهم (8) . ويتضح مما سبق ذكره أن حملة موسى بن نصير وعقبة بن نافع رغم أثرهما الخدوديين في انتشار الإسلام ببلاد السودان إلا أنه مكنتا سكان السودان الاتصال بالمسلمين والإطلاع على ثقافتهم من خلال المراكز والمساجد التي أقاموها في المناطق التي تم فتحها جاء عن ابن عذارى (9) : " وفي سنة 85 هـ ، وفي هذا التاريخ تم إسلام أهل المغرب الأقصى ، وحولوا المساجد التي كان ناهيها المشركون إلى القبلة ، وجعلوا المنابر في مساجد الجماعات ، وفيها صنع مسجداً أغمات "

1- ابن عذارى: البيان - ج 1 - ص 40 ، - ابن عدا: الحكم: فتوح مصر والمغرب - ص 276

2- نفسه - ج 1 - ص 40

3- أغمات: "مدينة يكفها جبل درن.. أهلها مواراة من قبائل البربر المنبريين بالمخاورة وهم لغار مياسر... يدخلون بلاد السودان.. " الإدريسي: نزهة المشتاق - ص 135

4- علي جمالو: العلاقات التجارية بين المغرب وبلاد السودان - ص 323

5- عبد العزيز سالم: المغرب الكبير - ج 2 - ص 25

6- ابن الأثير: الكامل في التاريخ - القاهرة - 49 - ج 4 - ص 259 ،

7- ابن عذارى: المصدر السابق - ص 42

8- نفسه - ص 43 ،

9- نفسه - ج 1 - ص 43

ب- غزوة المرابطين لبلاد السودان في القرن ١١/٥م:

بعد ان استطاع المرابطون القضاء على امارة برغواطة (1) بشمال المغرب الأقصى، وقضى لهم على الضلالات والبدع التي عمت المنطقة في هذه الفترة، وجهوا جهادهم نحو الجنوب، وبدأوا في اخضاع المناطق الشمالية لبلاد السودان، فاجتاحوا اودغست عام ١٠٥٦/٤٤٨م عقابا لها على تعاون ملكها مع مملكة غانة، ثم اتجهوا بعد ذلك الى مدينة غانة. (2)

تزعّم حركة الجهاد هذه الأمير ابو بكر بن عمر، وهو ابن عم يوسف بن تاشفين الذي قبض على زمام الأمور بالمغرب الأقصى، فقد جهز الحملة العسكرية نحو غانة سنة ١٠٦٠/٤٥٢م (3)، وكان الهدف منها حرّ القضاء على فتنة نشبت بين قبائل الصحراء والقضاء على تمرد بعض القبائل وهذا حسب رواية ابن ابي الزرع (4) حيث يقول: "...قدم عليه رسول من بلاد القبلة فأخبره باختلال الصحراء وكان الأمير أبو بكر رجلا صالحا كثير الورع فلم يستحلي قتال المسلمين وسفك دمائهم فخرج على السير الى الصحراء ليصلح احوالها ويقيم بها ليحارب الكفار من السودان... وخرج الى غزو بلاد السودان فحاربهم حتى فتح بلادهم مسيرة ثلاثة أشهر..." وفي رواية أخرى ذهب لجهاد كفار السودان والقضاء على الطقوس الوثنية التي كان يمارسها سكان المنطقة، وفي نفس الوقت السيطرة على الطريق التجاري. (5) ومن الملاحظ ان غزوة المرابطين لغانة اعتمدت على قبائل الدوننكة التي دخلت الإسلام قبل ذلك. فالمرابطون استخدموا أهل السودان في جيو شهم وصاروا يكونون حرسا خاصا، فيوسف بن تاشفين أستعملهم حراسه الخاصين وقدر عدد السودان من السوننكة والسير والفولاني الذين صاحبوا جيش المرابطين في حرركاتهم المتعاقبة نحو الشمال بأربعة وشرين ألفا. (6)

واستولى ابو بكر على مملكة غانة سنة ١٠٧٦/٤٦٨م، ودخل ملكها تنكامين السوننكي الإسلام، وبإسلامه دخل عدد كبير كن العاصمة وغيرها من المدن الإسلام. (7) والمحقق ان الكثير من سكان غانة قد اعتنق الإسلام قبل القرن الخامس هجري بفضل التجار والدعاة، فدعوة المرابطين انطلقت من الصحراء واول

1- إمارة برغواطة: إمارة بربرية أسسها صالح بن طريف، ومن سكانها قبيلة مصمودة، وتقع في شمال المغرب الأقصى، انتشرت بها البدع والضلالات ولذلك حاربها الإدارة ولكنهم لم يستطيعوا القضاء عليها، حتى جاء المرابطون فأستولوا عليها سنة ٤٥٠هـ. (ابن خلدون: العبر - ج 6 - ص 207-209)

2- طرخان: غانة في العصور الوسطى - ص 10

3- السلاوي: الإستقصاء - ج 2 - ص 21

4- روض القرطاس - ورقة 92

5- ابن أبي دثار: المناس - ص 107

6- طرخان: المرجع السابق - ص 102

7- ابن خلدون: المصدر السابق - ج 6 - ص 27

ملك منهم تبلوتان بن تيكلان الصنهاجي اللمتوي كان ملك الصحراء بأسرها ودانت له ملوك السودان وأدوا له الجزية وكان ذاك إمام الإمام عبد الرحمان الداخل القائم بأمر الأندلس وقد توفي سنة 222هـ (1). ومن دلائل انتشار الإسلام بغانة أن فتح الأمير أبو بكر لها هو ما ذكره البكري (2): "مدينة غانة مدينتان سهيلتان أحدهما المدينة الإسلامية التي يسكنها المسلمون وهي مدينة كبيرة فيها إثنا عشر مسجداً، إحداهما يجتمعون فيها ولها الأئمة والمؤذنون، وفيها الفقهاء وحملة علم..".

وقال القلقشندي (3) أن: "أهل غانة أسلموا أول الفتح". إن هذه الروايات تبين أن سكان غانة دخلوا الإسلام في وقت مبكر وأن بعض ملوكها اعتنقوه منذ القرن الثالث الهجري وعملوا على نشره بين القبائل السودانية، ولكن الوثنية بقيت سائدة إلى أن جاءت غزوة المرابطين. ورغم أن حكم المرابطين لم يدم وقتاً طويلاً وأنهى بوفاة الأمير أبي بكر سنة 480هـ/1087م (4) إلا أنهم وضعوا حداً لأكبر دولة وثنية ببلاد السودان وهذا ما يدل أن الفتح لم يكن العامل الأساسي في انتشار الإسلام بل هناك عوامل أخرى منها أن الإسلام له صلة وثيقة بنفسية الإفريقي، ذلك أن تقارباً عظيماً قد ربط بين عقلية الإفريقي والتقاليد الإسلامية (5) وأن الشعوب الإفريقية تأخذ من الإسلام العناصر التي تتفق وطبيعتها القومية وطريقتها في الحياة. فكل المسلمين يقدسون الشريعة الإسلامية ويرون أنها شعار الإسلام إلا أنهم في الوقت نفسه يطيعون العادات التي ألفوها قبل الإسلام عن طريق الملاءمة بينها وبين الشريعة الإسلامية (6).

1- ابن أبي دينار: المونس-ص104

-ابن أبي الزرع: روض القرطاس- ورقة 1.

2- المغرب-ص175

3- صح الأعشى- ج4-ص284

4- السلاوي: الاستقصاء- ج2-ص11

5- نعيم فلاح: إفريقيا الغربية في ظل الإسلام- مكتبة الأطلس- دمشق-ص135

6- أحمد إبراهيم دياب: لمحات من التاريخ الإفريقي الحديث-ص76

الفصل الثالث

انتشار الإسلام بواسطة الهجرات العربية

-تطور علاقات العرب مع بلاد السودان بين القرنين الأول والخامس الهجريين

- 1 - أسباب الهجرات العربية إلى بلاد السودان .
- 2 - هجرة بني أمية إلى بلاد السودان .
- 3 - هجرة التجار العرب ودورهم في نشر الإسلام .
- 4 - قضية النسب العربي للأسر الحاكمة في السودان الأوسط .
 - أ - نسب ملوك كانم "لسيف بن ذي يزن " .
 - ب - نسب ملوك صنغاي " لز الأيمن " .
 - ج - نسب الهوسا إلى " بابا جيد " أو " ابويزيد البغدادى " .
 - د - نسب ملوك كانم " لعثمان بن عفان " .
- 5 - الأثر الثقافي للهجرات العربية على السودان الأوسط .

-تطور علاقات العرب مع بلاد السودان :

إن علاقات العرب بأهل السودان ترجع إلى القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي ، بعد الفتوحات الإسلامية لبلاد المغرب ، حيث تمكن العرب من التوغل داخل الصحراء خاصة بعد الحملات العسكرية التي قام بها عقبة بن نافع على بلاد كوار وموسى بن نصير على بلاد السوس الأقصى (1). فأقاموا المراكز التجارية على طول الطرق الصحراوية منها كوار واغمات ووادي درعة وغيرها ، واختلطوا مع أهالي الصحراء وبلاد السودان وصاهروهم ، وفي نفس الوقت قاموا بنشر الدعوة الإسلامية (2) .

وخلال القرن الثالث الهجري وبعده ازداد وجودهم ، خاصة بعد توسع المراكز التجارية . فظهرت مستقرات خاصة بهم تتمثل في الأحياء الإسلامية كما ورد عند البكري في وصفه لمدينة غانة وغاو (3)، فكان الحي الإسلامي في مدينة غانة يشكل مناطق سكنية مستقلة وشهدت نشاطا تجاريا مع العرب منذ القرن الأول الهجري خاصة بعد أن أسلم أهلها . وشكل العرب وجودا واضحا في كثير من المدن السودانية الأخرى أو الصحراوية المتاخمة لبلاد السودان منها اودغست و سقلمانة (4)، فقد أورد ابن حوال (5) (القرن الرابع الهجري) بأن جاليات عربية كانت تسكن اودغست وكان لهم دور في نشر الإسلام ببلاد السودان الأوسط بالطرق السلمية .

ومن الخطأ القول بأن الإسلام أنشأ نتيجة الفتح ، فغزوة عقبة بن نافع لبلاد كوار وحملات موسى بن نصير على بلاد السوس الأقصى وحتى حملة المرابطين خلال القرن الخامس الهجري لم تكن لها أي تأثير في نشر الإسلام ، بل هي غزوات فتحت المجال للدعاة والتجار للاستيطان ببلاد السودان ونشر الدعوة الإسلامية ، كما أن هذه الغزوات لم تدم طويلا ولكنها مكنت المسلمين من إقامة مساجد والتي أصبحت مراكز للدعوة الإسلامية (6) .

إن الهجرات العربية لبلاد السودان لم تحدث دفعة واحدة ، بل كانت متقطعة بين القرنين الأول والخامس الهجريين . واختلفت أسبابها ، فمنها السياسية مثل هجرة بني أمية هروبا من بطش العباسيين لهم بعد سقوط دولتهم خلال القرن الثاني للهجرة ، أو اقتصادية مثل هجرة بعض التجار العرب واستقرارهم ببلاد السودان الأوسط وتكوين مجموعات سكانية وأحياء في معظم المدن السودانية (7) .

1 - ابن عبد الحكم : فتوح مصر والشرب - ص 173 .

- المالكي : رياض النفوس - ج 1 - ص 38 .

2 - إبراهيم الشينخلي : النشاطات التجارية العربية عبر الطريق الصحراوي الغربي - معهد البحوث والدراسات العربية - بغداد 1985 م - ص 32-33 .

3 - المغرب - ص 175 .

4 - نفسه - ص 180 .

5 - صورة الأرض - ص 99 .

6 - حيلن مؤنس : الإسلام الفاتح ص 84 - 131 .

7 - شاطر عبد الجليل البصيلي : حضارات السودان الشرقي والأوسط - 415 .

1 - أسباب الهجرات العربية إلى بلاد السودان :

اختلفت أسباب الهجرات العربية إلى بلاد السودان الأوسط ، منها السياسية و الإقتصادية و العقائدية ، فكثير من العرب هاجروا من أجل التجارة و طلبا لبعض السلع مثل الذهب و الرقيق و ريش النعام ، و لذلك اعتنوا بالطرق التجارية منذ القرن الأول الهجري ، و على سبيل المثال أمر عبد الرحمان بن حبيب حاكم المغرب (130 هـ / 747 م - 755 م) بحفر ثلاثة آبار جديدة للقوافل التجارية التي تمر بالطريق الذي يربط مناطق السوس (جنوب المغرب الأقصى) بمدينة أودغست (1) ، و مما ساعد على إقامة علاقات تجارية مع بلاد السودان بمحوامل سياسية منها تشجيع الدول التي قامت في المغرب على تجارة القوافل منها الدولة الرستمية و الدولة المدثرية ثم المرابطية ، فتنقل آلاف التجار المسلمين و منهم العرب إلى بلاد السودان و قد ارتبطت مدن المغرب و مصر ببلاد السودان نتيجة للعلاقات التجارية الواسعة ، فقد ذكر ابن السكيت (2) أن الإمام الرستمي " أفلح بن عبد الوهاب " أقام علاقات حسنة مع أحد ملوك السودان (قد يكون ملك كوكو) و أرسل هدية إلى هذا الأخير لتوثيق الصداقة و الإعراف له بالجميل لما كان يلقاه التجار في ملكه من معاملة حسنة .

أما دولة المرابطين ساهمت عن توفير الأمن و النظام في الصحراء مما ساعد على انتظام القوافل التجارية المتجهة إلى الجنوب (بلاد السودان) وسمح هذا الوضع بتنقل التجار بأعداد كبيرة و قيامهم بنشر الدعوة الإسلامية . (3)

و من الأسباب السياسية التي أدت إلى الهجرات العربية إلى بلاد السودان ، هو تعرض مجموعات عربية للإضطهاد منهم بني أمية بعد سقوط دولتهم . و ذكر ذلك البكري بقوله : " و يزعمون أن هناك قوما من بني أمية صاروا إليها عند محبتهم بالعباسيين ... " . (4) كما تنقل بعض العرب إلى بلاد السودان من أجل نشر الدعوة الإسلامية و تحويل أهل المنطقة إلى الإسلام ، و استطاعوا اكتساب مكانة مرموقة لدى القبائل السودانية ، فقد ذكر البكري أن ملوك غانة اتخذوا من المسلمين مترجمين ووزراء (5) . و قد ظهرت عدة مراكز ثقافية بفضل هؤلاء المهاجرين حتى قبل ظهور الدول الإسلامية فأقاموا بها المساجد و المدارس لتعليم اللغة العربية و مبادئ الدين الإسلامي و من أشهرها غانة و جني (6) .

1- البكري : المغرب - ص 156 .

2 - أخبار الأئمة الرستمين - ص 52 .

- المترجمين : طبقات مشايخ المغرب - ص 240 - محمد علي دهرز : تاريخ المغرب الكبير مصر 1384 هـ / 1964 م - ج 3 - ص 345 .

3 - أحمد شلي : موسوعة التاريخ الإسلامي - ج 6 - ص 204 .

4 - المغرب - ص 11 . - حسن محمد محمود : الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا - ج 2 - ص 91 .

5 - المصدر نفسه - ص 175 . - الشيخان : غانة في العصور الوسطى - ص 53 .

6 - حسن إبراهيم حسن : انتشار الإسلام في إفريقيا جنوب الصحراء - ص 66 .

- ارنولد توماس : الدعوة إلى الإسلام - ترجمة حسن إبراهيم حسن وآخرون - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة 1970 - ط 1 - ص 391 .

2- هجرة بني أمية إلى بلاد السودان :

من بين الهجرات التي قام بها العرب إلى بلاد السودان ، هجرة بني أمية ، وكان هذا الأمر مشهورا عند العرب وأهل السودان وقد ذكر البكري ذلك عندما قال : " ويزعمون أن هناك قوما من بني أمية صاروا إليها عند محتتهم بالعباسيين وهم على زي العرب " (1) كما ذكر ياقوت الحموي عندما تحدث عن كاتم وأهلها في قوله : " وهم سودان مشركون ويزعمون أن هناك قوما من بني أمية صاروا إليها عند محتتهم ببني العباس " (2) .

وأشار البكري في موقع آخر أن بني أمية أرسلوا جيشا إسلاميا لفتح بلاد السودان في صدر الإسلام ، واستقرت ذرية هذا الجيش في غانة تسمى بالهنييين ، وكما يتضح من عبارة البكري أن سلالة هذا الجيش انحلت بالنسك بالإسلام إلا أن وصولهم إلى هذه الموجة الإسلامية إلى غانة يدل على أن هناك إتصالا مباشرا في وقت مبكر بين أهل السودان والعرب ، فقد ذكر البكري (3) : " وبلاد غانة قوم يسمون بالهنييين من ذرية الجيش الذي كان بنو أمية انقلبوه إلى غانة في صدر الإسلام ، وهم على دين أهل غانة ، إلا أنهم لا ينكحون في السودان ولا ينكحونهم فهم بيض الألوان حسان الوجوه " .

إن هذه الروايات تؤكد وصول مجموعات عربية من بني أمية إلى بلاد السودان منها غانة وكنانم وتتوافق مع معلومات تضمنتها مخطوطة عثر عليها الفرنسي دوميزيل ، جاء فيها أن أربعة جنود من جيش عمر بن عبد العزيز الخليفة الأموي (99-101هـ / 717-720م) جاءوا من اليمن إلى برنو واستطاعوا أن يكونوا أسرا في برنو وغيرها من بلاد السودان (4) .

وتتصادف هذه الهجرة مع الحملات العسكرية التي قامت بها الجيوش الإسلامية على بلاد السوس الأقصى منها حملة موسى بن نصير وحبيب بن أبي عبيدة 130هـ / 751م ، (5) قد يكون بعض الجنود قد تسربوا إلى بلاد السودان واستقروا بها ، ثم تصاهروا مع أهلها ، وكوّنوا جيلا جديدا أطلق عليهم اسم الهنييين .

وورد في جداول أنساب ملوك كادام أن ملوك هذه المملكة يدعون بأن الخلافة الإسلامية انتقلت إليهم بعد موت عمر بن عبد العزيز 99هـ / 720م والملاحظ أن هذه الجداول أغفلت العباسيين والفاطميين ، والمهم حرص ملوك كاتم بالمراسلة بالخلافة الإسلامية فضلا عن أهمية الانتماء إلى الأصول العربية (6) ، وما يؤكد

1 - المغرب - ص 11 .

2- معجم البلدان - ج 7- ص 10 .

3- المصدر السابق - ص 175 .

- طرخان : غانة في العصور الوسطى - ص 66 .

4 - نفسه - ص 66 .

5 - ابن عذاري : البان - ج 7- ص 41 .

6- ديوان سلاطين برنو : ورد في هذا الديوان أن الماي عثمان بن زيت (خلال القرن 8هـ / 14م) ادعى أنه من سلالة عثمان بن عفان ، وأنه خليفة للمسلمين ، وذكر أن الخلافة انتقلت إلى دولة برنو بعد موت عمر بن عبد العزيز عام 101هـ / 720م .

وجود مجموعة عربية من بني أمية بعض الروايات المنتشرة بين قبائل السودانية ، فقد ادعى " الفونج " الذين أمسوا دولتهم بالمنطقة خلال القرن العاشر الهجري / السادس عشر ميلادي ، أنهم من الأمويين الذين هربوا إلى المنطقة بعد سقوط دولتهم على يد بني العباس ، فوصلت مجموعة منهم إلى الحبشة والسودان . ورأي المؤرخ إبراهيم صالح يونس (1) أن هذه الرواية موطن الشك إلا أنها تدل على الأصول العربية للأسر الحاكمة بالسودان الأوسط

1 - تاريخ الإسلام وحياة العرب في إمبراطورية كانم - برنو - ص 97 .

2- هجرة التجار العرب وورهم في نشر الإسلام :

بدأ توغل العرب في بلاد السودان منذ الفتوحات الإسلامية للمغرب ، ولم يكن توغلهم قويا بين القرنين الأول والثالث الهجريين لعوامل عديدة منها عدم اهتمام الخلافة الإسلامية الأموية والعباسية بالتجارة مع بلاد السودان في هذه الفترة ، وسيطرة القوى السياسية الخارجية على الطرق التجارية منها دولة الرستمين الإباضية بتيهت ودولة بني مدرار الصفرية بسجلماسة (1) ، وبظهور دولة الفاطميين وبعدها دولة المرابطين ، ازداد نشاط العرب التجاري مع بلاد السودان ، وتكاثر وجودهم واستطاعوا الوصول إلى مراكز استخراج الذهب (2) . أما الأغلبية كان لهم دور محدود في هذا المجال لأن الاتصالات مع بلاد السودان كانت صعبة . فالدولة الرستمية كانت تحيط بدولة الأغلبية من جميع الجهات (ما عدا الشمال) (3) حيث كانت رقعة هذه الدولة في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري تتجاوز الشمال الشرقي للمغرب (3) . يدل على وصول العرب إلى بلاد السودان ، هو التواجد المكثف في المراكز التجارية الصحراوية منها زويلة وهي مملكة صحراوية عرفت حركة تجارية منذ القرن الثاني للهجرة ، وكان يجلب إليها الرقيق من بلاد إفريقيا والعرب ، وكانت المدينة يسكنها خليط من التجار ساءوا من خراسان والبصرة والكوفة (4) . وقد أورد لنا ابن حوقل (5) تفصيلات واسعة عن التواجد العربي في سجلماسة . يقال في هذا الصدد "فأنتقلوا عن ذلك الطريق وتركوه إلى سجلماسة وكانت القوافل تجتاز المغرب إلى سجلماسة ، وسكنها أهل العراق وتجار البصرة والكوفة والبغداديين الذين يقطعون ذلك الطريق ، وهم وأولادهم وتجارهم دائرة ومفردتهم دائمة وقوافلهم غير منقطعة إلى أرباح عظيمة وفوائد جسيمة وبعم ساعة^{هـ} . قل مايدانيهاالتجار في بلاد السودان . ويخبرنا ابن حوقل (6) في موقع آخر عن التواجد العربي في مدينة أودغست وهي مدينة قرية من غانة ، فذكر استقرار العراقيين فيها وجعلها مركزا لهم يديرون بها أعمالهم التجارية ، ويعملون كوكلاء أو وسطاء تجاريين ، ويذكر أنه شاهد صكا لأحد تجار سجلماسة وهو مدين لتاجر في أودغست . يبلغ قدره إثنين وأربعين دينارا فقال: "لقد رأيت أودغست صكا فيه ذكر حق لبعضهم على رجل من تجار أودغست وهو من أهل سجلماسة بإثنين وأربعين ألف دينار" ، و مدينة أودغست خليط من السكان كان القسم الأكبر منهم من التجار العرب القادمين من مدن المغرب ، وكان لهم دور كبير في نشر الإسلام بالسودان واعتنق الإسلام على أيديهم عدد من الملوك (7) و (8) و بإزدياد النشاط التجاري ، ازداد التوغل العربي في بلاد السودان ، فاستطاعوا إقامة مستقرات لهم في مدن عديدة جعلوها منطلقا و مراكز لنشر الدعوة الإسلامية . فأنشأوا أحياء خاصة بهم ، بها المساجد والزوايا .

1- عز الدين عمر موسى: انتشار الإسلام في غرب إفريقيا حتى القرن 16 - معهد الحوت و الدراسات العربية - بغداد 1985 - ص 93

2- ابن حوقل: صورة الأرض - ص 61 ، - البكري: المغرب - ص 75 - 76

3- ابن زكريا: السم - ص 9 (هامش)

4- ارجع لفصل المراكز التجارية في البحث - عنصر زويلة

5- المقصر السابق - ص 65 ، - نفسه - ص 97 .

7- البكري: المصدر السابق - ص 108 .

- الإدريسي: نزهة المشتاق - ص 14 .

و المدارس لتعليم القرآن و اللغة العربية . (1)

و تعتبر مدينة " غاو " من أهم المدن السودانية التي سكنها التجار المسلمون ، وأقاموا بها المساجد و المدارس ، و أن ملكها تحول إلى الإسلام سنة 400م / 1010 م بفعل و جودهم و قال عنها كعت التنيكي أن تحول أهل صنغاي للإسلام كان بتأثير تجار " غاو " . و ذكر ياقوت الحموي (2) أن ملك غاو يظهر رعيته بالإسلام و يتركز في شطره الغربي المسلمون بما مقره ، و بما مسجد يصلي فيه .

و استقر التجار العرب في مدينة غانة قبل دخول ملكها الإسلام ، حيث ظهرت بها أحياء إسلامية منذ القرن الأول الهجري و بُعد بها التجار من العراق و اليمن و المصريين هو الذي اشترى كتلة الذهب الكبرى التي كان ملوك غانة يحتفظون بها في قصورهم . و تمتنع غانة بموقع استراتيجي هام فهي تقع بين مناجم الملح في الشمال و مناجم الذهب في الجنوب منها " و نقارة و غيارو " (3) ، و رغم عدم سيطرتها على هذه المراكز إلا أنها كانت تسيطر على الطرق التجارية المؤدية إليها .

و مدينة غانة ، مدينة كبيرة مقسمة إلى مدينتين ، إحداهما يسكنها المسلمون و بها اثنا عشر مسجداً و بها الفقهاء و الأئمة . (4) . و لا شك أن صلة أهل السودان بالتجار العرب أدى إلى انتشار الإسلام ، و أدى ذلك إلى دخول عدد كبير من أهل غانة إلى الإسلام في وقت مبكر ، يقول الفلقشندي (5) في هذا الصدد أن أهلها أسلموا في أول الفتح . و أكثر من هذا فقد أقام ملكها الوثني علاقات طيبة مع المسلمين و أصبح هؤلاء يتمتعون باحترام و اضع ، و توليتهم مناصب سامية في مملكة غانة . (6) أصبح منهم المترجمون و الوزراء . (6) هذا يدل على أن الفكر العربي الإسلامي قد ملأ في السودان الأوسط ، و شجع تجارات التجارة العربية التي أدخلت بها الإسلام إلى السودان . و من المدن السودانية التي استقر بها التجار العرب مدينة " جني " ، و هي مدينة تقع في الضفة اليسرى لأحد روافد نهر النيجر ، دخل أهلها الإسلام بفضل و جود التجار منذ القرن الثاني للهجرة ، حتى انتشرت بها الثقافة العربية الإسلامية و تحول معظم سكانها إلى الإسلام و ذكر السعدي (7) أن ملكها لما أراد إعلان إسلامه خلال القرن السادس الهجري أحضر عددًا كبيرًا من العلماء المدعوين المتواجدين بمملكته و هو دليل على اعتناق عددا كبيرا من رعيته الإسلام منذ وقت مبكر . و مما لا شك فيه أن التواجد العربي ببلاد السودان الأوسط ، كان حقيقة تاريخية ، و أن التجار كانوا يمثلون كتلة كبيرة من العرب ، بالكثير منهم استقر ببلاد السودان ، و اختلط بسكان المنطقة ، و كان لهم الفضل في نشر الإسلام منذ القرن الأول الهجري .

1 - ياقوت الحموي : معجم البلدان - ج 5 - ص 277 .

- طرخان : غانة في العصور الوسطى - ص 42 .

2 - الحموي : المصدر السابق - ج 1 - ص 105 .

3 - الإدريسي : نزهة المشتاق - ص 39 أو 41 .

4 - البكري : المغرب - ص 59 .

5 - الفلقشندي : صبح الأعشى - ج 5 - ص 384 .

6 - البكري : المصدر السابق - ص 59 .

7 - تاريخ السودان - ص 11 - 12 .

4 - قضية النسب العربي للبلاد الحاكمة في السودان الاوسط :

و ما يدل على انتشار النفوذ العربي أنه قل ما نجد بيتا حاكما في السودان إلا و ينتسب بعض حكامه إلى أصل عربي ، فقد ادعى ملوك غانة النسب العربي ، أما سلاطين مالي فانتسبوا إلى عبد الله بن الحسن بن علي ، و انتسب سلاطين كانم إلى سيف بن ذي يزن حسب ما جاء في دواوينهم ، و سلاطين صنغاي إلى " زالاين ". (1)

و ظاهرة الانتساب إلى العرب انتشرت كذلك بين القبائل السودانية ، و تجلت في الروايات المحلية المنتشرة التي توارثتها الأجيال ، و للتذكير على سبيل المثال أن أسرة " كيتا " التي حكمت مالي ترجع أصولها إلى " بلال " مؤذن الرسول - عليه الصلاة و السلام - (2) ، أما الفلانيون يرجعون بأصولهم إلى البيض و يدعون أن سلفهم هو عقبة بن نافع (3) ، أما قبائل الكانوري يقولون أنهم جاءوا أصلا من اليمن ، وأن أصل كلمة كانوري مشتقة من الكلمة العربية " نور " و اضيف لها الحرف "ك" للدلالة على التبعية فصار معناها حملة النور و هذا لدورهم في نشر الإسلام في المنطقة . (4)

الملاحظ أن هذه الإدعاءات للنسب العربي لم تظهر إلا بعد انتشار الإسلام في بلاد السودان . فالأسر الحاكمة و القبائل القوية لما دخلت الإسلام أرادت أن تعزز حكمها عن طريق إقامة علاقات مع العالم الإسلامي منها بيت الخلافة (العلوية في العهد العباسي) و قد وجدوا في الإدعاء إلى نسب عربي وسيلة لتحقيق أهدافهم السياسية هذا من جهة و من جهة أخرى يكون لهم إفتخار كبير في الأسبقية في الدخول إلى الإسلام . (5) و على هذا الأساس انتشرت ظاهرة الإنتساب إلى العرب سواء كانت مبنية على حقيقة أم خرافة ، و ما يهمنا أن هذا الإدعاء يدل على النفوذ العربي و الدماء العربية في منطقة السودان .

كما أن الهدف من انتشار هذه الساهرة يعود أساسا إلى إضعاف التقاليد الموروثة من العهد الوثني منها الإنتساب إلى الأم . (6) و من المشهور أن دولة برنو الإسلامية ينتسب ماياها (ملوكها) إلى الأم بسبب سمو مكانة المرأة عندهم ، و ربما تكون هذه التقاليد قد تسربت إليهم من عند الطوارق أو من قبائل التبو أو التيدا البربرية . و بعد دخولهم في الإسلام أرادوا التخلص من هذا الإنتساب خاصة أنه يتعارض مع مبادئ الدين الإسلامي (الإنتساب الأبوي) ، و لذلك بحثوا عن نسب عربي و ليكن من أسرة عريقة و مشهورة مثل النسب الحميري كما سنرى ذلك في العنصر القادم .

1 - حسن أحمد حمود : الإسلام و الدماء العربية في إفريقيا - ص 265 .

2 - طرخان : دولة مالي الإسلامية - مصر 1983 - ص 35 .

- أحمد إلباس حسين : دور فقهاء الإباضية في إسلام مملكة مالي قبل القرن 13 م - ص 199 .

3 - ابن الأثير : الكامل في التاريخ - ج 3 - ص 199 .

4 - طرخان : مملكة برنو الإسلامية - ص 25 .

5 - المرجع السابق - ص 58 .

LA-IG : Diwan cop - cit . p 59.

6 - حسن أحمد حمود : المرجع السابق - ص 60 .

و ما نستخلصه أنه رغم وضع هذه الروايات له أهداف سياسية و دينية فإنها تحمل جزءاً من الحقيقة و تدل على النفوذ العربي في المنطقة ، و أن العرب اكتسبوا مكانة مرموقة لدى هذه المجتمعات بسبب ما قامت به من دور في نشر الإسلام .(1)

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1- لانغ : ممالك تشاد و شمورها - تاريخ إفريقيا العام - ج 3 - ص 210.

أ - نسب ملوك كانم " لسيا ، بن ذي يزن " :

يدعي ملوك كانم أن أصولهم عربية ، ويعتبرون جدهم الأول هو سيف بن ذي يزن . فقد جاء عند ابن سعيد (1) الذي نقل عن ابن فاطمة (2) أن ملوك كانم من أبناء سيف بن ذي يزن منهم محمد الجليل ، وأن عاصمة أجدادهم الوثنيين قبل دخولهم للإسلام هي "مانان" .

وتجلى تمسك مايات برنو (أو كانم) بهذا النسب في الرسالة التي بعثها الماي عثمان بن إدريس (794-827هـ / 1392-1424م) وهو الملك الثالث والثلاثون في سلسلة مايات برنو إلى السلطان برقوق ، سلطان مصر في العهد المملوكي (794هـ / 1397م) حين كان يشكو العرب من جذام في البلاد ، يقول : " أنه من سلالة سيف بن ذي يزن والد قسطنطين العربي القرشي ، كذا ضبطناه عند شيوخنا " ويعقب القلقشندي (3) على هذه المعلومات بأن هناك خطأ في النسب إلى قريش لأن سيف بن ذي يزن من اليمن من حمير .

ونذكر قوائم انساب كانم بأن سيف هو أول ملوك برنو وأنه جاء وأمه من مكة ، وحكم مدة عشرين سنة ، وأنه أتم في العاصمة " جيمي " ولكنه مات . مدينة " سامينا " قرب بحيرة " فطري " (4) وخلفه ابنه بيرام بن سيف أي إبراهيم بن سيف وحكم ست عشرة سنة . واستمر حكم السيفيين حتى الملك الثاني عشر هو أوم عبد الجليل (477-490هـ / 1084-1097م) ، ودخل الإسلام إلى المملكة في عهدها (5) .

وقد ورد هذا النسب عند المقرئ (القرن 8هـ / 18م) عند حديثه عن ملوك كانم وقال أن أول ملك تحول إلى الإسلام هو محمد عبد الجليل ، ويعزموه أنهم من نسب سيف بن ذي يزن (6) . إن الصلة بين سيف بن ذي يزن وملوك كانم يفسرها إبراهيم طرخان بقوله : أن سيف بن ذي يزن كان متزوجاً من إحدى سيدات التوماغورين ، وهي القبيلة التي تنسب إليها مايات برنو (7) ، ومن هنا جاءت الصلة بين سيف وبين الأسرة الحاكمة في برنو وللتوفيق بين سيف بن ذي يزن الحميري وبين قريش ، نتجت روايات أسطورية تذكر بأن مقابلة حدثت بين عبد المطلب جد النبي (ص) في مكة وبين سيف بن ذي يزن، على إثر انتشار ابن ذي يزن على الأحباش بمساعدة قريش عام 602 م وأن عبد المطلب هنا سيفاً بهذا النصر بسبب كراهة عبد المطلب وقريش للأحباش بسبب حادثة النبل حوالي 570 م ولما رآه عن أصله ونسبه أجاب عبد المطلب أنه : " عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف " وحينئذ عقب سيف : " إذن أنت ابن أخي " . ومن هذه الرواية الأسطورية جاءت الصلة بالنسب القريشي ، والحقبة أن سيف بن ذي يزن قتل في

1 - ابن سعيد : كتاب الجغرافيا - ص 95 .

2 - ابن فاطمة : عاش خلال القرن الرابع الهجري ، اعتمد عليه مجموعة من المؤرخين منهم ابن سعيد - نفس المصدر - ص 95 .

3 - صبح الاعشى - ج 5 - ص 117 .

4 - طرخان : مملكة برنو الإسلامية - ص 57 .

5 - LANG : cp.cit-P102 .

6 - تقي الدين أحمد علي المقرئ : الإلمام باخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام - مصر 1985 - ص 27 .

7 - المصدر السابق - ص 57 .

اليمن على إثر طرد الأحباش وذلك . على يد أحد الأحباش الذين استبقاهم سيف في خدمته . وأن إدعاء النسب القرشي خرافة وذكر ذلك القلقشندي (1) . وملوك كاثم لم يدعوا هذا النسب فقط بل قد جاء من ادعى النسب العلوي في بني الحسن كما ذكر ذلك العمري (2) .

الملاحظ في تاريخ الدول الإسلامية التي ظهرت ببلاد السودان ، أن الأصول العربية قد انتحلتها الكثير من الأسر الحاكمة فضلا عن القبائل القوية في المنطقة . على أن مثل هذه الادعاءات ظهرت بعد انتشار الإسلام . فأصبحت تلك الدول أو القبائل تبحث عن وسيلة تربطها وبين علاقاتها بالعالم الإسلامي . فأصبح من الفخر لديها أن تكون لها صلة بالعرب المسلمين لما لهم من دور في نشر الإسلام بينهم .

والخلاصة أن الوجود العربي في كاثم منذ القرن الأول الهجري هو حقيقة تاريخية ، وأن تأكيد ملوك كاثم برنو على أصولهم العربية وتمسكهم بأن جددهم هو سيف بن ذي يزن يدل على هجرات عربية للمنطقة حتى قبل ظهور الإسلام .

عبد القادر للعلوم الإسلامية

1-صبح الاعشى - ج5- ص 117 .

2 - التعريف بالمصطلح الشريف - مصر 1312هـ - ص 29 .

- إبراهيم صالح يونس : تاريخ الإسلام وحياة العرب في إمبراطورية كاثم - ص 70 .

ب - نسب ملوك صنعاي " لزا الأيمن " :

ومن الروايات المشهورة عند قبس صنعاي والتي تدل على اتصال العرب ببلاد السودان الأوسط هو ما تعرض له السعدي في كتابه تاريخ السودان حين ذكر أن أصل اسم أول ملوك صنعاي " زال ايامان " إلى عبارة جاءت من اليمن فهذا الشخص غادر اليمن ، بصحبة أخيه لكي يطوف العالم ، وقاد القدر خطاهما إلى مدينة كوكيا ، وهي مدينة بالغة القدم بنيت على حافة النهر في أرض صنعاي ، ووصل الأخوان في حال يرثى لها ، ولما سئل من أين جاءا ، رد أكبرهما " جاء من اليمن " . ومنذ ذلك الحين نطقها الناس زال ايمان ، فقد غير أهل المدينة العبارة إلى هذا النحو إذ صعب عليهم نطقها لأن لهجتهم البربرية كانت تثقل ألسنتهم وبقي زال ايمان في كوكيا ، وأدرك أن الناس الذين كان يعيش معهم وثنيون لا يعبدون سوى الأصنام . وكان الشيطان يظهر لهم على هيئة سمكة ، فيحتشد الناس على النهر لعبادتها ، وبعد أن شهد زال ايامان هذا المشهد وأدرك ضلال الناس ، وقتل السمكة بحربة ، وعندئذ بايعه الناس وولوه ملكا عليهم (1) .

وقد يكون " زال الأيمن " أميرا ما لما ويرجع له الفضل في تأسيس مملكة صنعاي سنة 82هـ / 700 م ، وقد انتقل الحكم بعده لخلفائه وعددهم أربعة منوهم " زازكسي " وقد ماتوا كلهم على جاهلية وارتدوا إلى الكفر . وتحولت المملكة إلى الإسلام سنة 400هـ / 1009 م بإسلام الملك الخامس عشر وهو " زال كوسوي " (2) . واستمر ملوك صنعاي (3) يحملون لقب " زال " حتى القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي اتخذ " علي كلن " لقب سني .

ما تؤكد هذه الرواية هو استقرار العرب في مملكة صنعاي منذ القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي . وأن محرقة للمنطقة قديمة ، والمهم أن مملكة صنعاي تحولت إلى مملكة إسلامية خلال القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي ، ولكن الإسلام دخلها بفضل المرات العربية . وذكر محمد كعت (4) أن سبب تحول مملكة صنعاي إلى الإسلام كان سبب تجار من " غاو " ، الذين أتاح وجودهم على طريق من التأثير على سكان هذه المناطق .

1 - عبد الرحمن السعدي : تاريخ السودان - ص 6-8 .

2 - هرييه جادر : الاتصالات المحتملة بين وادي النيل الأوسط ومنطقة نهر النهر - ص 212 .

3 - صنعاي : من ممالك السودان الأوسط خلال القرن الخامس والسادس الهجريين ، بدأت تظهر خلال القرن السابع الميلادي ، وتحولت إلى إمبراطورية واسعة خلال التاسع الهجري / 15 م ، كان يطلق على ملوكها لقب " زال " وتعم هذا اللفظ فيما بعد إلى اسم " سني " .

لر السعدي : المصدر السابق - ص 3 .

-- تاريخ الفتاش - ص 17 .

ومن المدن التي دخلها الإسلام في وقت مبكر مدينة "جني" (1) وهي جزء من مملكة سنغاي ، فقد ذكر السعدي (2) أن حاكمها لما أراد إعلان إسلامه خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي ، أحضر أربعة آلاف عالم مسلم كانوا في أرض المدينة وأسلم على يديهم ، وهذا دليل آخر على نفوذ المسلمين ومنهم العرب في المنطقة قبل تحول ملوكها للإسلام ، والدور الفعال الذي لعبوه في نشر الدعوة الإسلامية . كما نستخلص من هذه الرواية أن عدد العلماء هو أربعة آلاف رقم مبالغ فيه، ولكن هذا يبرهن على أن عدد كبير من سكان جني قد دخل الإسلام قبل الملك، وهذا بفضل التجار المسلمين الذين دخلوا للمدينة ، وقد يكون الملك "كمبر" قد خاف عن فقدان شرعيته السياسية . فحتى يبرهن عن إخلاصه للدين الجذيد وإحترامه للعلماء والدعاة، أعلن إسلامه أمام عدد كبير منهم وأمام سكان المدينة. (3)

1 - السعدي : تاريخ السودان - ص 3 .

2 - نفسه - ص 3 .

3 - BASIL DAVIDSON l'Afrique ancienne - T1- P107 -

3-ارنولد ترومان: الدعوة الى الإسلام - ص 155

ج - نسب الهوسا (1) "بابا جيد" أ - "أبو يزيد البغدادي

ترجع بعض الروايات الأسطورية نشأة ناللك الهوسا السبع إلى شخصية عربية تدعى "بابا جيد" البغدادي ، وهو تحريف لاسم يزيد أن رجلا يدعى أبا يزيد ، وهو ابن عبد الله ملك بغداد ، تشاجر مع أبيه ومع أهل المدينة فهاجر مع عائلته إلى برنو وأقام بها . ولكن ملك برنو أحس أن أبا يزيد أقوى منه وأعز جاحا ونسبا ، فشاور قومه فنصحوه بأن يصهر أبي يزيد وبزوجه ابنته ، فأخذ بنصيحتهم وزوجه ابنته ماجيرا ، وبعد ذلك أخرج ملك برنو أبو يزيد أنه ينوي خوض الحرب وطلب منه أن يعيره فرسا له وجنوده ليستعين بهم على أعدائه ، وأغار أبو يزيد الملك ثلاثة آلاف جواد وجندي وسبعة عشر أميرا وقال الملك " حين نعود من الحرب سأجعل منهم أمراء في بلاد " ثم ذهبوا إلى الحرب وظلوا غائبين .

وعندئذ بدأ ملك بورنو يتآمر لقتل أبي يزيد ولكن زوجته سمعت بالمؤامرة وأبلغت زوجها على الفور ، ففر أبو يزيد وفرسانه باتجاه الغرب ، واستقر به المقام " بلير " وأحدث بهذه البلدة تغيرات سياسية واجتماعية بعد أن تمكن من قتل الحية المقدسة وهي عبارة عن ثعبان كبير والتي تسمى " ساركي " فاكسب بذلك ود أهل البلاد ومنهم الملكة ، فتزوجها وأنجبت له ستة أولاد أصبحوا فيما بعد حكاما لبقية رايات الهوسا وهي " كانوو زوزو و نوير و رنو و كانسينا و بداورا " (2) .

لهذه الرواية أهمية تاريخية ، فهي تعبر عن التحول الديني لممالك الهوسا من الوثنية إلى الإسلام في ذلك الزمان . وهذا يعني انه منذ القرن الخامس الهجري / الحادي عشر ميلادي أصبحت المؤثرات الإسلامية تلعب دورا كبيرا في التكوين الفكري والثقافي والسياسي لهذه البلاد وقد يقصد بالشخصية المذكورة في الروايات السابقة بأبي يزيد مخلد بن كداد وهو شخصية لها أصول بربرية ، فهو ينتمي لقبيلة زناتة وكان أبوه تاجرا يتردد كثيرا على بلاد السودان أما أمه فهي جارية من تادمكة حيث ولد هناك (3)

ففي سنة 332 هـ أعلن ثورته ضد النساطيين ولقب نفسه بشيخ المؤمنين . واستولى على القيروان وحاصر

1 - الهوسا : (أو الحوسي ، الهاوزي) تعني في لغة أهلها لسان و لغة ، وهي تعبر عن مجموعة من الشعوب تجمعها لغة واحدة ، تسكن في الضفة اليسرى من نهر النيجر ، وتشكل شعوب الهوسا سبع إمارات . (كعت : تاريخ الفتاش - ص 53 - السعدي : تاريخ السودان - ص 41، 52، 130 - سانس : الإسلام الفاتح - ص 60.

2 - مهدي أداموا : الهوسا و جيرانهم - تاريخ إفريقية العام - ج 4 - الفصل 11 - ص 277 .
- بوبه جادو : الإنصالات المحتملة بين وادي النيل الأوسط و منطقة نهر النيجر - ليبيا القديمة - اليونسكو - باريس 1984 - ص 217

3 - عماد الدين القرشي : عيون الاخبار و فنون الآثار في فضائل الأئمة الأطهار - دار الأندلس للطباعة و النشر - ص 277 .
- ابن خلدون : العبر - ج 7 ص 26 .

المهدية و شملت ثورته معظم المغرب انتهت هزيمته سنة 336 هـ على يد الخليفة الفاطمي المنصور بعد محاصرته قرب المسيلة ثم أسره . (١)

و ما نستخلصه من هذه الثورة ، أن أبا يزيد أصبح شخصية أسطورية عند القبائل البربرية في المغرب و انتقلت إلى بلاد السودان مما جعلها تنسج الروايات الخرافية حوله و تفتخر بالانتماء إليه .

-
- ١ - عماد الدين القريشي : عيون الأندلس و فنون الآثار في فضائل الأئمة الأطهار - ص 293 .
- الدرجيني : الطبقات - ص 49 .
- الشماخي : السير - ص 36 .
أبو زكريا : السير - ص 122 (هـ:ش)

د - نسب ملوك كانم لعثمان بن عفان :

من الروايات الشائعة بين أهل السودان هو انتساب ملوك كانم للخليفة الراشدي عثمان بن عفان " رضي الله عنه ، فقد جاء عند القلقشندي (1) " أن أول من بيت الإسلام في بلاد كانم هو الهادي العثماني ، وادعى أنه من ولد عثمان بن عفان - رضي الله عنه - . كما أشار العمري (2) في كتابه ممالك الأمصار " أن أول من دخل الإسلام في كانم هو الهادي العثماني برغم أنه من ذرية عثمان بن عفان ، بعد ذلك تحولت لليازنيين " (يقصد من بني ذي يزن)

كما ورد في ديوان ملوك كانم أن الملك عثمان بن عفان أو أن الخلافة انتقلت إليه بعد الخليفة عمر بن عبد العزيز . و هذا غير صحيح بطبيعة الحال ، و ربما تكون بداول أنساب الملوك كانم قد منحت لقب خليفة لهذا الماي (الملك) نتيجة لأعماله الكثيرة في مجال الدعوة الإسلامية ، خاصة أن مملكة كانم شهدت في عهده توسعا ، وإدخال عدد كبير - - - من القبائل الوثنية المجاورة . (3)

و المهم في هذه الرواية أن الإسلام دخل كانم في وقت مبكر ، و كان ذلك على يد داعية عربي و هو الهادي العثماني ، والذي قد تكون له صلة بالخليفة عثمان بن عفان ، و أن الصلة الموجودة بين هذا الداعية و الماي عثمان بن زينب (4) هو اشتهارهما بنشاطهما في مجال الدعوة الإسلامية و تحويل عدد كبير من أهل السودان إلى الإسلام . و قد استنتج المستشرق " لانغ " أن انتران دخول الإسلام بالهادي العثماني يصادف تحول الحكم في مملكة كانم إلى أسرة تدعي الأصل العربي و هو الانتساب لسف بن ذي يزن .

6 - الأثر الثقافي للهجرات العربية على السودان الأوسط :

إن الوجود العربي بالسودان الأوسط بين القرنين الرابع و الخامس الهجريين كان له تأثيرات سياسية و اقتصادية و ثقافية . و اجتماعية على المنطقة ، و رغم أن الوجود يشوبه الغموض حسبما تعرضنا له ، إلا أنه حقيقة لا جدال فيها في الفترة المحددة

1 - صبح الأعشى : - ج 5 - ص 27 .

2 - مسالك الأبصار - ص 3 ، 12 .

3 - طرخان : مملكة برنو الإسلامية ص 71 .

lang : cop . cit - p 100 , 101

4 - الماي عثمان بن زينب : و الماي التاسع عشر في سلسلة الملوك السيفيين و حكم بين (674 - 700 هـ / 1279 - 1300 م) و هو آخر ملوك كانم (شرق البحيرة) قبل نقله إلى برنو (غرب بحيرة التشاد) اشتهر بخماسة الدينية ، و حروبه الكثيرة ضد الوثنيين لنشر الدعوة الإسلامية ، و ربما كان هذا هو السبب في جعله في الروايات المحلية خليفة للمسلمين ، وأنه من سلالة عربية أي من احفاد عثمان بن عفان .

- (طرخان: المصدر السابق - ص 82)

و كان توغل العرب في السودان الاوسط ، جاء نتيجة لكثافة النشاط التجاري ، و الصلات التي نشأت بين الشمال و الجنوب على أثر هذا النشاط ، ومن نتائج هذا التوغل هو اختلاط العرب بأهل السودان و التزاوج معهم ، و ظهور جيل جديد ، يقول البكري (1) أن بني أمية أرسلوا جيشا إسلاميا لفتح بلاد السودان ، فاستقرت ذريته في هذا الجيش بغاية ، و اختلطوا بأهلها و أنجبوا جيلا جديدا يسمى " الهنهييز "

و الوجود العربي بالسودان ، و المكثاة المرموقة التي كان يتمتع بها العرب من علماء و فقهاء و تجار و عامة ، جعل معظم الاسر الحاكمة في السودان تدعي النسب العربي ، و أنشأوا من أجل ذلك روايات كثيرا ما تتناقض مع الواقع و الحقائق التاريخية ، فملوك كانم ادعوا أنهم من أسرة سب بن ذي يزن ، و ملوك غانة من الأسرة العلوية ، و ملوك مالي من أسلاف مؤذن الرسول (ص) . (2)

إن حرص الدول الإسلامية السودانية على علاقاتها السياسية مع دول المغرب من ورائه أهداف حفية لملوك السودان منها اكتساب الشرعية السياسية للاستمرار في الحكم ، كما أن ظاهرة الانتساب للعرب كان هدفه البحث عن صلة للنسب الابوي وليكن من الصحابة رضوان الله عليهم . و هذا لا يعني أن الروايات خيالية بل كانت تحمل جزءا من الحقيقة و هو أن العرب قد وصلوا للمنطقة و تأثر بهم أهل السودان (3) .

و من نتائج الهجرات العربية لبلاد السودان هو استقرار كثير من العرب بالمدن السودانية خاصة التجار ، و الذين استعمروا بممارسة نشاطهم التجاري و في نفس الوقت شكلوا جاليات إسلامية تسكن بأحياء خاصة بها و كان هذا عاملا مساعدا في نشر الإسلام خاصة بعد أن أقاموا مؤسسات إسلامية بهذه المدن مثل المساجد و مراكز تعليم العربية (4) . كما أن استقرار العرب المسلمين ببلاد السودان سمح لهم بتقلد مناصب عالية داخل الدول السودانية حتى في عهدها الوتني حيث كان التفوق الفكري و الخلقي و الذي يتحلون به دافعا أن يكونوا نماذج يقتدى بها من ناحية الثقافة و من ناحية الاخلاق ، و تحول بذلك اعتناق اسلام لأهل السودان مفخرة ، و يمثل التزاما بالنظافة و الصدق و الامانة و غيره من الصفات الحسنة (5) .

ومن أبرز التأثيرات الثقافية للهجرات العربية على المنطقة ، انتشار اللغة العربية فهي لغة العبادة و الثقافة ، وكانت تستعمل بجانب اللغات المحلية و التي حملت الكثير منها الحروف العربية مثل لغة الهوسا ، و ترجمت كثير من المؤلفات العربية إلى اللغات المحلية كالهوسا و الكانوري و الفون و اليوروبا . و أبرز مثال على ذلك أن الكلمات المستعملة في هذه اللغات المحلية للمكاييل و الموازين و المقاييس و بعض المصطلحات مستمدة من اللغة العربية .

1 - المغرب - ص 175 .

2 - طرخان - مملكة برنو الإسلامية - ص 71 .

3 - نفسه ص 54 .

4 - البكري : المصدر السابق ص 153 .

5 - ارنولد توماس : الدعوة إلى الإسلام ص 139 .

الفصل الرابع

انتشار الإسلام في السودان الأوسط بواسطة الهجرات البربرية

- التعريف بالبربر و أهم فروعهم

أ - عوامل الهجرات البربرية إلى السودان

ب - قبائل زناتة .

ج - قبائل صنهاجة :

- ملتونة .

- مسوفة .

- جدالة .

- لمطة .

- هوارة .

- الطوارق .

د - الأثر الثقافي للهجرات البربرية على السودان الأوسط

أ - عوامل الهجرات البربرية إلى السودان الأوسط :

- العامل الديني :

من العوامل الأساسية التي دفعت بربر الصحراء للتنقل إلى بلاد السودان هو حماسهم الديني و حرصهم على نشر الدعوة الإسلامية هناك ، و لاحظ ابن خلدون (1) هذه الحماسة و دفاعهم عن الإسلام عندما قال أنهم " ... دوحوا تلك المناطق الصحراوية و جاهدوا من بها من أمر السودان و حملوا على الإسلام .." تعتبر اسرة الزغاوة من القبائل المشهورة التي حكمت مملكة كانم و نشرت الإسلام بها و هي اسرة ذات اصول بربرية هاجرت إلى المنطقة و قد تكون من التبو أو التيدا (2) . كما أوردت لنا المصادر الإباضية (3) عددا كبيرا من نفقهاء البربر و التجار الذين انتقلوا إلى بلاد السودان و نشروا الإسلام هناك و اشتهرهم علي بن خلف و هو فقيه و تاجر إباضي أسلم على يده ملك مالي خلال القرن الخامس الهجري .

- العامل السياسي :

من أهم كثيرا من الهجرات البربرية نحو بلاد السودان كانت لأسباب سياسية . فبعد انتشار المذهب الإباضي في بلاد المغرب سارول البربر إقامة دول مستقلة عن الخلافة العباسية ، مما جعلهم يتعرضون للملاحقة و أبرز مثال على ذلك هي ثورة أبي الخطاب عبد الأعلى ابن السمع المعافري الإباضي سنة 140 هـ / 757 م و قيام اول دولة إباضية بطرابلس و التي لم يدم حكمها طويلا ، فقد تدخل الجيش العباسي بقيادة محمد بن الاسعث و هزم الإباضية سنة 144 هـ / 761 م (4) . إن هذه المزعمة جعلت كثيرا من البربر - يجأون إلى الصحراء و الإقامة هناك و من ثم تنقلوا إلى بلاد السودان و أقاموا علاقات ودية مع السكان (5) . مما يدل كذلك على هجرة القبائل البربرية لسبب سياسي هو تدافع البربر نحو الجنوب بعد فشل ثورة مخلد بن كداد البربري ضد الفاطميين سنة 336 هـ ، و يذكر عماد الدين القرشي (6) أن أبو يزيد أراد الإرتحال إلى بلاد السودان لما حصره جيش الخليفة المظفر المنصور في جبل كنانة قرب مدينة المسيلة ، و لكنه وقع في الأسر و مات به (7) . و بعد وفاته هربت كثير من القبائل التي ساندته إلى بلاد السودان و هذا خوفا من طش الفاطميين منهم قبائل نفوسة و هواة الأوراس قد تنقلت كثير من القبائل البربرية إلى بلاد السودان بعد سيطرة دولة المرابطين خلال القرن الخامس الهجري على غانة و هذا جب توفر الامن . (8)

- العمر - ج 6 - ص 276 .

2 - طرخان : مملكة بربر الإسلامية ص 28 29

- الدرجيني : الطبقات ص 517 .

4 - أبو زكريا : سيرة الأئمة و أخبارهم ص 7 8 .

- عز الدين عمر موسى : انتشار الإسلام في بلاد إفريقيا - ص 50 .

5 - عماد الدين القرشي : عبرون الأخبار و فنون الآثار في فضائل الأئمة الأطهار - ص 273 .

7 - رابح برنار : تاريخ المغرب الكبير - تاريخه و ثقافته - الشركة الوطنية للنشر و التوزيع - الجزائر - 1981 - ص 172 .

- حسن أحمد عمود : المرحلة الإفريقية في عهد المرابطين - ص 114 .

-العامل الإقتصادي :

نتيجة للتبادل التجاري و ازدياد نشاطه بين القرنين الأول والخامس الهجريين تنقل آلاف البربر عبر الطرق الصحراوية إلى بلاد السودان . فقاموا ببيع سلعهم و في نفس الوقت نشر الدعوة الإسلامية ، ومكنتهم سيطرتهم على المراكز التجارية الهامة من الإشراف على تنظيم القوافل التجارية في الصحراء . كان منهم الادلاء و الحراس و كانوا يزودون التجار بكل ما يحتاجونه خاصة الماء (1) . فازدادت بذلك أرباحهم لأنهم كانوا يحصلون على الضرائب مقابل هذه الخدمات و كذلك على السلع المختلفة منها الذهب و الفضة الآتية من بلاد السودان . فاصبحوا تجارا مياسير يدخلون بلاد السودان بأعداد الجمال الحاملة لقناطر الأموال (2) ، وهو ما ساعد على نشر الإسلام هناك و ذلك بإقامة المساجد و الزوايا .

ب - قبائل زناتة :

تعتبر من المجموعات الكبرى للبربر و هي فرع قائم بذاته ومن بطونها الجراوة و مغراوة و بنو يفرن .. (3) . و هي قبائل رحل في جملتهم يرعون الإبل و يعيشون في الخيام و أغليتهم يتواجدون بين الصحارى الممتدة من غدامس إلى المغرب الأقصى و لكن موطنهم الاصلي المغرب الاوسط و الأقاليم الصحراوية به منها و احات ميزاب و وادي ريغ (4) و كانت قبائل زناتة تسيطر على الطريق التجاري الذي يربط بلاد الجريد و وادي ريغ و ورجلان من جهة و بلاد السودان من جهة اخرى بين القرنين الثاني و الثالث الهجريين و هو ما ساعدها على التنقل إلى بلاد اسودان و نشر الإسلام هناك . و من الأمثلة التي تدل على هجرات قبائل زناتة إلى بلاد السودان ، إن المدن الصحراوية التي كان أغلب سكانها يتشكلون من هذه القبيلة كانوا على اتصال دائم مع هذه المنطقة . فمدينة ورجلان كانت تسكنها قبيلة أوركليان منذ العهد الروماني و تحولت إلى الإسلام خلال القرن الثاني للهجرة / الثامن الميلادي (5) ، وأصبحت قاعدة للمذهب الإباضي في عهد الرستميين (6) (5)

و من هذه المدينة انتشر الإسلام بفضاء تجارها و علمائها الذين تنقلوا إلى هناك عبر الطريق التجاري الرابط بين ورجلان و نادمكة أو غاو . فقد ذكر الدرجيني (7) أن أبا صالح البجرائي التاجر المعروف بتنقله من

1 - ابن حوقل : صورة الارض - ص 157

2 - الإدريسي : نزهة المشتاق - ص 135

3 - ابن خلدون - العمر - ج 7 - ص 4

4 - عبد الرهاب منصور : قبائل المغرب - المطبعة المالكية - المغرب 1388هـ / 1968 م - ج 1 - ص 311

5 - ابن خلدون - المصدر السابق - ج 3 - ص 153

6 - الزهري : كتاب الجغرافيا - تحقيق : د. حاج صادق - بيروت - 1967 - ص 126

7 - الطبقات - ج 2 - ص 275

ورجلان إلى تادمكة من أجل التجارة خلال القرن الرابع الهجري . و ذكر الوسياني (1) أن أبي عمران موسى الوسياني و هو أيضا تاجر كبير سافر من الحامة إلى مدينة غيارو بغانة عن طريق ورجلان .
و كانت مدينة وادي ريغ من أهم المراكز التي تنقل منها أفراد من زناتة إلى بلاد السودان ، و مدينة وادي ريغ كان يسكنها قبيلة مغراوة التي عرفت بتجارها و اتساعها ببلاد السودان و نشرها للإسلام هناك . يذكر الوسياني أن محمد اللواتي كان يسكن وادي ريغ سافر إلى بلاد السودان . كما عاش بها العالم يبيب ابن زلفين خلال عهد الإمام الرستمي أفلح بن عبد الوهاب (208 - 257 هـ / 823 - 871 م) (2) .

و برز وجود قبائل زناتة في مدينة تادمكة الموجوده ببلاد السودان ، حيث تردد عليها كثير من التجار و الفقهاء من بربر زناتة حتى استطاعوا تأسيس إمارة إسلامية صغيرة مستقلة بها خلال القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي تسمى إمارة بني ثماك

هذه النماذج و امثلة تدل على هجرات قبائل زناتة لبلاد السودان ، و بطبيعة الحال سمح لهم هذا الوضع بنشر الدعوة الإسلامية هناك بالطرق السلمية .

1 - السمر - ص 64 .

2- علي يحيى معمر : الإباضية في الجزائر - ج 1 - ص 199 .

ج- قبائل صنهاجة:

تنسب قبائل صنهاجة الى البرانس وهي من اكبر قبائل البربر حضارة وعمرانا ولذلك جعلها ابن خلدون^(٨١) فرعاً مستقلاً عن سائر البربر واعتبرها شعباً عظيماً حتى انه لا يكاد يخلو قطر من اقطار المغرب من يتلونهم وافراده.

وتنتشر هذه القبائل في وطن فسيح يمتد من غدامس الى المحيط الاطلسي كما يمتد في المناطق الصحراوية التي تلي جبل درن ومن جبال الاطلس الكبير بالمغرب الاقصى حتى مصب نهر السينغال ومنحنى نهر النيجر جنوباً ومن هذا النهر صوب الشرق الى مدينة تادمكة في الصحراء الكبرى⁽²⁾. واطلق عليهم اسم المثلثين لاحتياضهم اللثام على وجوههم، وقسر ابن خلدون⁽³⁾ سبب ميلهم الى سكن الصحراء لطبعهم المتميز بالابتعاد عن الاختلاط بالناس، وفرار من الغلبة والقهر.

وضمنت صنهاجة بطون كثيرة بلغت التسعين قبيلة ومن اشهرها لمتونة وجدالة ومسوفة ولمطة⁽⁴⁾. فقد كان لهذه القبائل دوراً فعالاً في نشر الاسلام ببلاد السودان وساوضح ذلك في هذا الفصل. والملاحظ ان قبائل صنهاجة استطاعت ان تكتسب مكانة سياسية واقتصادية في بلاد المغرب، سهلت عليها الاتصال ببلاد السودان واقامة علاقات مع هذه الاخيرة، وفي اغلب الاحيان كانت ودية خلال هذه الفترة، ماعدى غزوة المرابطية لغانة والتي لم تدم طويلاً (468-487هـ/1076-1087م) وكان هدفها الاساسي ترسيخ مبادئ الدين الاسلامي.

- لمتونة :

هي احدى قبائل صنهاجة⁽⁵⁾، كانت تتمتع بمكانة مرموقة بين القبائل الاخرى، اذ كانت لها الزعامة والسيطرة على غيرها من القبائل⁽⁶⁾، ويمتد وجودها من وادي نول على المحيط الاطلسي حتى راس بوجادور جنوباً، وتعتبر مدينة "ازكي" التي تقع على مسيرة سبعة ايام من وادي نول حصن لمتونة ومقرها، وتتوغل هذه القبيلة في الصحراء شرقاً حتى تدرك الطريق الموصل بين غانة وسجلماسة⁽⁷⁾.

1- العمير - ج 6 - ص 309

2- ابن ابي الزرع: **روض النواحي** ص 80

- ابن الخطيب: اعمال الاعلام - ص 112.

- حسن احمد محمود: المرحلة الافريقية من تاريخ المرابطين - ص 112.

3- المصدر السابق - ج 6 - ص 186.

- حسن علي حسن: الحضارة الاسلامية في المغرب والاندلس - ص 295.

4- ابن ابي الزرع: المصدر السابق - **صفحة 84**

- ابن خلدون: المصدر السابق - ج 6 - ص 312

5- البكري: المغرب - ص 164.

- ابن الخطيب: الحال المرشدة في ذكر الامصار المراكبية - تونس - 1327هـ - ص 6-7.

6- ابن ابي دينار: المونس - ص 104

7- حسن احمد محمود: المصادر السابق - ص 112.

و هم رحل يشتغلون بالرعي و رأسهم الأغنام و يعيشون على لحوم و ألبان الأغنام التي يرعوها (1) . و يذكر ابن الخطيب في هذا الصدد أن أبناء لمتونة رحالة في الصحراء بين السودان و بلاد الإسلام (2) . و مكنتها هذا الموقع من السيطرة على طرق التجارة ، و اكتسب أفرادها ثروة و غنى ، و سهل عليهم تزعم القبائل الأخرى ، و تنظيم التجارة الصحراوية بتوفير الماء و كل ما يحتاجونه مقابل رسوم يدفعونها يذكر ابن حوقل : " و لهم لوازم على المحتازين عليهم بالتجارة من جمل و حمل ، و من الراجعين بالنهر من بلد السودان و بذلك قوام بعض شؤونهم " (3) .

دخلت قبيلة لمتونة الإسلام في وقت مبكر ، يقول عنها ابن خلدون (4) ، لم يعتنق جماعة لمتونة الصنهاجية الذين كانوا يعيشون حياة الرحل في الصحراء الإسلام إلا بعد فترة من فتح الأندلس . وهو ما يقابل النصف الثاني من القرن الأول الهجري / أواسر القرن السابع الميلادي . و يقول الزهرني (5) في هذا الشأن أن المرابطين في جماعة لمتونة في الصحراء الغربية تحولوا إلى الإسلام إبان عهد الخليفة هشام بن عبد الملك (105 - 125 هـ / 724 - 743 م) .

و ساعد قبيلة لمتونة موقعها و تجارتها الصحراوية الإتصال بالسودان و القيام بنشر الدعوة الإسلامية . و من المناطق التي وصلت إليها قبيلة لمتونة مدينة أودغست ، فقد كانت هذه الأخيرة مركزا تجاريا هاما ، تقع في شمال السنغال ، و هي أول ما يلقاه من يعبر الصحراء الكبرى قادما من الشمال ، و هي من المدن الكبيرة ذات الأسواق العامرة ، و هي مدينة غنية لم تكن تبادل الذهب بها و الذي يستخرج من بعض أنهار المنطقة (6) . و كان الإسلام قائما بها قبل دخول المرابطين لها ، فكان القرآن يعلم للصغار في الكتاتيب ، و حكماؤها من بربر لمتونة يذكر البكري (7) : " و كان صاحب أودغست في عشر الخمسين و ثلثة مائة تين بروتان بن و نسوبن نزار رحل من صنهاجة ، و قد دان له أزيد من عشرين ملكا من ملوك السودان كلهم يؤدي إليه الجزية " .

و عرف ملوك أودغست و هم من أمثال لمتونة بجهودهم و حماسهم في مجال نشر الدعوة الإسلامية ببلاد السودان ، و دخولهم أعدادا كبيرة بفضلهم من اهل هذه المنطقة للدين الجديد قبل القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ، يذكر ابن حوقل (8) : " أن الملك الأودغستي " تينروتان " كان شديد التحمس لنشر الإسلام بين قومه و سكان السودان بصفة عامة ، و على هذا الأساس يكون لإمارة أودغست فضل كبير في نشر الإسلام بغانة و المناطق المجاورة لها ، و يذكر البكري (9) أن مدينة غانة بها حي يسكنه المسلمون به اثنا عشر مسجدا و فيها الفقهاء و الأئمة و المؤذنون .

- 1 - البكري : المغرب - ص 164 .
- 2 - ابن الخطيب : الحلل المرشدة - ص 5 - 7 .
- 3 - ابن حوقل : صورة الأرض - ص 10 .
- البكري : المصدر السابق - ص 23 .
- 4 - العمر - ج 6 - ص 373 .
- 5 - كتاب الجغرافيا - ص 126 .
- 6 - البكري : المصدر السابق - ص 158 .
- حسين مؤنس : الإسلام الفاتح - ص 97 .
- 7 - البكري : المصدر السابق - ص 159 .
- 8 - المصدر السابق - ص 101 .
- 9 - المصدر السابق - ص 174 - 175 .

كان لقبيلة لمتونة دور كبير في حركة الرابطين حيث تصدرت الزعامة و كانت تشكل أغلبية جيش هذه الحركة ففي سنة 452هـ / 1060م نظم أبو بكر بن عم حملة عسكرية على غانة و حوّل كثير من سكانها إلى الإسلام . (1)

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1 - حسن احمد عمرد : المرحلة الإفريقية - في عهد المرابطين - ص 115 .

- انظر الفصل الثاني للبحث ص 50

- قبيلة مسوفة :

هي إحدى قبائل صنهاجة (1) ، حددها ابن حوقل (2) موقعها على الطريق الرابط بين أودغست و سحلماسة و هي منطقة صحراوية جرداء و تمتد ببلوطها شرقا حتى تصل إلى تادمكة و كوكو ، كانوا يعملون بالرعي و يعتمدون في معيشتهم على المروم الأغنام و البهائم ، و هم قوم رحل لا يستقرون بمكان ، ليس لهم مدن ولا عمارات بأورون لها (3) . وكانت تسيطر على التجارة المارة بين أودغست في الجنوب و سحلماسة في الشمال وكانت تستفيد من النشاط التجاري فهي تخرج جمالها للتجار أو تبيعهم إياها كلما كانت تقوم بخفر القافلة و يتكلف أفرادها بالسهر على تغذية الجمال و إزالة الأحمال عن ظهورها و وتتقاضى مقابل هذه الخدمات أجورا ، و أورد لنا ابن بطوطة (4) أن مسوفة كانت هي المشرفة على الطريق بين سحلماسة و ولاته ، فكان رئيس القبيلة منها ، وكذلك العمال الذين يستخرجون الملح من منجم تافزة و كانوا يزودون القوافل بالماء و الإمداء .

وقد شكلت قبيلة مسوفة اتحادا مع القبائل الصنهاجية الأخرى منها لتتوة ، و ساعد ذلك على تأسيس دولة المرابطين و على أساسها اكتسبت مكانة مرموقة بين قبائل المغرب و شارك أبناؤها في عملية الجهاد في بلاد السودان مع أبي بكر بن عمر (5) كما ساعدها الإشراف على القوافل التجارية المارة بموطنها من تنقل كثير من أفرادها إلى الجنوب و نشر الدعوة الإسلامية هناك .

- قبيلة جدالة :

هي إحدى قبائل صنهاجة (6) ، موطنها يقع خلف قبيلة لتتوة بين بلاد السودان و بلاد الإسلام ، و تمتد من مصب نهر السنغال و من ضمنه مدينة أوليل التي يستخرج منها الملح الذي تحمله القوافل إلى الشمال و الجنوب . ذكر البكري (7) و الإدريسي (8) أن معدن الملح عند جدالة يستورد من أوليل على شاطئ البحر و من هناك يحمله التجار .

1 - حسن علي حسن : الحضارة الإسلامية في المغرب و الاندلس - ص 298 .

2 - صورة الأرض - ص 98 .

3 - حسن علي حسن : المرجع السابق - ص 297 .

4 - راحة ابن بطوطة - ص 674 .

5 - أنظر الفصل الثاني من البحث .

6 - حسن علي حسن : المرجع السابق - ص 297 .

7 - المغرب - ص 131 .

8 - نزعة المشتاق - ص 31 - 32 .

ودخلت الإسلام مثل بقية القبائل الصحاحية في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك (105-125هـ / 724-743 م) . (1)

ويتميز أفرادها بكثرة تنقلاتهم داخل الصحراء وامتثالهم الرعي (2) ، وكان من الطبيعي أن يكون لهم دور كبير في نشر الإسلام بحكم هذا الموقع ، وأهم ما اشتهرت به قبيلة جدالة أنها تحملت أعباء الدعوة المرابطية في مراحلها الأولى عندما قام يحيى بن إبراهيم الجدالي باصطحاب عبد الله بن ياسين إلى قبائل الصحراء لتعليمهم شؤون دينهم ، ثم انتقلت الزعامة منها إلى قبيلة لمتونة بعد ذلك (3) .

واكتسبت بعد ذلك مكانة مرموقة بين القبائل المؤسسة لدولة المرابطين ، واعتلى بعض أبنائها مناصب عليا في الدولة كما شاركوا في غزوات المرابطين في بلاد السودان منها غزوة أبي بكر بن عمر لمملكة غانة (4) . وهذا كان لهم دور في نشر الإسلام بهذه البلاد والقضاء على الطغوس الوثنية بها (5) .

- قبيلة لمطة :

هي إحدى القبائل الصنهاجية (6) ، سلت المنطقة الممتدة من جبال درن حتى وادي نول القريب من المحيط الأطلسي (7) ، وسميت مدينة نول باسمها ، يقول صاحب الاستبصار (8) : " ومن قبيلة نول إلى وادي درعة نحو ثلاثة مراحل ، إنما سميت نول لمطة لأن قبيلة لمطة وما وراءها هي آخر بلاد السوس " . كما نجد قبيلة لمطة في الصحراء الوسطى كانوا يسكنون في الأراضي الواقعة بين كوار المتصلة ببلاد كانم . وأشار إلى ذلك اليعقوبي (9) بقوله : " إن هؤلاء اللمطين أهالي الصحراء الوسطى كانوا يسكنون في الأراضي الواقعة بين كوار وزويلة والتي تمتد صوب اوجلة " ، وقد اختلطوا مع سكانها ، ولذلك كان أفراد قبيلة لمطة على اتصال ببلاد السودان .

ومن فروع لمطة قبائل التبو أو التيدا (10) وهي قبائل كانت تسكن مرتفعات تبستي وبركو ومنطقة ابندي وواحة كوار وشمال كانم (11) . و أعداءهم ليست كثيرا ، ويطلق عليهم شعب كران أو قرعان السودان أو الدازا وهو إسم أطلقته العرب عليهم ، وقال عنهم ابن سعيد (12) أنهم أول قوم اعتنقوا الإسلام . ومن خصائصهم الجسمانية القامة المسطحة ، وهم يعيشون في بيئة صحراوية وبالتحديد في المناطق الجبلية تسمى بجبال التبستي ، وعلى هذا الأساس فهم يشتغلون بالرعي فلهم الإبل والماعز وأشجار التحيل في بعض

1 - الزهري : كتاب الجغرافيا - ص 126 .

2 - مجهول الاستبصار - ص 213 .

3 - حسن علي حسن : الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس - ص 298 .

4 - ابن أبي دينار : المونس - ص 103 .

5 - ارنولد توماس : الدعة إلى الإسلام - ص 154 .

6 - ابن خلدون : العبر - ج 6 - ص 320 .

7 - حسن علي حسن : المرجع السابق - ص 298 .

8 - مجهول : الاستبصار - ص 213 .

9 - البلدان - ص 9 .

10 - التبو : هي كلمة أطلقها الكانوري على سكان مرتفعات تبستي ومعناها سكان الدلال وأطلق الشماليون من التبو على القسم الجنوبي إسم التيدا ، أما المقيمون في الجنوب أطلق عليهم العرب اسم القرعان . - طرخان : مملكة برنو الإسلامية - ص 11 .

11 - ابن خلدون : المصدر السابق - ص 320 .

12 - كتاب الجغرافيا - ص 93 .

الوحدات ، ودخلوا الإسلام في وقت مبكر . (1)

هاجروا من مراكزهم بالصحراء ، وتبسي إلى بلاد كانم بسبب القحط والجفاف الذي أصاب هذه المنطقة خلال القرن الثاني للهجرة / الثامن الميلادي ، وسرعان ما أصبح لهم حاكم قبيلة الصو بالبقاء بالمنطقة المحيطة ببحيرة تشاد (2) ، فاختلطوا بأهل المنطقة ، وقاموا في نفس الوقت بنشر الدعوة الإسلامية ، واتصلوا بالأسرة الحاكمة عن طريق المصاهرة ، فأصبحوا يشكلون بذلك هيئة أرستقراطية تملك القوة والنفوذ (3) . ولذلك ينسب إليهم إدخال الإسلام ونشره في بلاد كانم ، بفضلهم تحولت الأسرة الحاكمة بكانم وهي الزغاوة إلى الإسلام . وتأسست مملكة إسلامية قوية في السودان الأوسط كان لها دور فعال في نشر الإسلام

و الملاحظ أن جداول أنساب ملوك كانم تضمنت أسماء الملوك الذين يتنسبون إلى قبيلة التبو عن طريق أمهاتهم منهم الملك دومة بن أومي الذي شهدت الدولة في عهده توسعا وشهرة وقوة وحماة في نشر الدعوة الإسلامية (4) . فقد حج ثلاث مرات وجاهد ضد القبائل الوثنية المجاورة لمملكته ، وللإشارة أن الانتساب إلى الام هي عادة مشهورة عند البربر أدخلوها معهم إلى بلاد السودان منها قبيلة التبو واستمرت هذه العادة حتى بعد اعتناقهم للإسلام . (5)

1 - طرخان : مملكة برنو الإسلامية - ص 27 .

2 - شاطر البصلي : حضارات السودان الأوسط والشرقي - ص 432 - 434 .

- جوزيف جوان : الإسلام في ممالك امبراطوريات إفريقيا السوداء - ص 90 .

3 - حسن أحمد عمرد : الإسلام والنقاء العربية في إفريقيا - ص 258 .

4 - طرخان : المرجع السابق - ص 28

- رونالد أوليفر ، جون فيج : موجز تاريخ إفريقيا - مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة - 1969 - ص 255 - 256 .

5 - طرخان : المرجع السابق - ص 28 .

- قبيلة هواراة :

هي من أشهر القبائل البربرية و هي بطن من البرانس تنسب إلى هوار بن مزيع بن برنس (1) و كان موطنهم حول طرابلس الغرب قرب سرت . هذا زمن الفتح الإسلامي و يتواجدون بكثرة في الصحراء الوسطى و من ضمنها مرتفعات الطاسيلي آجر و الهوقار . و الدليل على هذا التواجد أنت اسم هوقار مشتق من اسم قبيلة هواراة كما يذكر ابن خلدون (2) . و وصل عدد كبير من أبناء هذه القبيلة إلى بلاد السودان لقرهم منها ، يقول ابن بطوطة (3) الذي اجتاز إقليم الهوقار أن سكانه كانوا يضعون لثاما على وجوههم . و قد يكون سبب هجرة قبيلة هواراة إلى الهوقار ثم بلاد السودان هي الهزيمة التي لحقت بالقائد البربري أبو يزيد من طرف الجيش الفاطمي سنة 336 هـ . لأن كثيرا من أفرادهم شاركوا في الثورة معه و خوفا من بطش الفاطميين لهم تشتتوا في الصحراء و وصلوا حتى بلاد السودان (4) . كما هاجرت بعض المجموعات من هواراة إلى بلاد السودان بعد غزوة بني هلال لبلاد المغرب . (5)

و قبيلة هواراة من القبائل الكبرى التي تولت التجارة مع بلاد السودان خاصة في عهد الدولة الرستمية و منها هواراة طرابلس و هواراة تيهرت و هواراة جبال الأوراس . وكانت هواراة الصحراء أنشط هذه القبائل في المجال التجاري و جعلت منطقة الهوقار ، اعدة تجارية تنطلق منها نحو بلاد السودان (6) . فقد وصف الإدريسي حالة هواراة في القرن الخامس الهجري بـ: " إن هواراة أغنياء تجار مياسير يدخلون إلى بلاد السودان بأعداد الجمال الحاملة لقناطر الأموال من النحاس الأحمر و الملون و الأكسية و ثياب الصوف و العمائم و المآزر و صنوف من الزجاج و الأصداغ و الأحجار الكريمة و ضروب الأفاويه و العطر و آلات الحديد ، و ما منهم من يسفر عبيده إلا وله في قوافلهم المائة جمل و السبعون و الثمانون جملا كلها موقرة " .

من خلال هذا النص نجد أن هواراة كانت على اتصال ببلاد السودان بفضل ممارسة التجارة و أن عددا كبيرا من أفرادها تنقل إلى هناك ، و لا بد أن حماسهم الديني جعلهم يقومون بنشر الدعوة الإسلامية . و ما يؤكد هذه الحماسة الدينية أرا قائد ثورة البربر يزيد بن مخلد و لد بتادمكة و هي مدينة موجودة ببلاد السودان و من جارية من هواراة و أن أبوه كان تاجرا و على اتصال دائم ببلاد السودان . (8)

1 - ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ص 496 .

- ابن خلدون : العمر - ج 6 - ص 282

2 - نفسه - ج 6 - ص 141 .

3 - رحلة ابن بطوطة - ص 699 .

4 - أبو زكريا : السم - ص 122 .

5 - ابن خلدون : المصدر السابق - ج 6 - ص 283 .

6 - محمد علي دبرز : تاريخ المغرب الكبير - ص 349 .

7 - نزهة المشتاق - ص 135 .

8 - عماد الدين القرشي : عبرن الأخبار و سون الآثار - ص 172 - 173 .

- المالكي : رياض النفوس - ج 1 - ص 2 - للتفصيل أكثر أنظر الفصل الثالث .

طـوارق :

هم فرع من فروع صنهاجة استقروا في القلم في الصحراء ومقرهم الرئيسي الهوقار ومنطقة زندر ومرتفعات غير و أدرار الفوقاس وفزان و أطلق عليهم اسم الملتين بسبب وضع لثام على وجوههم . ويذكر ابن خلدون (1) أن الملتين هم الذين يستخدمون اللثام لتغطية وجوههم وهم الطوارق وموطنهم ارض الصحراء والرمال الجنوبية فيها بين بلاد البربر وبلاد السودان وبعضهم لا يعرف الحرث والزرع وإنما اموالهم أغنام وعيشهم اللحم واللبن . واعتنقوا الإسلام في وقت مبكر إبان عهد الخليفة هشام ابن عبد الملك (القرن الثاني الهجري) وهو الذي اعتنق فيه معظم سكان الصحراء الإسلام (2)

واشتهر البربر بلباسهم الأزرق ولهم حجارة ولغة تسمى تماشغ وكتابة تسمى تيفيناغ ويطلقون على أنفسهم ايموشاك (3) . وكان للطوارق شأن عظيم في نشر الإسلام ببلاد السودان الأوسط ، وكانت لهم حرم إلى هذه المنطقة تأثير كبير ، ومن دلائل تواجدهم هي الأسماء المتداولة في بلاد السودان الأوسط التي لها أصل بربري منها كلمة برنو وهو اسم أكبر مملكة سودانية ظهرت حول بحيرة تشاد ومشتق من كلمة برداوة (4) ولها تشابه كبير مع اسم بابرير ومعناها أمة البربر ، ووجود الطوارق ببلاد السودان يدل عليه أسرة الماغوي التي لها قرابة مع الطوارق حكمت برنو خلال القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي . إسقاط أسرة الزغاوة (5) .

واعتقد بارث (6) وهو مؤرخ ألماني أن أصل الزغاوة من البربر الطوارق واستدل على ذلك بوجود واستمرار عاداتهم وتقائدهم التي ورثوها منها لبس اللثام والانتساب للأُم . ويذكر حسن الوزان (7) أن ملك برنو من أصل بربري وهو من قبيلة البرداوة والبرداوة هو شعب سكن ليبيا وهو من صنهاجة ويقصد بهم الطوارق . نجد أن هذا الشعب يعيش في الواحات الموجودة بين اوجلة وغات وقد نجدهم في تكدة حسب ابن بطوطة (8) . وكان الطوارق على اتصال بسكان السودان الأوسط بسبب امتهانهم تجارة القوافل مثل غيرهم من القبائل البربرية في الصحراء . فكانوا يعملون كحمالين ومن أبرز مراكزهم التجارية فزان وكوار وغدامس .

1 - العبر - ج 6 - ص 371 .

2 - الزهري : كتاب الجغرافيا - ص 126 .

BAU MANN & WESTERMANN : les peuples et les civilisations de l'Afrique - T1 - P31 - 325 .

Gabriel Gardel : les touareg addjer - édition baconnier 1961 P 157 . - 3

جون - P 212 - Bousquet : berbère - encyclopédie de l'islam - Larousse paris 1975 -

4-ايغر : مادة برنو - دائرة المعارف الإسلامية - ص - 475 .

5 - ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة - ص 69 - 699 - ج 4 - ص 432 .

- طرخان : مملكة برنو - ص 50 - 51 .

6 - HENRI BARTH : cop - cit - P 25- 26 -

7 - وصف إفريقيا - ج 2 ص 176 . - المصدر السابق - ص 104 .

وأشار إلى ذلك ابن حوقل (1) عندما قال أن فزان كان يسكنها جماعة من البربر ، أما اليعقوبي (2) فزاد أن كوار كان يسكنها سكان مختلطون أغلبهم من البربر ، وكانت تادمكة من المراكز التجارية التي كان يتردد عليها البربر منهم الطوارق ، جانيوها من ورجلان وإقليم الجريد وجبل نفوسة ، وسافر إليها عدد كبير من تجار البربر نذكر منهم أبا نوح و أبا صالح الياجراي⁽³⁾ .
إن هذا العرض يبين لنا أن الطوارق اعتنقوا الإسلام وقت مبكر ، وأن وجودهم في الصحراء جعلهم على اتصال مباشر ببلاد السودان ، والقيام بالدعوة الإسلامية . وكان من نتائج تواجدهم بالمنطقة هو مصاهرة السكان والمساهمة في تأسيس دول إسلامية منها دولة كانتم .

1 - صورة الأرض - ص 104 .

2 - البلدان - ص 9 .

3 - انظر الفصل الخامس الخاص بالتجارة - ص 95

د - الأثر الثقافي للهجرات البربرية على بلاد السودان :

كان للهجرات البربرية أثر كبير على بلاد السودان الأوسط سياسيا واقتصاديا وثقافيا واجتماعيا .
- الأثر السياسي: برزت أسر حاكمة مسلمة في بلاد السودان الأوسط يرجع أصلها إلى البربر ، واعتلت سدة الحكم في هذه البلدان نتيجة لاختلاطها بالسكان ومزاجهم ، وساعدهم في هذا مكانتهم الاجتماعية ، وممارستهم التجارة فكان منهم الأغنياء والتجار الكبار ، ولذلك تقرب منهم أهل السودان وحالسوهم ومنحوا لهم المناصب (1) ، وتعتبر الزغاوة التي حكمت كاتم منذ القرن الأول الهجري/ الثامن الميلادي من الأسر ذات الأصول البربرية التي كان لها الفضل في نشر الإسلام حول بحيرة تشاد (2) .

كما كان للقبائل البربرية دور كبير في إثيق العلاقات السياسية بين الدول الإسلامية في الشمال وممالك السودان وأبرز مثال على ذلك هي العلاقات الودية التي كانت قائمة بين الدولة الرستمية وحاكم مدينة غاو في عهد الإمام افلح بن عبد الوهاب (3)
- الأثر الثقافي: فقد نشطت حركة التجارة بفضل الهجرات البربرية وسمحت بتسهيل تبادل السلع وتنقل الأفراد ، فساد الرخاء في هذه البلدان وزادت الأرباح وهذا ما ساعد على تطور الشعوب السودانية وجعلها تساهم في التجارة العالمية في ذلك الوقت واشهرها تجارة الذهب . فقد كانت مملكة مالي من أرقى الدول وأعظمها بسبب ثرائها لكثرة الذهب عندها وأصبحت معروفة حتى عند الدول الأوروبية حيث ظهرت في الخرائط القطلونية .

- الأثر الاقتصادي: فقد حمل معهم البربر عاداتهم وتقاليدهم وكذلك الثقافة العربية الإسلامية ، فتأثر بهم أهل السودان ، حيث أصبحوا يتأقنون في ملابسهم بارتداء أفنار الملابس كما دخلوا الإسلام وأصبحوا من أكثر المدافعين عنه . وانتشرت بينهم المذاهب الإسلامية الموجودة في العالم الإسلامي منها المذهب الإباضي ثم بعده المذهب المالكي في عهد المرابطين . وبانتشار الإسلام انتشرت اللغة العربية حيث أصبحت لغة التعامل والعلم والتأليف وتأثرت بها اللغات المحلية التي أصبحت تكتب بالحروف العربية وتحتوي على كثير من المفردات العربية .

الأثر الاجتماعي: فقد امتزج البربر بالسكان ، حتى أصبح أهل السودان يتشبهون بهم في زيهم وفنونهم ، كما برزت أحباء خاصة بالمسلمين في غانة وغاو وغيرها من المدن .

1 - البكري : المغرب - ص 175 .

2 - طرخان : مملكة برنو الإسلامية - ص 44 .

- حسن أحمد محمود : الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا - ص 258 .

3 - محمد علي دهرز : تاريخ المغرب الكبير - ج 3 - ص 349 .

د - الأثر الثقافي للهجرات البربرية على بلاد السودان :

كان للهجرات البربرية أثر كبير على بلاد السودان الأوسط سياسيا واقتصاديا وثقافيا واجتماعيا .
- الأثر السياسي: برزت أسر حاكمة مسلمة في بلاد السودان الأوسط يرجع أصلها إلى البربر ، واعتلت سدة الحكم في هذه البلدان نتيجة لاختلاطها بالسكان ومصاهرةهم ، وساعدتهم في هذا مكانتهم الاجتماعية ، وممارستهم التجارة فكان منهم الأغنياء والتجار الكبار ، ولذلك تقرب منهم أهل السودان وحالوهم ومنحوا لهم المناصب (1) ، وتعتبر الزغاوة التي حكمت كاتم منذ القرن الأول الهجري/ الثامن الميلادي من الأسر ذات الأصول البربرية التي كان لها الفضل في نشر الإسلام حول بحيرة تشاد (2) .

كما كان للقبائل البربرية دور كبير في توثيق العلاقات السياسية بين الدول الإسلامية في الشمال وممالك السودان وأبرز مثال على ذلك هي العلاقات الودية التي كانت قائمة بين الدولة الرستمية وحاكم مدينة غاو في عهد الإمام افلح بن عبد الوهاب (3)
- الأثر الثقافي: فقد نشطت حركة التجارة بفضل الهجرات البربرية وسمحت بتسهيل تبادل السلع وتنقل الأفراد ، فساد الرخاء في هذه البلدان وزادت الأرباح وهذا ما ساعد على تطور الشعوب السودانية وجعلها تساهم في التجارة العالمية في ذلك الوقت واشهرها تجارة الذهب . فقد كانت عملة مالي من أرقى الدول وأعظمها بسبب ثرائها لكثرة الذهب عندها وأصبحت معروفة حتى عند الدول الأوروبية حيث ظهرت في الخرائط القطلونية .

- الأثر الاقتصادي: فقد حمل معهم البربر عاداتهم وتقاليدهم وكذلك الثقافة العربية الإسلامية ، فتأثر بهم أهل السودان ، حيث أصبحوا يتأقنون في ملابسهم بارتداء أفنار الملابس كما دخلوا الإسلام وأصبحوا من أكثر المدافعين عنه . وانتشرت بينهم المذاهب الإسلامية الموجودة في العالم الإسلامي منها المذهب الإباضي ثم بعده المذهب المالكي في عهد المرابطين . وانتشار الإسلام انتشرت اللغة العربية حيث أصبحت لغة التعامل والعلم والتأليف وتأثرت بها اللغات المحلية التي أصبحت تكتب بالحروف العربية وتحتوي على كثير من المفردات العربية .

الأثر الاجتماعي: فقد امتزج البربر بالسكان ، حتى أصبح أهل السودان يتشبهون بهم في زيهم وفنونهم ، كما برزت أحياء خاصة بالمسلمين في غانة وغاز وغيرها من المدن .

1 - البكري : المغرب - ص 175 .

2 - طرخان : مملكة برنو الإسلامية - ص 44

- حسن أحمد محمود : الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا - ص 258 .

3 - محمد علي دبرز : تاريخ المغرب الكبير - ج 3 - ص 349 .

الفصل الخامس

أ- تطور العلاقات بين المغرب والسودان (بين القرن الأول والخامس الهجري / السابع والحادي عشر الميلادي)

1- العلاقات التجارية في عهد الدولة الرستمية.

أ - تيهـرت.

ب - جبل نفوسة.

2- العلاقات التجارية في عهد الفاطميين والزييريين.

3- العلاقات التجارية في عهد المرابطيين.

ب- دور القبائل البرية في تنظيم قوافل الصحراء.

ج- أهم الطرق وال مراكز التجارية :

1- الطرق التجارية.

2- المراكز التجارية.

د- أساليب التعامل.

هـ- السبل مع المتبادل.

و- المكاييل والموازين والمقاييس.

ن- صفات التاجر المسلم.

ي- الأثر الثقافي بسبب التجارة على بلاد السودان الأوسط.

وقد ساعدها موقعها الجغرافي من إقامة علاقات حسنة مع بلاد السودان، وأصبحت من الدول الغنية في عصرها بفضل تجارة الصحراء، وكان لتجارها دور في نشر الإسلام في المناطق التي زاروها. وخلال الحكم النبطي (القرن الرابع الهجري) تمكن المسلمون أن يحتكروا القوافل عبر الصحراء، وتمكسوا من الاتصال بمناجم النعيب في بلاد السودان اتصالا مباشرا ويطيطروا خاصة على تجارة الذهب بهدف صك النقود الذهبية (1)

وشهد القرن الخامس الهجري ظهور قوة سياسية كبيرة وهي دولة المرابطين، ففي عهدها شهدت التجارة الصحراوية نشاطا بسبب ما وفرته من أمن واستقرار في منطقة المغرب والصحراء، وسيطرت على مناطق واسعة من بلاد السودان منها غانا. (2)

إن توسع العلاقات التجارية بين بلاد المغرب وأهل السودان أدى إلى تطور المعاملات، فقد استطاع التجار المسلمون من إقامة مراكز خاصة بهم في مدن وثنية وبناء المساجد والزوايا لتعليم القرآن واللغة العربية وهو ما سهل انتشار الإسلام ببلاد السودان.

وستتناول في هذا الفصل كيفية تسرب الإسلام إلى بلاد السودان عن طريق التجار، والعوامل المساعدة في ذلك. وعلى هذا الأساس وسأتناول أهم المراكز التجارية ودورها في نشر الإسلام، وأهم الطرق التجارية التي سلكتها القوافل والصحاريات الموجودة بها، كما سأحدث عن دور القبائل البربرية في تنظيم تجارة الصحراء والإشراف عليها مما جعل السفر يسيرا عبر الصحراء وسمح بتنقل آلاف الناس إلى السودان دون عناء. وكسائر لطريقة تعامل التجار المسلمين أثناء بيع سلعهم تأثير في نشر أفكارهم ومن ثم مبادئ الشريعة الإسلامية.

1 - ابن حزم : صرة الأرض - ص 41.

2 - حسن أحمد عمود : المراتبة الإفريقية في تاريخ المرابطين - ص 112.

أ- تطور العلاقات التجارية بين المغرب والسودان الأوسط :

1- العلاقات التجارية في عهد الدولة الرستمية :

/- تيهرت *

كانت الدولة الرستمية أغلى دول المغرب العربي في عصرها، والأكثر استقراراً لعلها وما أفاء الله عليها. فقد كانت أراضيها تظلم مناطق زراعية خصبة مكنتها من إنتاج مزروعات متنوعة منها الحبوب والفواكه وتوفرها بكميات كبيرة جعلها تصدر كميات منها إلى الأقطار البعيدة عنها (1)

ومن عوامل غناها وبعدها على التجارة لموقعها الجغرافي الممتاز، فهي تقع بين المغربين الأدنى والأقصى، وقرية من بلاد السودان. (2)

إن العلاقات التجارية مع بلاد السودان كانت متينة، حيث كانت القوافل التجارية الضخمة تنطلق من تيهرت وورجلان وجبل نفوسة وغيرها من المدن، تحمل معها مختلف السلع وفي نفس الوقت يقوم أفرادها بنشر الدعوة الإسلامية.

ذكر الإدريسي (3) أن التجار يدخلون بلاد السودان بأعداد الجمال الحاملة لقناطير الأموال من النحاس الأحمر والملون والأكسب وثياب الصوف والعمائم والمآزر وصنوف النظم من الزجاج والأصداف والأحجار وضروب من الأفاريهواصطر وآلات الحديد المصنوع.

ومقابل ذلك كانت القوافل التجارية تجلب من بلاد السودان منها "غانة" و"كوكو" الذهب الخام والعاج وريش النعام ولبود الحيوانات منها جلود السباع. (4)

ومن المراكز التجارية النشطة في عهد الدولة الرستمية تيهرت وورجلان، وجادو وشيروس وجبل نفوسة حيث كان لها دور فعال في التبادل التجاري عبر الصحراء، ومنها انتشر الإسلام ببلاد السودان الأوسط. وسأخصص لها عنصراً خاصاً بها. (5)

واهتمت القبائل البربرية الخاضعة لسلطة الدولة الرستمية بتنظيم تجارة الصحراء فكانت تقوم بحراسة القوافل وتقيم لها مرابط لحيل والجمال والمنازل وتخفر لهم الآبار وتبعث معهم الأدلة إلى الصحراء وتحافظ على

1- ابن الصغيم : أخبار الأئمة الرستمين ص 31.

2- عماد علي دبور : تاريخ المغرب الكبير - ج 3 - ص 344.

3- الإدريسي : نزهة المجالس - ص 135

4- الفرناطي : نفحة الألبان - ص 43 - 44.

5- مسعود مرهودي : بين نفوسة من الفتح الإسلامي إلى هجرة بني هلال - ص 216-220.

أمنها أثناء سيرها. (1)

وبفضل العلاقات الدولية التي كانت قائمة بين الدولة الرسمية وبلاد السودان منها مدينة "كوكو" أو "غلو"، أن الإمام "أفلح" عقد مع ملك كوكو علاقات مودة فأهدى إلى هذا الملك هدية نفيسة ليوثق الصداقة بينهما، وبشكره على ما يجده تجار بلاده من حسن المعاملة، وانتشر الإسلام بهذه المدينة بفضل النشاط التجاري، ذكر ياقوت الحموي (2) أن كوكو اسم أمة وبلاد من السودان، وملكهم يظهر رعيته بالإسلام وله مدينة على النيل من شرقيه اسمها (سرانة) بها أسواق ومتاجر والسفر إليها من كل بلاد متصل وله مدينة على غربي النيل يسكنها هو ورجاله وهناك مسجد يصلي فيه جميعهم مسلمون .

وذكر الشيخ الباروني في نشأة العلاقات الحميمة بين "كأكو" و"تيهت" قال إن للإمام أفلح مودة مع أغلى الملوك (المجاورة له) ولا سيما ملك كوكو وهي تبعد عن تيهت بمسافة ثلاثة أشهر تقريبا.

ويتجلى اهتمام أئمة الدولة الرسمية بالتجارة مع بلاد السودان، عندما عزم الإمام ابن عبد الوهاب (4) (188-238هـ/803-852م) السفر إلى كوكو للتجارة لكن والده تدخل ومنعه من السفر بسبب إخفاقه في السرد على مسائل الربا. (5) وقد يكون سبب هذا المنع هو حرص حكام تيهت على العلم والأخلاق التي يجب للتاجر المسلم أن يتمتع بها حتى لا يخرج من مبادئ الدين الإسلامي خاصة في مجال البيع والشراء، مما يسهل عليه نشر الدعوة الإسلامية.

وبعد أن تولى الإمام سنة (188هـ/803م) وثق العلاقات التجارية مع أحد ملوك السودان (قد يكون ملك كوكو) وأرسل إليه هدية نفيسة ليوثق الصداقة بينهما وبشكره على ما يجده تجار بلاده من حسن معاملة لهم. وكما رسوله إلى هذا الملك محمد بن عرفة وقد أعجب الملك بشخصيته وثقافته وبفروسيته وكان لذلك أكثر الأثر في توثيق عرى الصداقة بين وبين الإمام أفلح. (6)

وكانت التجارة حرة يقوم بها كل فرد في الدولة الرسمية تنزع نفسه إلى التجارة، واشتهر كثير من التجار والأغنياء عاشوا خلال هذه الفترة، فعرفوا لكثرة تنقلاتهم بين ورجلان ووادي ريغ، وبلاد الجريد وأقليم قران وجبل نفوسة من جهة وبلاد السودان من جهة أخرى، ومنهم من كان تاجرا وعالما في نفس الوقت، ومن فزارهم أنهم عرفوا بحماسةهم الدينية وعملهم على نشر الدعوة الإسلامية بالمناطق التي بها، ومن هؤلاء "أبو عثمان المزاني الدكي" (عاش خلال القرن 3 هـ) عرف بكرمه وزهده . . . وكانت له تجارة .

1- أنظر الفصل الحضر دور القبائل البربرية بتطعيم فرائض التجارة ص 72

2- معجم البلدان - ص 301.

3- الأزهار الرباطية - ص 184-185

4- أفلح بن عبد الرحمن ثالث الأئمة الرسميين من الإيباضية في تيهت، برز بعد وفاة أبيه 168/784م عمر طويلا في إمارته له مؤلفات

ورسائل في مجال الوعظ والإرشاد (النحاسي : السم - ص 192. الدروي : الأزهار - ج 2 ص 166. الرركلي : الأعلام - ص 342)

5- الدرجيني : طبقات شيوخ المغرب - ج 2 - ص 210.

6- ابن الصغيم : أعبا لأئمة الرسميين - ص 210.

- علي بن معمر : الإيباضية في الجزائر - ج 1 - ص 82-83.

واسعة مع بلاد السودان (1). وييب بن زلفين (عاش خلال القرن الثالث الهجري) كان يملك من الإيسر ثلاثين ألفاً ومن الغنم ثلث مئة ألف ومن الحمير إثني عشر ألفاً، وهو من أكبر أثرياء تيهرت، كان يسافر إلى بلاد السودان. (2)

ومما يدل على العلاقات التجارية القوية، وجود جاليات سودانية بجبل نفوسة منذ القرن الثالث الهجري/العاشر الميلادي واستقرت بمدينة "اجناون" هي مدينة قرية من "جادو" فقد كانت مركزاً تجارياً هاماً يتم فيه تبادل السلع أهمها الرقيق المطلوب من دولة كانم. (3)

إن الشواهد التي أوردتها تدل على العلاقات التجارية الحسنة بين الدولة الرستمية وبلاد السودان وإن التجار كان لهم دور في نشر الإسلام وبفضلهم تحولت كثير من المناطق الجديدة منها مدينة "كوكو".

1 - الدرجيني : طبقات مشايخ المغرب - ج2 - ص 308.

2 - الشماخي : السر - ص 205 .

3 - إبراهيم فحار: تجارة القوافل في العصر الوسيط ودور اللين في حضارة الصحراء الكبرى - ص 47 .

ب - جبل نفوسة :

يقع جبل نفوسة في المناطق المحيطة بطرابلس (العرب)، يمتد من الشمال إلى الجنوب على ثلاثة أيام، ومن مدنه جادو، شروس، اجناون. يتميز هذا الإقليم بمياهه الجارية وبشجار الفاكهة (1). وهو امتداد لسلاسل جبال الأطلس، ويتميز بالإرتفاع الذي يتراوح بين 600 و700م، ويقسم جغرافيا إلى منطقتين ناحية شرقية ومن أكبر مدنها جادو وأخرى غربية وأكبر مدنها شروس. دخله الإسلام بعد غزوة بسر بن أرطاة له خلال القرن الأول الهجري، وسكانه من البربر، اتبعوا المذهب الإباضي، بل أصبح مركزا هاما لهذا المذهب كما سترى ذلك في فصل المراكز الثقافية. (2)

وكان جبل نفوسة يشمل الإقليم الشرقي للدولة الرستمية، وفي هذه الفترة أقيمت علاقات تجارية مكثفة مع بلاد السودان. وكانت تربط عدة طرق تجارية هامة منها :

طريق جبل نفوسة - زويلة - ودان : حيث تنطلق من مدينة جادو وتقطع المسافة في ظرف سبعة أيام للوصول إلى زويلة، ومن زويلة يستمر التجار في السير للوصول إلى ودان. (3)

طريق جبل نفوسة - كوكو : يربط جبل نفوسة بكوكو مروراً بغدامس، ينطلق من شروس ليصل المسافرين إلى غامس التي تبعد سبعة أيام عن الصحراء (4)، ومن غدامس إلى تادمكة تقدر مسافتها بخمسة وعشرين مرحلة، ومن تادمكة إلى كوكو سبعة مراحل. (5)

طريق جبل نفوسة - كانم : فقد كانت تنطلق القوافل من جادو لتصل إلى زويلة بعد مسيرة ثلاثة عشر يوماً، ومنها إلى كوار على مسيرة خمسة عشر يوماً (6)، وكوار تقع في إقليم كانم ويبدو أنه أقصر المسالك المؤدية إلى بلاد السودان.

طريق جبل نفوسة - غانة : هناك مسلك يعبر الصحراء ويربط جبل نفوسة بغانة يمر بمدينة ورجلان، وقد سافر عمر الطريق عدد من تجار الإباضية، فكانوا يعبرون منطقة الجريد للوصول إلى ورجلان ومسيرة ذلك أربعة عشر يوماً (7)، ومنها كانت تعبر القوافل التجارية الصحراء للوصول إلى ادغست وسلماسة ثم غانة (بلاد السودان). (8) والمسافة بين ودغست وغانة اثنتا عشرة مرحلة وبين ادغست ورجلان إحدى وثلاثون مرحلة. (9)

1- جبل نفوسة : فتحه عمر بن العاص، وأصبح معقل الإباضية منذ عهد علي بن أبي طالب، غني بمياهه وفواكهه وتجارته مع بلاد السودان.

ابن حوقل : صورة الأرض - ص 92-93 - الحمري البلدان - ج 1 - ص 246 - النجاشي : رحلة النجاشي - تحقيق حسن عبد الوهاب - تونس - 1957 - ص 14.

2- مؤلف مجهول : الاستيعاب - ص 145، إبراهيم فحار : تجارة القوافل في العصر الوسيط - ص 51، 52.

3- البكري : المغرب - ص 1.

4- مؤلف مجهول : الاستيعاب - ص 18.

5- البكري : المصدر السابق - ص 18.

- مزهرود مسعودي : جبل نفوسة منذ الفتح الإسلامي إلى هجرة بني هلال إلى بلاد السودان - ص 251.

6- البكري : المصدر السابق - ص 9.

7- نفسه - ص 159-164-167.

ارجع للمراكز التجارية للبحر - ادغست وسلماسة - ص 117، 119.

9- الإدريسي : نزهة المشتاق - ص 34.

إن هذه الشبكة من الطرق سهلت تنقل التجار بقوافلهم المحملة بالسلع إلى بلاد السودان، كانت تنطلق من مدن الإقليم أشهرها مدينة شروس ومدينة جادو. وذكرت كتب السير الإباضية عددا من التجار والعلماء الذين سلكوا هذا الطريق خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين، ومن هؤلاء عبد الحميد الفزائي وهو عالم كبير من أهل الدعوة، سكن بلاد السودان واشتهر بمعارفه الطبية خاصة في مجال مرض العيون عاش خلال القرن الثالث الهجري بفزان القرية من جبل نفوسة. (1)

وأبو نوح سعيد بن يثلف المزاني (عاش في الوسط الثاني من القرن الرابع الهجري سافر إلى تادمكة (مدينة ببلاد السودان) بعد أن أدى فريضة الحج، وعرف بكثرة أمواله وخيله ونصرة الدين. (2)

وأبو صالح الياجرائي، كان تاجرا وعالما، عرف بتجارته بين ورجلان وتادمكة وهو من تجار الإباضة عاش خلال القرن الرابع الهجري. (3)

أما أبو نوح الصغير (عاش خلال القرن الرابع الهجري) ككل له أربعون فرسا، سافر إلى تادمكة. (4) وكانت مدينة جادو إحدى مراكز جبل نفوسة التي تنطلق منها القوافل التجارية في اتجاه بلاد السودان الأوسط، فقد كان سكانها يتكلمون إلى جانب اللغة العربية والبربرية اللغة الكانمية، كما أكد الشماخي (5) على وجود تجارة واسعة بين الجبل وبلاد كانم فقد أشار إلى أن أبا عبيدة عبد الحميد الجناوي - عامل نفوسة من قبل الإمام عبد الوهاب، كان يحسن تكلم اللغة الكانمية إلى جانب اللغة العربية والبربرية، وهذا يدل ربما على إقامته الطويلة ببلاد السودان.

وسافر عدد كبير من تجار الإباضة إلى بلاد السودان من المناطق القريبة لجبل نفوسة خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين، نذكر منهم إقليم فزان وبلاد الجريد، ونذكر منهم أبا موسى الوسياني الذي خرج من بلاد الجريد ووصل إلى مدينة غيارو خلال القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي. (6)

وذكر الشماخي (7) في سيره أن رجلا من بني واسين يقال له ثعلي (عاش خلال القرن الرابع الهجري) كان يقيم في تادمكة وحصل لما مالا كبيرا جعل يعث منها عشرة أكياس كل كيس فيه خمسمائة دينار إلى عمران موسى بن سمرين ليوزعها على الفقراء.

1- الدرجيني : الطبقات ج 2 - ص 327.

2- نفسه - ج 2 - ص 367.

- الحموي : معجم البلدان - ج 2 - ص 361.

3- حردت عبد الكريم يوسف : العلاقات الخارجية للدولة الرسنية - ص 274

4- الدرجيني : المصدر السابق - ص 267 .

5- الشماخي : العمر - ص 273 .

6- حردت عبد الكريم يوسف : المرجع السابق - ص 286 .

7- المصدر السابق - ص 411

وما نستخلصه أن نقل التجار من جبل نفوسة خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين حقيقة تاريخية، وهي تدل على العلاقات التجارية التي كانت قائمة مع بلاد السودان الأوسط خلال هذه الفترة، والملاحظ أن من بين التجار يوجد الأسماء ، فقاموا بنشر الدعوة الإسلامية بجانب بيع سلعهم وانتشر الإسلام بفضلهم في المنطقة.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

2- العلاقات التجارية في عهد الفاطميين والزييريين : (القرن الرابع هـ)

نشطت الحركة التجارية وازداد حجم تبادل السلع بين المغرب ومصر من جهة وبلاد السودان من جهة أخرى خلال العهد الفاطمي (46-496 هـ) بسبب تحسن العلاقات السياسية بين المنطقتين.

ويلاحظ خلال هذه فترة أن جنود السودان في مصر الفاطمية كانوا في موضع رعاية الخلفاء الفاطميين ولا سيما زمن المستنصر الفاطمي (46-496 هـ / 1035-1045 م) لأن أمه كانت سودانية واشتهرت بالعطف على أبناء جنسها لمقاومة قوة الأتراك (الغارية)، وكان هؤلاء السود من أجناس مختلفة من بلاد السودان. فاسلاف دوغمة دبالا (ت1259م) كانوا خاضعين لنفوذ الخلفاء الفاطميين في مصر، هذا بالإضافة فإن مصر في هذه الفترة كانت محل دفن أحد ملوك كانم أشهرهم هو الماي أوم بن جيل (1097 م / 490 هـ). (1)

ومن الدلائل الأخرى على قوة الاتصال بين كانم ومصر في العهد الفاطمي أن المي دوغمة بن أوم (1097-1151 م / 490-545 هـ) ترك في مصر عند رحلة حجته الأولى والثانية 600 عبد، وعند رحلته الثالثة قد يكون تدخل في شؤون مصر الداخلية زمن الخليفة الظاهر الفاطمي (1139-1194 م / 533-590 هـ) وكان سببا في إغراقه عند عذاب في البحر الأحمر (2)

والمهم أن مصر الفاطمية كانت لها علاقات قوية مع بلاد السودان وهذا أدى إلى زيادة النشاط التجاري وسيطرة المسلمين على تجارة الصحراء خلال هذه الفترة وعلى سبيل المثال نجد مدينة سجلماسة زادت شهرتها عند التجار العرب الذين اتخذوها مركزا تجاريا ينطلقون منه إلى بلاد السودان وقد تحدث عن ذلك ابن حوقل مع العلم أن سجلماسة قد أسست سنة 10 هـ وكان لها دور في ذلك الوقت في تجارة الصحراء.

ومما ذكر ابن حوقل (3) عن سجلماسة : "كانت القوافل تختار المغرب إلى سجلماسة، وسكنها أهل العراق وتجار البصرة والكوفة البغداديين الذين كانوا يقطعون ذلك الطريق، فهم وأولادهم وتجارتهم دائرة ومفردتهم دائمة وقوافلهم غير منقطعة إلى أرباب عظيمة وفوائد جسيمة ونعم شاسعة قلما يدانيها التجار في بلاد الإسلام".

ويحقق التجار أرباحا طائلة، وفوائد عظيمة، ولكن القوافل التجارية التي تجوب الصحراء تنقطع من الذهب والإياب وهو ما يدل على الرخاء الاقتصادي الذي تم بالمنطقة ويضيف ابن حوقل (4) في موقع آخر: "ويقارب القيروان سجلماسة في صحة الأرباب ومجاورة البيداء، مع تجارة غير منقطعة منها إلى بلاد السودان وسائر البلدان وأرباب مستوافرة، ورفاق متقاطرة، وسادة في الأفعال وحسن

1- طرخان : مملكة برنو الإسلامية - ص 170.

2- نفسه - ص 423.

3- صبرة الأرض - ص 65

4- نفسه - ص 97

الكمال في الأخلاق والعمل والأعمال يخرجون برسومهم عن دقة أهل المغرب في معاملتهم . وقف عاينهم بكثرة أسفارهم وطوا تغربهم عن ديارهم ."

وبذلك أصبحت سجلماسة مستقرا للتجارة المسلمين من عرب أو بزبر خلال القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي ، ولا بد أنهم اختلطوا بسكان السودان وقاموا بنشر الدعوة الإسلامية .

ولم يكن للدولة الفاسمية فقط علاقات مع بلاد السودان بل كانت دول أخرى في المغرب خلال هذه الفترة تقيم علاقات سياسية واقتصادية مع ملوك السودان . يذكر ابن عذاري المراكشي (1) أن السلطان

الزيري منصور بن بلكين (373 386 هـ / 983 996 م) تلقى هدية من بلاد السودان فقال: "وفي هذه

السنة (382هـ) وصلت هدية من بلد السودان فيها زرافة فخرج المنصور حتى دخلت بين يديه". ولكن للأسف

لم يذكر إسم الملك الذي أرسل الهدية ، ويذكر ابن عذاري (2) في موقع آخر أن السلطان الحمادي المعز

بن باديس (407-454 هـ / 983-996 م) جاءته هدية من الرقيق من ملك السودان فذكر: "وفي هذه

السنة (423هـ) وصلت من ملك السودان إلى المعز هدية جلييلة فيها رقيق كثير وزرافات، وأنواع من

الحيوان . "وقد تكون هذه الهدية مبعوثة من ملك كانم وهو أركو (414 - 459 هـ / 1023-1060 م) وهو الملك

الذي إشتهر بتجارة الرقيق مع المغرب (3) ، وقد أسس عدة مراكز تجارية في كوار يصدر منها الرقيق

، وذكر ديوان سلاطين كانم زيلاء وهي بجنوب فزان ، وسيكادم وقد بني بها مسجدا . (4)

إن هذه الروايات تدل على العلاقات الحسنة مع ملوك السودان خلال القرن الرابع وبداية القرن الخامس

الهجريين ، وأن الإسلام تسرب لاهل السودان الاوسط بواسطة التجار . وكان هناك إهتمام عند اهل

السودان بالمسائل الدينية حتى أنهم اقاموا مسجدا في إحدى مراكز تجمع الرقيق. (5)

1-البان - ج 1 - ص 246

2- نفسه - ج 1 - ص 275

3-لانغ : منطقة تشاد في مفتاح الطرق - تاريخ إفريقيا العام - ج 3 - ص 498 .

4-نفسه ج 3 - ص 498

5- lang - diwan p 110-5

3 - العلاقات التجارية في عهد المرابطين : (القرن الخامس الهجري)

شكلت تجارة الصحراء أهمية تجارية للمغرب في عهد المرابطين، ونشطت الحركة التجارية في هذه الفترة لتوفر عوامل عديدة منها : سيطرة المرابطين على مساحات واسعة وأدى ذلك إلى استقرار الأوضاع السياسية في هذه المناطق. (1)

وكانت غارات العرب الهلاليين على بلاد المغرب الأدنى والأوسط في منتصف القرن الرابع الهجري، جعلت التجار ينصرفون عن الممر في الطرق المعتادة، وأصبحت طرق المغرب الأقصى والتي هي تحت سيطرة المرابطين أكثر أمنا في نقل السلع من السودان إلى البحر المتوسط ومنه إلى المشرق وبالعكس. (2) كما أدت هذه الغارات إلى هجرة عدة قبائل بربرية إلى منطقة الصحراء ثم توغلها نحو الجنوب، إلى منطقة نهر النيجر، مما كان له تأثير على التجارة في الطرق المعتادة، وأصبح أكثر نشاطا غربا .

وصار بذلك المغرب الأقصى معبرا أساسيا لتجارة الجنوب والتمتع إلى الأندلس وأوروبا والمشرق، ومن هنا اكتسبت التجارة بين المغرب وإقليم السودان أهمية خاصة. (3)

وكان لازدياد النشاط التجاري أن ازداد انتشار الإسلام في بلاد السودان. فالتجارة تمت في ظل الإسلام، فخدمها الإسلام وخدمته، وأصبح الإسلام والتجارة يرتبطان إلى حد كبير (4)، وكان التجار بجانب مزاولة البيع والشراء مع الأهالي يقومون بنشر الدعوة الإسلامية متخذين من مبادئ الإسلام أسسا في تعاملهم مثل الشرف والثقة والكرم والجود، ولقد خصصت فصلا لصفات التاجر المسلم في بلاد السودان. (5)

وكان المغرب (خلال القرن الخامس الهجري) مرتبطا ببلاد السودان بطرق تجارية (6) منها طرق لتطلق من وادي إلى سجلماسة، ومنه إلى اغمات، وطريق أودغست غانة وقدر باثني عشرة مرحلة، وكانت هذه الطرق الجنوبية مرتبطة بالطرق المتجهة نحو المشرق منها مصر ولذلك نجد أن المراكز التجارية مثل سجلماسة أو أودغست يسكنها تجار من العرب.

وكانت صادرات المغرب في هذه الفترة متنوعة، تصدر لبلاد السودان الملح الذي كان السكان في حاجة إليه، والنحاس الأحمر والملون والأكسية وثياب الصوف والعمائم والمآزر وصنوف النظم من الزجاج والأصداف والزجاج وضروب الأفاوية والعمار وآلات الحديد المصنوع. (7)

وكان يستورد من غانة وبلاد السودان الذهب والرقيق والعاج والصبغ والقطن (8)، ويعتبر الذهب من

1- البكري : المغرب - ص 108.

2- الإدريسي : نزهة المجالس - ص 94.

3- علي حسن حسن : الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس - 289.

4- أحمد شلي مرسوعة : تاريخ الإسلام - ج 5 - ص 204.

5- حسن إبراهيم حسن : انتشار الإسلام في القارة الإفريقية - ص 73.

6- البكري : المصدر السابق - ص 146-158.

7- الإدريسي : نزهة المجالس - ص 138.

8- حسن علي حسن : المصدر السابق - ص 282.

8- طرسان : غانة في العصور الوسطى - ص 61.

أهم السلع المستورد. فقد كان يستعمل في صناعة العملة، فلما يأتي به التجار يعود به إلى دور السكة، فيضرب إلى دينار ويصرفون بها في التجارة والبضائع. (4)

وكانت السلع المتبادلة وفيرة وبكميات كبيرة، ويعطي الإدريسي (2) وصفا دقيقا للقوافل التجارية من اغمات والمتجهة إلى بلاد السودان فيقول بأنها محملة بأعداد الجمال الحاملة لقناطير الأموال من النحاس ولقد عاد هذا النشاط التجاري بالربح الوفير على تجار اغمات الذين بعثوا بقوافلهم وعبيدهم إلى السودان، ونفس الرواج حضي به تجار سجلماسة في تعاملهم مع لسودان حتى أن أحدهم كان له صك على آخر مبلغه أربعون ألف دينار (3). وكانت القوافل تستعين بالأدلاء لخطورة الطريق وبعد المسافة، ومن الطرق التي تقطعها القوافل محملة بالبضائع، الطريق الذي يربط غانة وبلاد السودان بمدن المغرب منها سجلماسة ودرعة مرورا بأودغست (4). فمن سجلماسة إلى أودغست شهران... من أودغست إلى غانة بضعة عشر يوما (5) قد تقارب الخمسين يوما (5). وتميزت هذه الطريق بكثرة المصاعب والتحديات منها قلة المياه وهبوب الرياح، ولكن التجار تغلبوا عليها باستخدام الجمال كمستودعات للمياه، يقول ابن سعيد: "أول ما تلقاك من هذا الجزء شجرة اليسر التي يقطعها المسافرون ما بين سجلماسة وغانة وهي طريق طويلة يكابدون فيها شدة العطش ووهج الحرور كلما هبت رياح جنوبية، وتنشف المياه التي في القرب فهم يعدون لها المياه التي في بطون الإبل ويجعلون على أفواهاها لثلا توكل شيئا، فإذا نشف الريح مياههم نحروا جملا جملا شربوا ما في بطنه". (6)

وتعتبر كل من سجلماسة وأودغست وغمات وغانة من المراكز التجارية في عهد المرابطين، وسأخصص لكل هذه المدن جزءا خاصا.

وبفضل التجار تحولت كثير من الشعوب السودانية إلى الإسلام، فقد تحولت أودغست القرية من بلاد السودان إلى الإسلام بفضل هجرات التجار المسلمين إليها واستقرارهم بها، وهي مدينة عرفت بنشاطها التجاري مع بلاد السودان وبلدان المغرب، وعرف ملوكها فيما بعد بشدة حماسهم للدين الإسلامي، وقاموا بدور كبير في الدعوة قبل المرابطين. (7)

1- الإدريسي : نزهة المشتاق - ص 135.

2- ابن حوقل: صورة الأرض - ص 97

3- الفلقشادي : صبح الأعشى - ج 5 - ص 164.

4- ابن حوقل : - مصدر السابق - ص 91

5- طرخان : غانة - القرون الوسطى - ص 51.

6- ابن سعيد : بلاد الأرض في الطول والعرض - حقيق خزان قرسط حسن 1958 - تيطوان ص 47.

أما غانة فقد دخلها الإسلام قبل القرن الخامس الهجري بفضل التجار، وذكر القلقشندي أن أهلها قد أسلموا في أول الفتح، كما أن التجار المسلمين زاد عددهم ومنهم من استقر في هذا البلد، فانشأوا حيا إسلاميا بعاصمة غانة أو المدينة الإسلامية، وأصبحت تضم اثني عشر مسجدا، وصارت موطنًا لعدد كبير من فقهاء المسلمين وعلمائهم، يقول البكري: "مدينة غانة مدينتان إحداهما المدينة التي سكنها المسلمون وهي مدينة كبيرة فيها اثنا عشر مسجدا أحدهما يجمعون فيه الأئمة والمؤذنون وفيها فقهاء وحملة علم وحواليها آبار عذبة منها يشربون وعليها يعملون الخضراوات..." (1).

ومن المدن التي انتشر بها الإسلام في مملكة غانة، وعرفت بكثرة المسلمين فيها مدينة "غيارو" القرية من نهر النهر ومدينة "بريسي" الواقعة غرب غيارو وسكانها مسلمون وما حولها مشركون، والمعروف أن هاتين المدينتين يستخرج منهما الذهب، حيث يذكر البكري: "وبغربي غيارو على النيل (يقصد به نهر النيجر) مدينة بريسي يسكنها المسلمون وما حولها مشركون" (2).

ورغم أن مملكة غانة تقع في إقليم السودان الغربي، إلا أنها كانت تضم أجزاء واسعة من السودان الأوسط، وعن المسعودي (3) وثقت يد ملك غانة ملوك وممالك.

وأخيرا نتبين أن النشاط التجاري في عهد المرابطين كان مزدهرا بين بلدان المغرب وبلاد السودان، وأن الدولة المرابطة هيأت الظروف المناسبة لذلك خاصة الطرق التجارية للصحراء الغربية، ومكنتها التوسع داخل السودان، وسيطرتها على غانة من السيطرة على تجار الصحراء. فانتشر الإسلام بسرعة خلال القرن الخامس الهجري. وترصخت مبادئه، فساعد ذلك لظهور دول إسلامية الأولى ببلاد السودان منها غانة وكانم.

1- البكري: المغرب - ص 175.

2- نفسه - ص 177.

- طرخان: غانة في المصور الإسلامي - ص 44.

3- أخبار الزمان - ص 65-66.

- طرخان المرجع السابق - ص 44.

ب- دور القبائل البربرية في تنظيم التجارة :

كانت الصحراء هي الطريق الرئيسي لممارسة التجارة مع بلاد السودان ، ولاجتيازها كانت القوافل التجارية تقطع مسافات طويلة، بالإضافة إلى تحمل قساوة المناخ المتمثلة في الحرارة العالية وقلة المياه والطعام والكبان الرملية. وقد أشار أبو حامد الغرناطي (1) إلى هذه الصعوبات عندما قال "فيخرجون من بلدة يقال لها سحلماسة آخر بلاد المغرب فيمشون في رمال كالبحار ويكون معهم الأدلاء يهتدون بالنجوم وبالجمال في القفار ويحملون معهم الزاد لسته شهور". ونلاحظ من هذا النص أن المناطق التي تجتازها القوافل هي صحراء، تقل فيها المياه، ولذلك فهي تسير في طريق معروف توجد به أبار المياه وهي ما يطلق عليها بالمفاوز (2)، وإذا ما نشفت أو جفت هذه الآبار، فإنهم يقومون بنحر الجمال، ومن المعلوم أن هذه الحيوانات لها تحويفات تمتلئ بالمياه (3)، فهي بذلك توفر المياه والزاد. ونتيجة الظروف المادية الصعبة كان السفر إلى السودان في فصل معين (الشتاء)، فقد ذكر ابن حوقل (4) أن الصحراء "لا تسلك إلا في الشتاء وسالكها في حينه متصل السفر دائم الورد والصدر".

أما الإدريسي (5) يشير أن القوافل تقطع الصحراء في الخريف، ويستنتج من هذا القول أن القوافل تنحدر إلى السودان بعدما ينتهي وحين الصيف.

والقوافل كانت تسير في بحر الرمال لا يستطيع اجتيازه إلا من يجرف الصحراء فإذا ضلت القافلة فقد يهلك أفرادها في تلك الرمال، لذلك كان التجار يجتمعون في مكان معين ينطلقون منه في قافلة واحدة. وبطبيعة الحال كان يسير مع القافلة عدد من الدلالين والسماسرة الذين يستفيدون من المناسبة، يذكر الإدريسي (6) أن تجار اغمات كانوا يشاركون مشاركة فعالة في تلك التجارة. ومن أجل اجتياز الصحراء، كان التجار يستعينون بسكان الصحراء وهم من البربر، فقامت شبه اتفاقية بينهم للإشراف على القوافل.

ومن هذا العرض نستنتج العوامل الرئيسية التي جعلت القبائل البربرية تشرف على تجارة الصحراء، ومنظمة لها عبر الطرق التجارية، نذكر منها:

1- تحفة الألباب - ص 42.

2- ابن حوقل : صورة الأرض ص 100.

3- جردت عبد الكريم يوسف العلاقات الخارجية للدولة الرسنية - ص 254.

4- المصدر السابق - ص 100.

5- نزهة المشتاق - ص 31.

6- نفسه - ص 31.

- السيطرة والإشراف على الطرق والمراكز التجارية، ومناجم استخراج الملح، فملوك سانة كانوا بحاجة ماسة للملح اودغست (1). ويشير القزويني (2) "أن قبائل مسوفة كانت تسيطر على مناجم الملح في مدينة تافازة.
- السيطرة على مناطق التزود بالماء وقد أشار البكري (3) إلى ذلك عند وصفه الطريق الرابط بين سجلماسة و اودغست فذكر أن التجار يتوقفون في منطقة "ونزمين" للتزود بالماء.
- قرب القبائل البربرية من أماكن استخراج الذهب، جعلهم على دراية بمناطق تواجدها. لذلك فقد كانوا يرافقون القوافل نحو هذه المناطق الموجودة ببلاد السودان نذكر منها غيارو بغانة، وبريسي بمالي. (4)
- أما العامل الرابع الذي جعل القبائل البربرية تهتم بتجارة القوافل هو حصولها على مبالغ مالية تلتقيها مقابل مرور القوافل، أو نتيجة الخدمات التي تقدمها لها كالإرشاد عن الطريق وتأمينها، وتزودها بالماء والزاد وهكذا أصبحت التجارة مصار ثراء. (5)

إن هذه العوامل ساعدت وشجعت قبائل الصحراء البربرية للإشراف على تنظيم قوافل التجارة، خاصة أنها اكتسبت خبرة كبيرة في معرفة طرق التجارة، واتخذت البعض منها مستقرا لها في المراكز التجارية مثل ورجلان وزويلة وتادمكة واودغست وغيرها، واسغلت هذا الوضع لتستفيد من النشاط التجاري.

وقد تخصصت قبائل منهاججة في طرق القوافل، فقبيلة لتونة والتي كانت تقيم في الطريق الموصل بين غانة وسجلماسة ولهم رحلة في الصحراء، يشتغلون بالرعي ويعيشون على لحوم الأغنام التي يرعوها (6)، وساعدهم هذا الوضع على السيطرة على طرق التجارة وأكسبهم ثروة وغنى، وسهل عليهم تزعم القبائل الأخرى، فكانوا يشرفون على القوافل المارة بأرضهم فيوفرون لها الماء والزاد والأدلة. (7) أما قبيلة مسوفة فقد كانت تسيطر على التجارة المارة بين اودغست وسجلماسة، وكانت هي الأخيرة تستفيد من النشاط التجاري، فهي توجر جمالها للتجار أو تباعها إياها، وتقوم كذلك بخفر القافلة والسهر على تغذية الجمال وإزالة الأحمال عن ظهورها، وتتقاضى حقوقا مقابل هذه الخدمات، وقال ابن بطوطه (8) في هذا الصدد عند زيارته للمنطقة "إن مسوفة كانت هي المشرفة على الطريق بين سجلماسة و مدينة و لانتة".

- 1- زهير محمد : تجارة القوافل في المغرب - ص 181.
- بن حوقل : صورة الأرم - ص 98.
- 2- آثار البلاد وأخبار العباد - ص 26.
- 3- المغرب - ص 156.
- 4- طر حان - غانة في العصور الوسطى - ص 67.
- 5- حسن أحمد محمود : الرحلة الإفريقية في تاريخ المراكطين - ص 112.
- 6- البكري : المصدر السابق - ص 164.
- 7- ابن حوقل : المصدر السابق - ص 120.
- البكري المصدر السابق - ص 157.
8. ابن بطوطه : رحلتان مطروحة - ص 675.

هكذا زئيش القافلة منها، وكذلك العثمانيون الذين يستخرجون الملح من مدن وبنغازي كما كانوا يستوردون القوافل بالماء والأدلاء.

وقبائل زناتة كانت تسيطر على طرق التجارة بالصحراء الوسطى والشرقية والتي تؤدي إلى بلاد السودان الأوسط، وتشمل المنطقة التي تشرف عليها، فزان وكوار والتبسي وهي مناطق معروفة بقحطها وشحها مساحتها، ولكن توجد بها واحات كثيرة وآبار ومن أشهر القبائل قبيلة هواره فقد كانت تسكن بمنطقة واسعة بالصحراء، واختصت جماعات منها بالتجارة مع السودان.

ومن بين قواعدها القار وزويلة وورجلان، فقد شاركت في حمل السلع إلى السودان وهو ما مكن تجارها من تحقيق أرباح طائلة - خاصة أيام الرستمين. (1)

وقبيلة لواتة وهي من زناتة كانت تسكن اوجيلة وهي مركز تجاري هام، معظم سكانها يعملون بالتجارة لأنها ملتقى طرق تجارية تؤدي إلى السودان منها كوكو (غار) مروراً بكوار. (2)

وكانت جماعات من لواتة تسكن ورجلان وهي المدينة التي اشتهرت بنشاطها التجاري مع بلاد السودان الأوسط، فقد كانت القوافل التجارية تأتيها من بلاد الجريد وطرابلس للذهاب إلى (غار) وغانة من أجل جلب الذهب (3)، وقد حقق أهل ورجلان من تجارة الصحراء أموالاً وفيرة وأصبح منهم أغنياء مياسير، وبفضل هذا النشاط سادها الرخاء. (4)

وكان إقليم فزان من المناطق التي تتركز بها قبائل زناتة، وعرف بنشاطه التجاري مع بلاد السودان الأوسط ويذكر ابن حوقل (5) أن شعب من البربر يسمى "اجار" فزان من قبائل زناتة. يستقدمون من تجارة الرقيق الرائجة خاصة من "زيلة" وهي على خمس عشرة مراحل من كوار، وكان يؤتى به من بلاد كانم. (6) إن اهتمام قبائل الصحراء البربرية بتجارة الصحراء بعد أن دخلوا الإسلام، جعلهم يجانب الأشراف على القوافل وخفروها، وشراء وبيع السلع، يقومون بنشر الدعوة الإسلامية، ولا شك أن انتشار الإسلام في بلاد السودان، لازمه انتشار المذهب الإباضي وهو مذهب التجار البربر، وقد يكون بين القرنين الثاني والرابع الهجريين هو الغالب في المنطقة ولكن ليس معنى هذا أن المذاهب الأخرى لم تنتشر.

1- الإدريسي : نزهة المجالس - ص 214.

- محمد علي دبور : تاريخ المغرب القديم - ج 3 - ص 349.

2- الإدريسي : المسالك - ص 213.

3- نفسه - ص 99.

4- نفسه - ص 39.

- الأزهري الرياضية - ص 174.

5- صورة الأرض - ص 61.

6- البغدادي : البلدان - ص 9.

وخلال القرن الخامس الهجري وبعده، وبعد سيطرة المرابطين على المغرب، عم المذهب المالكي المنطقة وهو مذهب قبيلة مسوفة وجدانة وملتونة، ولذلك تلازم انتشار الإسلام مع تزايد النشاط التجاري، وانتشرت معه الثقافة العربية الإسلامية منها المذهب الإسلامية واللغة العربية والعادات والتقاليد الإسلامية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ج- أهم الطرق وأكثر الأثر التجارية :

1- الطرق التجارية :

تميز السودان الأوسط عمومًا جغرافي فريد التفت فيه خطوط القوافل التجارية، فكان للإقليم دور خاص في الربط بين مناطق الشمال (المغرب) ومناطق الجنوب السودانية، وكانت هناك طرق قديمة تسيّر عليها العربات يرجع

تاريخها إلى حوالي ألف عام قبل الميلاد كما دلت على ذلك الحفريات الحديثة (١) وكذلك النقوش واللوحات التي وجدت في شمال تايوان والقوقاز في جنوب الجزائر (٢).

الطرق التجارية معروفة بعد ذلك، وكان يتردد عليها التجار وما غزوة عقبة بن نافع لمنطقة كوار سنة 40.

هـ-(2) إلا خير دليل لمعرفة العرب لهذا الطريق وإلا لماذا عقبه أعطى أهمية لهذه المنطقة قبل التوجه إلى الشمال.

وبعد استكمال الحج الإسلامي للمغرب ازدادت العلاقات التجارية مع بعض الطرق ببعضها البعض ثم تنفر

إلى جهات مختلفة (3)، لذلك نحاول أن نركز على أهم الطرق الرئيسية التي تربط مصر ببلاد السودان الأوسط ما بين

القرن الأول والخامس الهجريين وسنعرض الطرق من الشرق إلى الغرب.

- الطريق الأول : من مصر إلى واحة مبيوة - زويلة - تادمكة - كاكو (غاو) : وهو الطريق الذي يربط مصر

بيلاد السودان الأول، ذكره اليعقوبي (4) (القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي)، ونفس الطريق تعرض له

ابن الفقيه (5) (90هـ/903 م) بقوله: "إذا جاوزت بلاد غانة إلى أرض مصر اتفهنت إلى أمة من السودان يقال

لها كوكو ثم أمة يقابلها مراو ثم إلى واحات مصر بعلسانة".

أما البكري (6) فإنه اعتبر هذا الطريق منفذاً من الشمال نحو الجنوب عبر غدامس وتعرض له

الإدريسي (7) ولكنه بال في المسافات وأعطى أطولها بالأيام.

ومن فروع هذا الطريق، مسلك يربط مصر بمنطقة كوار عبر واحات سيوه أو سنترية وعلى مسيرة عدة أيام

منها توجد واحات أخرى منها أوجيلة وجالو فزويلة وكوار، فبلاد السودان. (8)

1 - جمال مختار: تاريخ إفريقيا العام - ص 505 الحرب - ص 24 .
- أحمد ديدات: من التاريخ القديم

- محمد عبد الفتاح إبراهيم: إفريقيا: الأرض والناس - مكتبة الأنجلو المصرية 1964 - ص 104-105

2 - ابن عبد الحكم : فتح مصر و المغرب - ص 68 .

3- أحمد العرفاني : تجارة الزرافل بين شرق وغرب إفريقيا - مجلة البحوث و الدراسات العربية - بعدد 1989- ص 148 .

4 - البلدان - ص 9 .

5 - مختصر تاريخ البلدان - تحقيق دي غريه - لندن - ص 68 .

6 - المغرب - ص 93 .

7 - نزهة المشتاق - ص 13 .

8 - البكري : المصدر السابق -

وهناك طريق يأتي من نهر النيل إلى سيوة عبر واحة كفرة وهو قليل الاستعمال لثقل أبار المياه به ولبعد المسافة. (1)

- الطريق الثاني: من طرابلس الغرب إلى فزان وكوار وينتهي إلى برنو أو غار. ويعتبر طريق رئيسي الذي يربط الجنوب الأدنى ببلاد السودان الأوسط، وتنقل عبره آلاف التجار خاصة من جبل نفوسة وفزان، ويعود السبب في أهميته إتصال الأقاليم بعضها البعض وكثرة الواحات والمسافة بين جادو إلى زويلة مسيرة أربعة عشر يوماً، ومن زويلة إلى كوار خمسة عشر يوماً والمدة التي تقطعها القوافل من زويلة إلى كاتم فهي أربعون يوماً، فيكون المجموع الإجمالي للمسافة من طرابلس وجادو إلى كاتم عبر زويلة أربعة وخمسون يوماً (2). ويذكر ابن حوقل (3) أن الطريق من زويلة إلى مرندة شهرين ومن هناك كركو.

وإشتهر هذا الطريق في جلد الرقيق من بلاد كوار، ويقول اليعقوبي (4): "إن زويلة كان يطلب منها الميرين والزغاوين والمروين لقربهم منهم، وبها يخرج الرقيق إلى بلاد فريقية وغيرها من البلاد".

وقد سلك هذا الطريق بمرين أرطاة سنة 26 هـ/647م عند فتحه منطقة ودان وعقبة بن نافع في حملته المشهورة لبلاد كوار سنة 46 هـ/666م (5)، وهي الحملة التي مهدت للتجار المسلمين والدعاة السفر عبر هذا الطريق من أجل الوصول إلى بلاد السودان الأوسط.

ويتفرع هذا المسلك إلى طرف فرعية عند بعض المراكز التجارية منها غدامس. فمن هذه المدينة يتجه إلى ورجلان ثم تادمكة ماراً بالثوة وينتهي بغار أو تمبكو.

ويتميز الطريق بين فزان وكوار بأنها حمادة تكثر بها الأبار والواحات ويربط زويلة ببلاد السودان. وتعرض لنا اليعقوبي (6) بقوله: "وبراء زويلة بلد كوار بها قوم من المسلمين يأتون بالسودان".

- الطريق الثالث: ويصل بين ورجلان وغار وينتهي في الشمال بالمراني الساحلية (7) وقد سلك هذا الطريق عدد من التجار المشهورين منهم أبو صالح الجاراني، الذي تنقل من ورجلان إلى تادمكة من أجل التجارة خلال القرن الرابع الهجري (8).

1- حان ديفيس: التجارة والطرق التجارية في غرب إفريقيا - تاريخ إفريقيا العام - ج 3 - الجزء 14 - ص 411

2- البكري: المصادر السابق - ص 11.

3- صورة الأرض - ص 91.

4- البلدان - ص 13.

5- ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب - ص 60.

- المثلثي: رياض النفوس ج 1 ص 98.

- حسين مؤنس: تاريخ المغرب وحضارته - ج 1 - ص 75.

6- المصدر السابق - ص 3.

7- عبد القادر زبادي: مملكة مسغاي في عهد الأمازيغيين - ص 214.

8- ابن الربيع الراسبي: السير - ورقة.

وقد جاء عند الوسياني () ان تاجرا اسمه ابو عمران موسى الرسياني الحامي سافر من الحامة الى مدينة غيارو عن طريق ورجلان خلال القرن الخامس الهجري، ويقول البكري (2) عن هذا الطريق ان من اراد السفر من تادمكة الى القيروان سار في الصحراء خمسين يوما الى ورجلان، وان المسافة بين تادمكة ومدينة كوكو (غار) تسع مراحل.

طريق رابع: تهرت - غار: قد اكتسب الطريق أهمية كبيرة في عهد الدولة الرستمية، وهو طريق معروف في ذلك الوقت ويتردد عليه التاجر من كل مكان، طريق

يربط يهلوت ببلاد السودان، وما يدل على ذلك عزم الامير افلح بن عبد الوهاب (180هـ/796م) الذهاب الى غار، ولكن ابود رة من بسبب عدم اجابته عن مسألة من مسائل الربا (3). ولما تولى الامامة ينفرية لغاو عبر هذا الطريق، والممثل في شخصية محمد بن عرفة الذي حمل هدية للملك هذه المدينة. (4)

طريق خامس (غربي): يبدأ من سجلماسة يمر بواد غشت للوسول الى غانة وجني وغاو: تعتبر سجلماسة مركزا تجاريا هاما تلتق منه التوافل نحو بلاد السودان ذكر اليعتوبي (5) ان الطريق يبدأ من سجلماسة متوجها الى القبلة يرس أرض السودان. ويضيف ان المسافرين يخرج من سجلماسة يسير الى بلدة يقال له "غشط" ويمر على بلدة يقال لها "ابيه" (6)، وأشار ابن خوقل (7) الى استمرار الطريق الى مدينة غانة. كما قال البكري: "ان الطريق يبدأ من سجلماسة ويمر بوادي درعة ومنه الى تادمكة ومنها يقبل الى بوزغشت وهي مثل احدى وخمسون مرحلة". (8) ومن غانة توجد طريق نحو كوكو وزويلة لتصل الى مصر. (9)

- 1- ابو الربيع الوسياني: السير - معظم مكة بمكتبة بني يسقن بغرداية ج2 - زروية، ج2 (نقل عن مرقس، جبل نفوسة - م)
- 2- المغرب - ص 182-183.
- 3- ابن الصغير: اخبار الائمة الرسيين - ص 36 - الدرجي: طبقات مشايخ المغرب - ج2 - ص 340
- 4- ابن الصغير: المصدر السابق - ص 36
- 5- البلدان - ص 360.
- 6- نفسه - ص 360.
- 7- صورة الارض - ص 98.
- 8- المصدر السابق - ص 156-158-160.
- 9- مؤلف مجهول: الاستصار - ص 225.

إن شهرة تجارة القوافل مرتبة بحیوان نقلها الوحيد ، الجمل ، يتميز بمزايا ينفرد بها ، كان لها تأثير في تاريخ التجارة القديمة وطرقها و موادها وأصحابها وتأثيراتها مما جعلها من الازدهار ، والتطور وان تبقى لمدة طويلة. وترجع بداية تدوين الإبل إلى مطلع الألف الثانية قبل الميلاد ، وأن مطلع الألف الأولى قبل الميلاد يمثل بداية سيادة هذا الحيوان في التنقلات (1)

فأصبح بعد ذلك الجمل أكثر استعمالاً للتنقل في الصحراء باعتباره سفينة الصحراء لتحمله مشاقها ، يذكر الحموي (2) في هذا الصدد أن التجار كانوا يحملون الجمال الوافرة القوية ومما يدل على هذا الاستعمال ، وأن التجار كانوا إذا نفذ الماء يلجئون إلى المياه التي في بطون الإبل ويذبحونها ويشربون مياه أجوافها ، ويذكر الإدريسي (3) في هذا الصدد كان للتأثير: " المائة جمل والسبعون والثمانون حملاً كلها موقرة " .

وهناك نظريات وفرضيات عن وصول الجمل إلى العرب فالمؤرخ الفرنسي يذكر أن وصول الجمل إلى العرب كان في القرن الثالث الميلادي

كما ترجع دلتة المعارف إلى "فتح الإسلامی (8م) هم السبب في نقل ذلك الحيوان إلى بلاد المغرب حيث أمكنه أن يتناسل ويصبح من الدواب الأليفة في المنطقة وقد أصبح الاتصال ممكناً في هذه الحالة ، كما توفر الجمل في المناطق الصحراوية ، وبفضله تنقل آلاف السكان في المدن

- 1- محمد زغير : تجارة قوافل ، دار - ص 162 .

- 2- هاجوت الحموي : معجم البلدان - ج 2- ص 361 .

- - جردت عبد الكريم يوسف . العلاقات الخارجية للدولة العثمانية . ص 154 .

- 3- الإدريسي : نزهة المشتاق - ص 135 .

2- المراكز التجارية:

نشطت حركة المواصلات والتبادل التجاري بواسطة طرق القوافل التي تخرب الصحراء بين القرنين الاول والخامس الهجريين، وتمكن المسلمون في هذه الفترة سواء كانوا من العرب او من البربر ان يشكروا تجارة القوافل عبر الصحراء، بل كانوا من الاتصال باخل السودان اتصالا مباشرا، وازداد عددهم في تلك المناطق. فظهرت بسبب هذا النشاط التجاري مراكز تجارية وثقافية مشهورة، وكان فيها اسواق يؤمها التجار من شتى البلاد، واصبحت هذه المراكز ينتشر منها الاسلام والثقافة العربية (1). وكانوا يقومون ببيع السلع التي يأتون بها معهم الى السودان منها الحرير والسروج والتحاس والملح والادوية والمنسوجات المختلفة، فيبيعونها ويشترى الذهب والجلود والعاج والعبيد وغير ذلك.

وسنحاول في هذا العنصر دراسة المراكز التجارية ودورها في نشر الاسلام. ومن المعروف ان هناك ثلاث طرق رئيسية صحراوية تربط بلاد السودان في الجنوب عبر الصحراء الكبرى وكل طريق يحتوي على مراكز تجارية هامة.

الطريق الشرقي ويربط المغرب الادنى بالسودان الاوسط (كوار وكنام) عبر صحراء فزان، واحم مدنة: زويلة، غدامس، كوار ومدن جبر نفوسة وهي جادو وشروس.

الطريق الاوسط ويربط المغرب الاوسط بالسودان الاوسط (كوكو) عبر الصحراء الوسطى، واحم مدنة: تيهرت، ورجلان، تادمكة و تكلا.

الطريق الغربي، ويربط المغرب الاقصى بالسودان الغربي (غانة) عبر الصحراء ومن مدينة سجلماسة واودغست. (2)

وكانت هذه الطرق نهايات في بلاد السودان وتشمل في مدن او مناطق استخراج الذهب، واحم المراكز التجارية المشهورة حتى اواخر القرن الخامس الهجري، كوكو (غار)، جني ومبكتو.

1- صباح ابراهيم الشبل: النشاطات التجارية عبر الطريق الصحراوي الغربي - ص 29-37

2- انظر فصل الطرق التجارية في البحث 4C

ورجلان :

هي مدينة وواحة من الواحات الصحراء الوسطى ، كانت تسكنها فروع كثيرة من القبائل البربرية ، وقد يرجع اسمها إلى قبيلة اوركليان من ص. واجة (بتحريف بسيط أصبح يطلق عليها اورجلان) ونشأتها يرجع إلى قبل الفتح الإسلامي لها (1) .

دخلها الإسلام إبان عهد الخليفة هشام بن عبد الملك كبقية سكان الصحراء (2) وكان أهلها خوارج اباضية حيث يذكر ابن حوقل : " وهم وهابية اباضية نكار خوارج من دين الإسلام " (3) . ولوقعها على الطريق الرئيسي الأوسط للصحراء ، كانت تمر منها القوافل التجارية وأصبحت بعد ذلك منطلقا للكثير منها .

واكتسبت ورجلان مكانة اقتصادية هامة في عهد الدولة الرستمية ، وأصبحت أكبر قواعدها في التجارة مع السودان ، وكان أهل ورجلان يقرعون القوافل إلى السودان ويتولون التجارة به ، وحققوا أموالا وفيرة وظهرت فيهم طبقة كبيرة من الأغنياء الكبار : وعم الرخاء بفضل التجارة مع بلاد السودان ، ووضحت ورجلان من أكبر الأسواق التجارية في الصحراء ، قال الباروني (4) : " وكان أكثر المسافرين لتجارة السودان في ذلك العهد من أهل مدينة ورجلان وهوارة " .

واستمرت ورجلان في ارتباطها مع السودان حتى بعد انهيار الدولة الرستمية ، وظلت سوقا كبيرة في الصحراء الوسطى ، وقد وصفها الإدريسي (5) (القرن السادس الهجري) : " ورجلان مدينة فيها قبائل مياسر وتجار أغنياء يتحولون من بلاد السودان إلى بلاد غ. وغيرها ، فيخرجون منها التمر ، ويضربون في بلادهم سكة باسم بلادهم وهم وهابية اباضية " .

وورد في كتب السير الاباضية أن عددا من التجار المشهورين قد سلكوا الطريق الذي يمر بورجلان والمسودي إلى تادمكة وغاو (مدن سوانية) ومن هؤلاء أبو صالح الجاراني ، تنقل من ورجلان إلى تدامكة من أجل التجارة خلال القرن الرابع الهجري (6) . وسافر تاجر آخر اسمه أبو عمران موسى الوسياني من الحامة ببلاد الجريد إلى مدينة غيسارو عبر طريق ورجلان (7) .

وقد استقرت في ورجلان وفي مدن واحتها منها سدراتة أسر هاجرت من تاهرت على اثر سقوط دولة

1 - قادر ليفنسكي : دور الصحراء الكبرى - تاريخ إفريقيا العام - ج3 - الفصل 11 - ص 331 .

2 - الزهري : كتاب الج. إفريقيا - ص 126 .

3 - صورة الأرض - ص 197 .

4 - الأزهار الرباضية - ص 174 .

5 - محمد علي دبرز : تاريخ المغرب الكبير - ج3 - ص 347 .

6 - نزهة المشتاق - ص 38 - 39 .

7 - الدرجيني : طبقات مشايخ المغرب - ص 375 .

7 - أبو الربيع الرسياني : السم - ص 30

الرستين؛ فعمروها خلال القرن الرابع الهجري، وحفروا الابار وجعلوها من الاماكن الخصبه. (1)
والمهم ان ورجلان مركز اداري هام وتحول الى مركز ثقافي كما سنرى ذلك في الفصل الخامس بالمركز
الثقافية؛ ومنها انتشر الاسلام في بلاد السودان عن طريق التجار والعلماء.

(1) - عبدالعزيز سامح: تاريخ العرب الكبير - ج 2 - ص 571

زويلة :

من مدن إقليم فزان تقع جنوب شرق طرابلس تحول سكانها إلى الإسلام منذ القرن الأول الهجري/ السابع الميلادي بعد غزوة عقبة بن نافع سنة 46هـ/ 666م(1). يصفها اليعقوبي بأن أهلها مسلمون إباضية وهم الغالبون عليها ويكثر عندهم التمرولا يؤدون شراجا(2)، شاركوا في ثورة أبي الخطاب المعافري الإباضية ضد الدولة العباسية سنة 140هـ. وهو ما جعل المدينة تتعرض لحملة عسكرية عنيفة نظمها محمد بن الأشعث والي مصر في العهد الخليفة العباسي أبو جعفر بن المنصور، وحدث ذلك سنة 144هـ. فقتل سكانها ومعهم حاكمها الإباضي عبد الله بن هيان (3).

ورغم هذه الصدمة استمرت زويلة في الوجود، وضلت مركزا هاما للإباضية وتبوأ مكانة ثقافية وتجارية لما أصبحت تابعة للدولة الرافدية خاصة زمن عبد الوهاب بن عبد الرحمان (ت 211هـ/ 825م) وكانت تربط زويلة ببلاد السودان شبكة من الطرق الصحراوية، ذكر اليعقوبي(4) أن وراء زويلة بلاد كوار بها قوم من المسلمين يأتون بالسودان، وأشار البكري(5) أن بين زويلة وكانم أربعين مرحلة. أما ابن حوقل(6) فقال: "إن من زويلة إلى مرندة مسير شهرين ومن هناك إلى كوكو مسير شهر".

ومما يدل على اتصال زويلة ببلاد كانم أن أبا عبيدة عبد الحميد الجناوني عامل جبل نفوسة من قبل الإمام الرستمي عبد الوهاب كان يحسن الكلام باللغة الكانمية إلى جانب اللغة العربية والبربرية (7). وأصبحت بفضل تجارتها مركزا تجاريا هاما يأتيه التجار من كل مكان، ومحط الناس من خراسان والبصرة والكوفة (8).

ومن السلع الرائجة، تجارة الرقيق الذي يأتون به من بلاد السودان من الممرين والزغاوين والمرويين لقرهم منها، ومنها يخرج الرقيق إلى بلاد إفريقية وغيرها من البلاد(9)، كما كانت زويلة تصدر بعض الزراعات منها البلح، ويذكر الإدريسي (10) ذات أنها مشهورة بنخيل البلح والذرة والشعير.

و الشواهد التي تدل على اتصال زويلة ببلاد السودان الأوسط، هي العلاقات الطيبة التي كانت قائمة

1 - ابن عبد الحكم : فتوح مصر والمغرب - ص 60 .

2 - البلدان - ص 345

3 - أبو زكريا : سيرة الأئمة و بآرهم - ص 8 .

4 - المصدر السابق - ص 45 .

5 - المغرب - ص 11 .

6 - صورة الأرض - ص 91 .

7 - الشماخي - السير - ص 185 .

8 - الحمري - معجم البلدان - ص 11 .

9 - اليعقوبي - مصدر السابق - ص 3 .

10 - نزهة المشتاق - ص 44

بين المنطقتين ، فقد ذكر ابن أبي دينا (1) ان حاكم زويلة سنة 382 هـ / 992م تلقى هدية من بلاد السودان كانت موجهة و الى السلطان الزيري منصور بن بلكين حيث ذكر: "وفي شهر ربيع الأول وأهدت له العمال إلى قدر مراتبهم وأتته هدية من عند ابن الخطاب عامله على زويلة فيها زرافة وطرف من أثاث الودان وشيء مستكثر." رغم أنه لم يذكر اسم الملك والبلاد إلا أنه من الممكن جدا أن تكون دولة كانم سبب قرب زويلة لهذا البلد و قوة كانم في هذه الفترة ، ففي بداية القرن الرابع الهجري توسعت مملكة كانم وأقامت لها مراكز تجارية للرقيق في كوار (2) .

جادو:

يرجع تاريخ جادو الحالية إلى أربعة قرون فقط ، حيث تضم هذه الناحية في العصر الحديث ثلاثة مقاطعات و هي فساطو ، و الرجمان ثم الزنتان ، أما التاريخ القديم لجادو القديمة فهو يعود ما قبل الإسلام حين كانت ترتبط بطرابلس وتربطها الطرق الرئيسية المزدية إلى فزان و السودان عبر صبراتة و لبدة ، وتشير اللغة البيية القديمة في القرن السادس الميلادي (539) إلى وجود إسم المدينة (3) .

وتعود علاقة جادو بتجارة القوافل إلى القرن الثاني الهجري / الثامن الميلادي ، حيث ذكر الدرجيني رواية لابي عثمان المزاني الدكي مع قافلة تجار متجهين إلى السودان (4) .

وكانت جادو عاصمة فزان خلال القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي ، وكانت عبارة عن مدينة عظيمة تحتوي على أسواق و جالية كبيرة من اليهود . فقد كانت القوافل التي تنطلق من طرابلس في إتجاه زويلة وفزان تمر عبر مدينة جادو ، ويذكر البكري من أراد الطريق من نفوية إل إلى مدينة زويلة فإنه يخرج إلى مدينة جادو (5) . وهذا راجع في الاصل الى استقرار جماعات سودانية بالنطق منذ القرن الثالث الهجري ، ربما كانوا من الرقيق الذي يجلب من كانم (6) .

ومما يدل على التبادل التجاري بين جادو وبلاد السودان هو تنقل عدد كبير من التجار والعلماء ووردت اسمائهم في كتب السير (7) ، ومن هؤلاء عبد الحميد الفزاني وهو طبيب من فزان وكان يعيش في جبل نفوسة خلال القرن الثالث الهجري ، أقام ببلاد السودان (8) .

1-المؤنس ج 1 -ص78

2- lang:diwan-pl110

3-ابراهيم فخار: تجارة القوافل في العصر الوسيط - ص55

4-البكري : المغرب - ص11

6-الادريس : نزهة المشتاق - ص 35 . للنفذ أكثر انظر الفصل الخاص بزويلة في البحث . ص 108

7- كتب السير : كتاب السير للوسائي - ص35 ، طبقات مشايخ المغرب للدرجيني - ص320 ، كتب السيرة الاباضية للشماخي - ص185

8- الدرجيني : المصدر السابق - ص327

من مدن جبل نفوسة ، وكانت عاصمة له ، يقول عنها البكري : " أم قرى جبل نفوسة مدينة شروس وهي كبيرة أهلة جليلة أهلها إباحية ليس بها جامع ولا في ما حولها من القرى " (1) .

ودخلت الإسلام في وقت مبكر ، فتحها عمرو بن العاص ، وهي من أكبر مدن الجبال عمراناً وأكبرها أسواقاً وكانت محطة تنطلق منها قوافل التجارة إلى السودان . ذكرها ابن حوقل (2) : " شروس في وسط الجبل وبها مياه جارسة وكروم وأعناب طيبة وليس غزير ، وأكثر زرعهم الشعير وآياه يأكلون " . واستمرت على هذه المكانة حتى القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي ، فنقرأ لصاحب الاستبصار (3) : " شروس من أكبر المدن الهامة ، ولها آثار " . وأما كانت عاصمة الإقليم وممر للقوافل التي تتجه نحو غدامس ويسمى هذا الطريق " طريق السودان " (4) وهو الطريق الذي أشار إليه البكري (القرن 5 هـ) والذي يبدأ من طرابلس ويمتاز جبل نفوسة و غدامس ليصل إلى تادمكة في السودان (5) . ولا بد أن البضائع المتبادلة في شروس هي نفسها المتبادلة في المنطقة من الرقيق وبعض المزروعات .

مرزوق :

اشتهرت كمركز تجاري لبلاد برنو ، فقد كانت لها صلة ببلاد توات و غدامس ، كانت مركزاً لتجارة الرقيق في الصحراء ، وتربط بين بلاد الهوسا وبرنو بطرابلس و غدامس (6) .

اوجيلة :

وهي مدينة ومركز تجاري هام تقع على الطريق الرابط بين مصر وبلاد السودان الأوسط ، يقول عنها البكري (7) : " كان الإقليم عامراً بالقرى في أرض نخيل وأشجار الفاكهة وكان الملح يصدر من اوجيلة مدينة اجداية . وكان سكانها من قبيلة لواتة ، وقال عنها الادريسي (7) : " مدينة اوجيلة مدينة صغيرة متحضرة ، فيها قوم ساكنون كثيروللتجارة ، وذلك على قدر احتياجهم واحتياج العرب ، وهي في ناحية البرية بها نخل وغلاة لأهلها ، ومنها يدخل إلى كثير من أرض السودان نحو بلاد كوار وبلاد كوكو ، وهي في رصيف الطريق والوارد عليها والصادر كبير " .

وتوجد اوجيلة على الطريق الرابط بين مصر وبلاد السودان الأوسط ومن أهم صادراتها البلح .

1 - البكري - ص 9 .

2 - ابن حوقل - ص 92 .

3 - الاستبصار - ص 58 - 92 .

4 - الشماخي : سير الاباضية - ص 143 .

5 - المغرب - ص 182 .

6 - الأمين عوض الله : تجارة القوافل بين المغرب والسودان الغربي - معهد البحوث العربية - بنغازي 1985 - ص 81 .

7 - الادريسي : نزهة المشتاق - ص 213 .

8 - نزهة المشتاق - ص 213 .

غدامس:

كانت محطة تجارية تربط بين بلاد السودان وجبل نفوسة وبلاد الجريد. تمر بها عدة طرق. مكنتها من التوسع والازدهار. وهي مدينة قديمة كان يطلق عليها اسم "سيداموس" (1). دخلت الاسلام بعد غزوة عقبة بن نافع لما سنة 42 هـ (2). وكان سكانها من البربر، اتبعوا المذهب الاباضي، وكانت لها ارتباطات بجبل نفوسة. (3) ومربطة ببلاد السودان بآرق تجارية منها الطريق الذي ذكره البكري (4) وينطلق من طرابلس ويتجاز جبل نفوسة ثم يمر بغدامس ليصل اخيرا الى تادمكة، وذكر الادريسي (5) كذلك ان بين غدامس والازقار (الخوقار) مسيرة ثمانية عشر يوما.

وقد استمرت العلاقات بين غدامس وبلاد السودان حتى القرن السادس الهجري، فحسب حسن الوزان (4) قال عنها: "ان أهلها يمتازون بالثراء الناجم عن تجارتهم الكثيفة مع بلاد السودان، واشهر مانتنتجة الجلود المصنوعة".

وما نستخلصه ان غدامس كان لها دور في رعاية التوافل التجارية المارة بها، ولها الفضل في تنشيط التبادل التجاري خاصة بين جب نفوسة وبلاد السودان.

1- اخموي: معجم البلدان - ج 6 - ص 628.

2- ابن الاثير: الكامل في التاريخ - ج 5 - ص 187.

3- ابن حوقل: صورة الارض - ص 4.

4- المغرب - ص 182.

5- نزهة المشتاق - ص 36.

6- وصف اربنيا - ج 2 - ص 146.

تادمكة:

هي مدينة سودانية، تقع شمال شرق منحني نهر النيجر، كانت لها علاقات تجارية متينة مع بلدان السودان والمغرب، ترتبط بفهمها بعدة طرق تجارية، تسلكها القوافل ومنها تسرب اليها الاسلام عن طريق التجار والعلماء.

ومن اهم الطرق: طريق ورتلة، تادمكة، غارو، وهي من اقدم الطرق خلال القرن الثالث الهجري. والمسافة بين تادمكة وغارو (كوكو) تسع مراحل (1)، وان تجارتها الملح الذي يحمل من منطقة توتك الى تادمكة وبينهما ست مراحل، ثم الى كوكو. (2)

ومر بتادمكة تجار جانيوها من بلاد الجريد وورجلان خلال القرن الرابع الهجري. ومن هؤلاء ابو نوح سعيد بن يثغف المزاتي (عاش خلال القرن الثالث الهجري) الذي سافر الى تادمكة من اجل بيع الخيل، بعد ان قضى فريضة الحج وهو تاجر عراشه بكثرة امواله. (3)

وورد عند الشماخي (4) ان رجلا يقال له ثلمي الوسياني وهو من بني واسين، سافر الى تادمكة وحقق اموالا كثيرة، جعل يبعث من تادمكة كل ستة عشر كيسا كل كيس فيه خمسمائة دينار الى ابن عمران موسى ليوزعها على الفقراء والمساكين.

ومما يدل على علاقات تادمكة بالشمال، ان ابا يزيد غلند بن كيداد والملقب "بصاحب الحمار" والذي قام بثورة ضد الفاطميين خلال القرن الرابع الهجري، قد ولد بتادمكة وان ابوه كان تاجرا اقام بتادمكة وتزوج جارية من نفس المدينة وهي ام ابريزيد. (5)

هذه دلائل وشهادات تدل على النشاط التجاري بين تادمكة وبلاد المغرب ومدن السودان الاخرى، وكانت مدينة ثرية كان التجار يشقون بها اموالا كثيرة.

1- البكري: المغرب - ص 181-183. مؤلف مجهول: الاستعمار - ص 223.

2- البكري: المصدر نفسه - ص 183.

3- الدرر جين: طبقات مشايخ المغرب - ص 167.

4- سير الاباضية - ص 911.

5- عماد الدين القرشي: غريب الاحبار - ص 173.

- ابن خلدون: الغرر - ج 7 - ص 6.

مدينة ببلاد السودان، تقع على الضفة اليسرى لنهر النيجر، ذكرها ياقوت الحموي (1) ونقلًا عن المهلي (عاش خلال القرن 3 هـ / 11 م) أن ملكها مسلم وأنه كان يعيش هو ونبلاؤه على الضفة الغربية للنهر، أما الضفة الشرقية فتوجد بها الأ-اء التجارية، ويتردد عليها التجار من كل أنحاء العالم.

وكانت عاصمة البلاد، وهي أعمر من عاصمة الزغاوة (كانم) المجاورة لها، وحدودها الغربية مع غانة (2)، وهي تقع على الطريق الآتية من الشمال.

وسكانها من البربر وهم مسلمون يتميزون بلباس الثياب المصنوعة من القطن النوبي ويتعاملون بدنانير تسمى الصلغ لأنها ذهب محض، وغير مختومة. (3)

كان يربطها مع بلاد المغرب علاقات تجارية وسياسية متينة منذ القرن الثاني للهجرة، بفضل الطرق التجارية التي تربطها مع الشمال، ومن أشهرها الطريق الذي يربط ورجلان بغاو يمر بتادمكة، كان مشهورا خلال القرن الثالث الهجري لتاسع الميلادي (4)، وذكر البكري (5) أن المسافة بين تادمكة ومدينة كوكو تسع مراحل.

وتربط كوكو (غاو) ببلاد السودان الأخرى شبكة من الطرق، لذلك تعتبر حلقة وصل بين تجار المغرب والسودان. وأشار ابن حوق (6) إلى الطريق الرابط بين غانة وكوكو، ثم مرندة فمصر. فذكر الطريق من غانة إلى كوغة نحو شهر ومنها إلى سامة دون الشهر ثم إلى كازم نحو الشهر أيضا ومن ثم إلى كوكو شهر ومنها إلى مرندة شهر.

وأشار البكري (7) إلى طريق آخر يربط كوكو بملكة يقال لها "الدمدم أو الملم". ومن السلع التي كان يقلها التجار المغاربة إلى كوكو الملح لندوته هذا البلد، فيبيعونه بأعلى الأثمان، ولذلك كانت قيمته مرتفعة. ويوازن الذهب، لذلك كان أكثر ما يملأ بيت مال الملك في كوكو. (8) ويبدو أن مدينة كوكو لا تملك مناجم للذهب، وإنما يأتون به من مناجم "ونقارة" البعيدة عنهم ومن غيارو، ولذلك فهي تمثل حلقة وصل بين تجار الشمال والسودان، وإن أهميتها الجغرافية جعلتها مركزا تجاريا

1- محمد البلاد - مادة كوكو - ج 4 - ص 301.

2- ابن سعيد : كتاب الجغرافيا - ص 93.

3- البكري : المعجم - ص 182.

4- سرودت عبد الحميد : العلاقات الخارجية للدولة المرينية - ص 266.

5- المصدر السابق - ص 183.

6- صورة الأرض - ص 91.

7- المصدر السابق - ص 183.

8- البكري : المعجم السابق - ص 183.

- محمد علي دبور : تاريخ المغرب القديم - ج 3 - ص 346.

هاما واكتسب مكانة سياسية جعل بلدان المغرب يقيمون علاقات ودية مع ملكها. فقد ذكر ابن الصغير (1): "أن الإمام أفلح بن عبد الوهاب عزم على الذهاب إلى مدينة كوكو (غاو) مع قافلة تجارية، ولكن والده منعه لعجزه عن الإجابة لمسألة من مسائل الربا"، وعندما تولى الإمامة أقام علاقات حسنة مع ملك كوكو، فأرسل له هدية لتوثيق الصداقة والاعتراف له بالجميل لما كان يلقاه تجار الإباضية في مملكته من معاملة حسنة (2)، وقال ابن الصغير (3): "أن الإمام أفلح أرسل سفيرا إلى ملك كوكو يسمى محمد بن عرفة كان وفد على ملك السودان بمعية، وكان رجلا وسيما قيما، جميلا وجوادا وسمحا، وقد أعجب به ملك السودان مما رآه فيه من هبة وجمال وفروسية عند ركوب الخيل".

هذه شواهد تاريخية تدل على العلاقات التجارية المثينة بين غاو وبلاد السودان، ومنها تسرب التجار والعلماء، فقاموا بنشر الدعوة الإسلامية (4).

-
- 1- أخبار النعمان الرسميين - ص 6240
 - 2- نفسه - ص 6240
 - 3- محمد علي دبور: تاريخ المغرب الكبير - ج 3 - ص 346.
 - 4- المصدر السابق ص 210.
 - 4- حودت عبد الكريم يوسف: العلاقات الخارجية للدولة الرستمية - ص 239-269.

تقع جنوب فزان، وهي سلسلة من الوحدات تسمى الإتصال مع كانم، وذلك هو أسهل طريق للقوافل التجارية رغم وجود منطقة كيان بين يالة وديلا واستخدم هذا الطريق منذ عهد قدم، يقول عنها ياقوت الحموي (1): "وهي ناحية واسعة بها مدن كثيرة، فيها قصر أم عيسى، وأبو البلاء والبلاس، وأكبر مدنه أبو البلاء. والوان أهلها صفر، يدسون ثياب الصوف، وهي بلادهم أسواق ومياه جارية وخیل كثيرة، ولهم سلطان في طاعة ملك الزغاوة".

دخلها الإسلام على أثر نزوة عقبة بن نافع لها سنة 46هـ/666م، وكانت عاصمة الإقليم (القصبة) المسماة "خوار" وهي قلعة كيم (2).

وقد أعطانا الإدريسي (3) (أواخر القرن 5 هـ/11م) وصفا دقيقا لكوار، فذكر أهم المدن وهي القصبة والتي هي خوار وهي بلدة قليلة الأهمية، وقصر أم عيسى وهي على مسيرة يومين صوب الجنوب من القصبة، ومدينة الكلاس وتعتبر مقرا لحاكم محلي وآخر بلدان كوار، مدينة "الملمة" الصغيرة الواقعة في الجزء الجنوبي من البلاد وهي ذاتها "بلمة" (أو بلداء).

وأغلب سكانها من البربر في أواخر القرن الثالث الهجري (4) مع وجود بعض التجار العرب، ويعيش بإقليم جماعة التبين (أو ما يطلق عليهم بالنيدا - الدازا) (5) وقد اعتنقوا الإسلام واتبعوا المذهب الإباضي. وموارد سكان كوار تتمثل في التمور وأسفلال مناجم الشب والتجان بالإضافة إلى تربية الجمال لاستخدامها في نقل السلع، وقد اشتهرت كوار بمناجمها التي تحتوي نوعا من الشب المعروف باسم شب كوار ويتميز بنقاته الفائقة (6).

وكانت تجرة الرقيق من المصادر الرئيسية لثراء سكان كوار فعن طريق كوار كان العبيد السود يتدفقون على أسواق جرمة وزويلة وودان، وكان يصدر منها إلى بلاد المغرب وإفريقية، فقد ذكر اليعقوبي (7) "أن وراء زويلة بلاد كوار بها قوم من الملحين ياتون بالسودان". والمنطقة بين فزان وكوار عبارة عن حمارة، ولا تسلك إلا من يمر فيه الآبار والاحتاحات، يربط زويلة ببلاد السودان (8).

1- معجم البلدان - ج 7 - ص 210.

2- ابن عبد الحكم : فتوح مصر - المغرب - ص 60.

- البكري : المغرب - ص 12

3- نزعة المشتاق - ص 37.

- لبغسكي : دور الصحراء الكبرى وأهل الصحراء - تاريخ إفريقيا العام - ج 3 - ف 15 - ص 325.

4- اليعقوبي : تاريخ البلدان - ص 22.

5- ابن سعيد : كتاب الجغرافيا - ص 92.

6- الإدريسي المصدر السابق - ص 98.

7- البلدان - ص 345.

8- حردة حسن حردة : جغرافيا إفريقية الإقليم - ص 271.

وقد كان بعض التجار يواصلون طريقهم جنوباً إلى كانم وبينها وبين زويلة أربعون مرحلة، وهم وراء صراء بلاد زويلة (1). ومنهم من يتجه إلى كوكو "عاو" (2)

واشتهرت كوار بتجار الرقيق، فقد كان يجلب إليها من بلاد الزغاوة (3)، وتاريخياً ان كوار كان إقليمياً مستقلاً وكان على اتصال ببلاد السودان، وسكنه بعض اللمطين من قبيلة لمطة الصنهاجية واللذين يكونون قد هاجروا إلى المنطقة (عمر) واختلطوا مع التبو أو التبو ومنها دخلوا بلاد السودان ومن المعروف أن قبيلة الزغاوة التي حكمت كانم من أصول بربرية (4) وقد خضعت كوار خلال القرن الخامس الهجري لمملكة كانم، فقد أقام ملكها أركو من بولو (414-448 هـ/ 1023-1067م) مركزاً للعبد المجلوب من بلاده، ومن هذه المراكز زيلاء وسيكادم والتي وجدت بها مسجد (5)، ومنها يصدر الرقيق إلى مصر وبلاد المغرب، وهكذا يدل على أن أهل كوار كانوا باتت عال بالمسلمين وأنهم دخلوا الإسلام، ومن هذه المنطقة تسربت الدعوة الإسلامية إلى كانم.

1- البكري : المغرب - ص 91.

2- ابن حوقل : صورة الأرض - ص 91.

3- البكري : تاريخ البلدان - ص 3.

4- ارجع الفصل الأول من البحث : عنصر دولة كانم.

5 - LANG : CP CIT - P 107.

لانغ : منطقة تشاد عند نهري الطرق - تاريخ إفريقيا العام - الجزء الثالث - ص 494.

موقعها في الصحراء، تبط بسجلماسة بطريق قبلي، ومبنية بين جبلين وهي مصر من الأمصار الجبلية، وهذان الجبلان كانا بين ص. راء لموتنة وبلاد السودان، وهي ذات شعاب وماؤها قليل. (1)

وقد تطورت المدينة وز. سعت بسبب كثافة النشاط التجاري، فهي لم تكن إلا مدينة صغيرة مبنية بالحجارة والصلصال خلال القرن الثالث الهجري، ولكنها كانت تتمتع بشهرة كبيرة. قال عنها اليعقوبي (2) أنها واد عامر بالمنازل.

أما خلال القرن الرابع الهجري، كانت أسواق جليلة والصفر إليها متصل من كل بلد، وأهلها مسلمون لهم المساجد (3). وكانت التجارة بها رائحة يدخها التجار من إفريقية وفاس والأندلس واغامت، وكانت على اتصال دائم بمدينة سجلماسة (4).

وتطورت المدينة في عهد البكري (5) وتولت إلى مدينة كبيرة آهلة رملية، حولها بساتين النخيل، وبها آبار عذبة والغنم والبقر.

وأغلبية سكانها من الأ. بونكة ولكن حکامها من البربر من قبيلة لموتنة، دخلت الإسلام بفضل التجار المسلمين منذ القرن الرابع الهجري، وعرف حکامها بحماسهم في نشر الإسلام خاصة بغانة، وأشهرهم الملك ونسو بن نزار. (6) وسكان مسلمون يقرؤون القرآن ويتفقهون ولهم مساجد. (7)

وما يهنا هو حياتها الاقتصادية، فان اودغست لم يكن لها إنتاج محلي تعتمد عليه، وكانت شهرتها التي جذبت إليها التجار ترجع إلى أنها تمثل نهاية طريق سجلماسة، وبداية طريق أحدهما يصل إلى "أويل" بلد الملح وثانيهما يمتد إلى غانة، وآ. ابن حوقل (8) على وجودهما فذكر أن الأول مسيرة شهر، وذكر الثاني أنه بضعة عشر يوما.

ومما زاد في أهمية اودغست التجارية أن ملك غانة كان يُلجئة ماسة إلى ملح اودغست ولذلك أقام علاقات ودية مع ملكها. ذكر ابن حوقل (9) ان حاجة ملوك غانة وكوغة إلى ملوك اودغست ماسة من أجل الملح الخارج إليهم من ناحية الإسلام.

1- ابن حوقل : صورة لأرم - ص 99.

2- البندان - ص 360.

3- الحسوي : معجم البلدان - ج 1 - ص 277.

4- ابن حوقل : المسير السابق - ص 98.

5- المغرب - ص 88.

6- مسند - ص 159.

7- طرحان : حياة أبي الله - بر الواسطي - ص 52.

8- الحسوي : المسير السابق - ص 360.

9- المسير السابق - ص 98.

10- مسند - ص 161.

11- طرحان : المسير السابق - ص 51.

والمهم ان اودغست كانت لها شهرة في مجال التجارة الصحراوية؛ وان حركة التجارة بينها وبين بلاد المغرب من جهة والسودان من جهة أخرى قائمة باستمرار. وساعد تنقل عدد كبير من التجار المسلمين إليها ومن كافة البلدان على دخول أهلها إلى الإسلام، بل أن حكامها أصبحوا من المتحمسين لنشره بين القبائل الوثنية. بل أن هذه المكانة الاقتصادية جعلت ملوك غانة يستولون عليها، ومن إيجابيات هذا الإقليم هو انتشار الإسلام منه إلى غانة قبل مجيء المرابطين. (1)

1- ارجع الفصل الأول من بحث : عنصر غانة - سحر لم.

كانت سجلماسة مركزا تجاريا هاما في الطريق الغربي الصحراوي، وكانت تمثل نقطة انطلاق لشبكة واسعة من المواصلات مع اجنوب والشمال، بحيث استفادت المدينة من هذه الوضعية واصبح أهلها من كبار الأغنياء، كما استفاد حكامها استفادة ملحوظة من حيث الجباية (1). أسسها زعيم يزدب الصغرية عيسى بن يازيد الأسود المكناسي، بعد مبايعته على أرضها أميراً على دولة سجلماسة، حيث اجتمع على أرضها أربعة آلاف شخص من قبائل زناتة، وكانت حينئذ موقعا للخيام فقط (2).

وشرع في تخطيط المدينة سنة 140هـ/757م، وبذكر البكري (3) أنها شيدت سنة 140هـ/757م وأن ازدهارها ترتب عليه فتح لبلدي تدغة وزيز المجاورين واكمل بناءها واتقن أسوارها، ونظم مبدانها في خلجان، وأمر بغرس النخيل والاستثمار منه (4)، وأصبحت منذ ذلك الوقت عاصمة لدولة بني مدرار وقد تولى سجلماسة بعد موت عيسى، أبو القاسم سمفون بن واسول المكناسي الملقب بمدرار (156-167هـ/772-784م) (5) وقد أتم بناء المدينة وشيدها واختط بها المصانع والقصور، وانتقل إليها سنة 199هـ/814م (6). وقال بن عذاري (7) في هذا الصدد أنه أمر ببناء سور اسفلة بالحجارة وأعلاه بالطوب، وكان ذلك من ماله الخاص لم يشاركه فيه أحد، ثم سكن بها. وازدهرت سجلماسة في عهده واصبحت مناصرة للدولة.

وما يهمننا في هذا العنصر هو التجارة، فقد وصفها ابن حوقل (8) : " ان سجلماسة حسنة الموقع جليلة الأهل، بها مزروعات متنوعة منها الذرة والحنطة ولها نخيل وبساتين حسنة واجنة، وقومها أغنياء، وأبنيتها كبنية الكوفة بها القصور المسيدة العالية.

وتحدث عنها البكري (9) فقال: "ان أهلها يعتمدون على التمر لقله غلتهم، يمتازون بغزل الصوف وزراعة الأرز البديعة وأهلها أغنياء، ولهم أموال كثيرة بسبب اشتغالهم بالتجارة".

ومما زاد من أهمية سجلماسة التجارية، أنها كانت منطلقا لكثير من الطرق التجارية، فهناك طريق يؤدي إلى غانة انطلاقا من سجلماسة. قال عنه اليعقوبي (10) انه يسير إلى بلاد يقال "سسط" ويمر على بلدة

- 1- أحمد العراقي : تجارة القوافل بين شمال وغرب أفريقيا - ص 147.
- 2- ابن عذاري : البيان - ج 1 - ص 156
- 3- المغرب - ص 19
- 4- ابن الخطيب : كتاب أعمال الإعلام - ص 138.
- 5- ابن خلدون : العبر - ج 6 - ص 267.
- 6- السلاوي : الانقضا - ج 1 - ص 125.
- 7- ابن خلدون : المربع السابق - ص 261. - السلاوي : المصدر السابق. - عبد العزيز سالم : المغرب الكبير - 588.
- 8- المصدر السابق - ج 1 - ص 218-226.
- 9- صورة الأرض - ص 90.
- 10- المغرب - ص 108.
- 11- البلدان - ص 270.

يقال لها " أنبية"، ويسمى هذا الطريق إلى مدينة غانة حسب ابن حوقل (1) وطريق آخر يربط تساقيلات سجلماسة وبلاد السودان، فإن يمر بتفازة وهو مكان معروف بتوفر مناجم الملح به (2) وهناك طريق آخر يبدأ من سجلماسة إلى مدينة تامدلت فيخرج منها إلى السوس الأقصى، ومنها يتجه إلى غانة. (3) ذكر البكري (4) هذا الطريق، فمن سجلماسة إلى مرغاد ومنها إلى أجدر ثم إلى وادي درغة ومنه إلى تامدلت ومنها يصل إلى أودغست.

أما فيما يخص المسافات، فإن الطريق من أودغست إلى بلاد تامدلت أربعون مرحلة ومن تامدلت إلى سجلماسة إحدى عشرة مرحلة أي أن الطريق من سجلماسة إلى أودغست إحدى وخمسون مرحلة. (5) إن موقع سجلماسة كما رأينا وخاصة الطرق التي تربطها مع الشمال والجنوب، فازدهرت بسبب التجارة بين القرنين الثالث والخامس الهجريين، حيث كانت منطلق القوافل. ويرتادها التجار من مختلف البلدان، وقد أشار ابن حوقل (6) إلى ذلك عندما قال: "يدخلها (التجار) من نواحي إفريقية وفاس والأندلس والسوس واغمات، وأصبح أهلها أغنياء لاشتغالهم بالتجارة إلى غانة والسودان".

كما تعتبر سجلماسة مركزاً هاماً لتجارة الذهب والذي يأتي به التجار من غانة كما يؤكد ذلك الاصطخاري (7) في هذا المعنى بقوله: "وهي قرية من معدن الذهب بينها وبين أرض السودان وأرض زويلة، ويقال لا يعرف معدن للذهب أوسع ذهباً ولا أصفى منه، إلا أن المسلك إليه صعب، والاستعداد شاق جداً". والمهم أن سجلماسة بلغت درجة كبيرة من الازدهار الاقتصادي خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين، خاصة بعد أن سيطر المرابطون على بلاد المغرب وجزءاً من بلاد السودان، وإن سجلماسة كانت مرتبطة ببلاد السودان خاصة مملكة غانة، حيث انتقل آلاف التجار إلى هناك وقاموا بنشر الدعوة الإسلامية. (8)

- 1- صورة الأرض - ص 90.
- 2- السعدي: مروج الذهب - ج 1 - ص 181.
- 3- ابن حوقل: المسند - ص 91.
- 4- المغرب - ص 156-158-163.
- 5- نفسه - ص 188.
- 6- المصدر السابق - ص 90.
- 7- المالك والمالك - ص 34.
- 8- انظر الفصل الرابع من بحث - عصر قبيلة هواة - ص 84.

مراكز أخرى :

وبجانب المراكز التجارية التي ذكرتها هناك مراكز أخرى منها التي كانت تمثل مناجم لمختلف المعادن حيث كان التجار يتجمعون لها، وينقلون السلع التي يحتاجون إليها، والملاحظ أن هذه المراكز خاصة الموجودة في بلاد السودان تحولت إلى الإسلام في وقت مبكر نتيجة للاحتكاك مع التجار المسلمين، نذكر منها :

تكدا: وتقع في الصحراء الوسطى، اشتهرت بإنتاج النحاس الذي يستخرج من مناجمها ويحمل إلى بلاد السودان منها برنو. (1)

تفازة: وهي قرية صغيرة أهلها مسلمون يستخرج منها الملح وهي قرية من بلاد السودان (2) وأهلها سلطان سنغاي الأسبق محمد (899-935م/1493-1528م) .

تياني (بني أو نياني): وهي مركز تجاري قرب مناجم الذهب ازدهرت في عهد مملكة مالي. (3)

ونقارة : وهي أرض توجد جنوب غربي غانة متصلة بغانة وهي بلاد التير، يقول عنها الإدريسي (4): "أرض ونقارة، أرض التير" وبعد ثمانية أيام نحو غانة. وأصبحت كلمة "ونقارة" تطلق على كل مناطق الذهب، ويقصد بها أرض الذهب. (5)

غيارو : وهي مدينة بغانة يوجد بها مناجم الذهب، سافر إليها عدد كبير من التجار، جاءوها من ورجلان وبلاد لاجريد واودنست وغيرها، وبينها وبين مدينة غانة ثمانية عشر ميلا، مساكنها متصلة. (6)

1- ابن بطرقة الرحلة - ص 69.

2- المصدر نفسه - ص 76.

3- حسن الوزان : وصف إفريقيا - ج 2 - ص 164.

4- نزعة المشتال - ص 39.

5- طرخان : غانة في بلاد السودان الوسطى - ص 63.

6- البكري : المغرب - ص 177.

د- أساليب التعامل :

من الأسئلة التي تبادر لذهن من يرى كيفية تعامل التجار المسلمين مع أهل السودان رغم اختلاف اللغة، ومن المحتمل أن المترجمين قاموا بدور هام في هذا المجال وربما كان هؤلاء ممن أقام في بلاد السودان مثل والد مخلد بن كداد المعروف بصاحب الحمار وغيره كثيرين، وربما كانوا في حالة عدم وجود المترجمين يلجأون إلى نظام التجارة الصامتة (1) ويعني هذا المصطلح التعامل بالمساومة أو المبايعة بين أقوام لا يعرف أحدهم لغة الآخر أو يحرص أحدهم على الاحتفاظ بسر منابع ثروته خوفا من النهب أو السطو (2) وقد أورد المسعودي (3) وصفا دقيقا لهذه التجارة عند حديث عن ملك غانة فقال عنه : " إنه عظيم الشأن ببلاده معادن الذهب، فإذا وصل تجار إلى بلاده لا يتجاوزن شطرا معينا، ويضعون عند حدوده الأمتعة والأكيسة ثم ينصرفون، ويأتي أهل السودان إلى ذلك ويضعون الذهب وينصرفون، ويرجع أصحاب الأمتعة إلى الخط، فإذا أرضاهم العرض يعملون الذهب وينصرفون، وإن لم يتم ذلك يعود أهل السودان ويزيدونهم حتى تتم المبايعة".

إن التعامل بالتجارة الصامتة أعاق التبادل التجاري رغم العلاقات الحسنة التي كانت قائمة بين بلاد المغرب والسودان، ولذلك حث التجار المسلمون إيجاد لغة تخاطب، وبما أن اللغة العربية أرقى من اللغات المحلية، فتسربت كثير من الكلمات العربية إلى اللغات المحلية خاصة في مجال المكايل والموازين والمقاييس. وانتشرت اللغة العربية تدريجيا حتى توغلت في بلاد ربوع إفريقية خاصة بعد إنتشار الإسلام (4).

وكان حكام المغرب يحرصون على استمرار هذه العلاقات، ومن هنا أسرع والي سحلماسة أبو الربيع سلمان بن عبد الله بن عبد المزمع (سنة 600 هـ) إلى الكتابة لملك السودان ينكر عليه تعويض التجارة ومما جاء فيها : "نحن نتجاوز بالإسلام وإن خالفنا الأديان، وتفق على السيرة المرضية وتألف على الرفق بالرعية... وقد بلغنا أن احتباس مساكين التجار ومنعهم من التصرف لما هم بصدده، وتردد الجلالة إلى البلد مفيد لسكانها ومعين على التسكين من استطاعها، ولو شئنا لاحتبسنا من في جهاتنا من أهل تلك الناحية لكن لا نستوصب فعله ولا ينبغي أن ننهي عن خلق وتأتي مثله." (5)

ومن طرق التعامل، أن الملح كان يبادل بالذهب وزنا يوزن في عهد مملكة غانة، وعندما يقل ورود التجار كانت المبادلة تتم بوزن من الملح مقابل وزنين من الذهب حسب رواية الغرناطي (6). وكان الملح يقطع

1- جرد قاعد الكرم يوسف : العلاقات الخارجية للدولة الرسنية - ص 281.

2- حسن ابراهيم حسن : انتشار الإسلام في إفريقيا - ص 98.

3- أسرار الرماد - ص 139.

4- طر حسان : المصدر السابق - ص 6.

4- أحمد العراقي : تجارة القوافل بين الشمال وغرب إفريقيا - ص 154.

5- المقرئ : نفع الطيب من غصن الأمانس الرطب - نفع.

فيق محمد عبي الدين عبد الحميد - مصر 1945 - ج 4 - ص 102-103.

6- تحفة الألباب - ص 41-42.

هـ - السلع المتبادلة :

شمل التبادل التجاري بين بلاد السودان الأوسط والمغرب سلعا مختلفة شملت المزروعات والمعادن والمصنوعات والرقيق، وكانت السلع المتبادلة بكميات وعيرة .

- صادرات المغرب :

المزروعات : كان أهل السودان يستوردون من المغرب القمح والتمر والحنطة والفواكه الرطبة ، وكانت الحنطة تصل إلى أهل الزغاوة من ورجلان (1) . ولما كانت تيهرت تشتهر بإنتاج الحبوب، وكانت ورجلان مدينة صحراوية كان تجار تيهرت قد ساهموا في نقل تلك الحنطة إلى زغاوة وغيرهما من بلاد السودان . ومن الملاحظ أن الفواكه لا توجد ببلاد السودان إلا ما يجلب من مدينة لمجماصة أو بلاد الزاب وكان الذي يجلبه تجار ورجلان (2).

المعادن : - الملح : هو من أشهر السلع التي يجلبها التجار إلى السودان ، ولا تقل أهمية عن أهمية الذهب ، وأن الملح كان معلوما ببلاد السودان حتى أنهم لا يمانعون في مبادلته بالذهب . ولذلك أقاموا علاقات حسنة مع التجار المسلمين وملوكهم منهم ملوك ادغست (3) .

وتبدو أهميته القصوى في اقتضائه رحلة شرائية ، حتى جعلوه وسيلة للتصريف بينهم وذلك بقطعه إلى قطع صغيرة (4) وكان التجار يحصلون عليه من مناجم أوائل ونغازة ، ويحمل على ظهور الجمال إلى السودان ويعطي لنا ابن بطوطة (5) وصفا لمدينة نغازة فيقول : " إنها قرية صغيرة لا خمر فيها ، ومن عجائبها أن مسجدها من حجارة الملح ، وسقفها من جلود الجمال ، أما مدن الملح ، يخفر عليه في الأرض فيوجد منه ألواح ضخمة متراكبة يعمل الجمل منها لوحين " .

النحاس : يتوفر بكثرة في مدينة تكدة الواقعة شرقي النيجر ، وهي مدينة مشهورة بإنتاجه واستخراجه من مناجمها ، وكانت تصدره إلى جميع بلاد السودان الأوسط والغربي (6) ، وكان يستخدم كعملة شرائية بعد تعدينه ، وكان يبادل بالذهب وزن مثقال منه بثلاثي مثقال من الذهب ، واستخدم في الزينة كما يورد ياقوت الحموي (7) فيقول : " إن تسافر من سلجماصة إلى غانة وجها ، سم الملح وعقد حبيب الصنوبر ، وخرز

1 - الإدريسي : نزهة المشتاق - ص 47 .

2 - نفسه - ص 47 .

3 - ابن حوقل : صورة الأرض - ص 98 .

4 - ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة - ص 476 .

5 - نفسه - ص 476 .

6 - نفسه - ص 698 .

- طرخان : غانة في العصور الوسطى - ص 62 .

7 - معجم البلدان - ج 2 - ص 12 .

قطعا صغيرة به أهل السودان كـ : يتصارفون بالذهب حسب ابن بطوطة (1) .
 واستخدمت الملح والذرة وحلق النحاس كأسلوب من أساليب التعامل كما أكد ذلك البكري : " يتبايع أهل سلي
 بالذرة والملح وحلق النحاس " (2) .
 واستخدمت الصكوك كوسيلة من وسائل التعامل في تجارة المغرب والسودان فقد أشار ابن حوقل إلى ذلك بقوله :
 " لقد رأيت بأودغست صككا فيه ذكر حق لبعضهم على رجل من تجار اودغست ، وهو من أهل سجلماسة باثنين
 وأربعين ألف دينار " (3) . ويقول في موقع آخر : " لقد رأيت صككا كسب بهدين على محمد بن أبي سعدون
 بأودغست ، وشهد عليه العدول باثنين وأربعين ألف دينار " (4) .
 الأسعار :

كانت الأسعار تتغير حسب ظروف العرض والطلب ، فمثلا الملح اكتسب أهمية كبيرة في عهد مملكة غانة ، فكان
 يبادل مع الذهب وزنا لوزن ، أما الذهب فقد انخفض سعره لكثرة في غانة ، وحاجة أهل السودان للسلع
 المغربية (5) .
 أما أسعار الرقيق فقد كانت مضطربة ، فقد ذكر الإدريسي (6) أن الثمن المألوف للعبد أو الآمة هو حمل جمل من
 الملح ، وكان سعر العبد بعد القرن الخامس الهجري مرتفع ، فقد ذكر ابن بطوطة (7) أنه اشترى جارية بخمسة
 وعشرين دينارا وهو ثمن مرتفع جدا .
 أما الخيول فقد كانت أغلى السلع ، كانت تبادل بالعبيد في أغلب الأحيان ، أما أمانها بالذهب فقد كانت تساوي
 أربعين مثقالا (8) ، وقد يصل إلى المائة (9) . أما سعر جلد الدرق اللمطية ثلاثون دينارا وهو سلعة سودانية مطلوبة
 كثيرا في تيهرت (10) .

المصادر للعلوم الإسلامية

- 1 - رحلة ابن بطوطة - ص 698 .
- 2 - البكري : المغرب - ص 173 .
- 3 - صورة الأرض - ص 97 .
- 4 - نفسه - ص 123 .
- 5 - الفرناطي : تحفة الألباب - ص 41-42 .
- 6 - نزهة المشتاق - ص 47 .
- 7 - المصدر السابق - ص 204 .
- 8 - المتقال : يقدر وزنه بحوالي أرب : غرامات . [عبد القادر زيادنة : مملكة صنها في عهد الاسقيين - ص 24] .
- 9 - عبد القادر زيادنة : مملكة صنها في عهد الاسقيين - ص 204 .
- 10 - القزويني : آثار البلاد - ص 27 .

الزجاج وخواتم نحاس " ، كما كان النحاس ينقل بكميات كبيرة إلى غانة ويعد بالقناطير (1) .

المصنوعات : المغرب يصدر إلى السودان مصنوعات متنوعة وشملت :

الأواني النحاسية وهي من الصادات الهامة للمغرب فقد حدث سكن الصائغ (من معاصري ابن فروخ) في القيروان قال : " كنت أعمل السلاسل من نحاس وأطليها بماء الذهب الذي يجعل في اللحم وابتع تباع ببلد السودان " (2) . ولم تقتصر صادرات الشمال إلى الجنوب على النحاس المسبوك بل تشمل كذلك الأسلحة الحديدية والودع والزجاج والأصداف والأحجار .

أما المصنوعات من أصل زراعي فتمثل في الثياب والأقمشة ، فكانت هذه السلعة تجلب إلى بلاد السودان من بلاد الجريد وتبهرت ومصر ، فقد جاء الوسياني (3) أن أبا صالح البحري من سكان بلاد الجريد في القرن 3 هـ قد جهز جملته ليركبه إلى تادمكة فقال له رجل آخر احمل لي جملتك حمل ثياب ، ولاحظ ابن سعيد (4) أن ملك كانم دوناما ديبالامي كان يرتدي الملابس الناعمة من الحضرة التونسية . ولاحظ أن سكان كانم اشتهروا بقمماش دندني طول كل ثوب 10 أذرع فأكثر (5) .

أما المصنوعات من أصل حيواني فتمثل في المتوجات الصوفية و القطنية و الكتانية و الحريرية و الزرابي الجميلة المزركشة و المسابح من " سرت " و مي ، مصنوعة من المرجان .

- الكتب : تعتبر الكتب من أهم اصناف التجارة في السودان الغربي و أثمنا مرتفعة ، و يجني التجار منها فوائد عظيمة و كانت هذه الكتب تأتي من الشرق و المغرب و نشأت في السودان حرفة الوراقين ، كما قام السودانيون بتأليف بعض الكتب ، و كانت تجارة الكتب تفوق أي عمل تجاري آخر (6) .

الواردات المغربية :

كانت بلدان المغرب تستورد سلعا من بلاد السودان يمكن تصنيفها كما يلي :

- المعادن : - الذهب : لعبت تجارة الذهب دورا كبيرا في نمو العلاقات بين المغرب والسودان لعدة قرون ، وساعدت على ازدياد اتصال شعوبها وانتشار الإسلام ، وكان الذهب يستورد من غانة ، وهو مصدر ربحها ، فكانت تسيطر على المناجم الرئيسية لهذا المعدن في منطقة ونقارة ، وتحكمت في الطرق المؤدية إليها ، فضلا أن بلادها ضمت بعض المناجم منها غيارو و ونقارة (7) . وبما أفضل الذهب ويطلق عليه اسم التير ولكثرة ما حصلت

1 - الإدريسي : نزهة المشتاق - ص 60 .

2 - المالكي : رياض النفوس - ج 2 - ص 117 .

3 - الرسياني : السم - ص 30

4 - كتاب الجغرافيا - ص 95

5 - القلقشندي : صبح الأعشى - ص 28 .

6 - الأمين عرض الله : تجارة القرائل بين المغرب والسودان - ص 41

7 - الإدريسي : المصدر السابق - ص 14 .

عليه غانة من الذهب ، وصفت بأن أرضها كلها ذهب (1) ، وأشار المسعودي (2) إلى ذلك بأن ذهبها ظاهر على الأرض ، وحقق ملوكها ثروات ثائلة وأموال وفيرة (3) .

المنتجات الزراعية : وتصدر بلاد السودان إلى المغرب منتجات زراعية متنوعة : القطن: وقد جلبت بذرتة إلى السودان من شمال إفريقيا ، وكان بعض الناس يقومون بغزله ، واختص آخرون بنسجه ، وكان القطن يستخدم كوسيلة لشراء بضائع المغرب المحلوبة إلى السودان . بطريقة المقايضة ، وشهد ذلك الحسن الوزان أثناء رحلته إلى جني (4) .
القول السوداني : استعمل في المبادنة لشراء الملح ، واشتهر السودان بإنتاجه حتى سمي باسمه وهو يزرع في السودان الكبير كله (5) .

الكولا: وهي من الصادرات الهامة لبلاد السودان ، وهي عبارة عن حبوب يطلق عليها أهل السودان (الجورو) وبأكلوها باستمرار (6) .
السلع من أصل حيواني :

وتتمثل في العاج ، وكان تجار المغرب يجمعونه من والاته ثم يصدرونه إلى الشمال ومن ثم إلى أوروبا في الغالب ، بالإضافة إلى الجلود منها جلود النمس ، وريش النعام (7) ، ومن السلع السودانية الأخرى العسل والصمغ .
الرقيق : وهي تجارة رائجة بين بلدان المغرب وبلاد السودان ، حيث جنت منها كل من مملكة كانم وغانة أرباحا طائلة ، وكان ملوك السودان يحصلون عليه عن طريق الأسر خلال الحروب ثم يجلبونه إلى بلادهم ، ويبيعونه للتجار الداخلين إليهم . فقد كان ملك الزغاوة يترقب من يشاء من رعايه ، ويبيعهم من غير سبب ولا حرب (8) . ويذكر الإدريسي (9) أن أهل بربرستان وتكرور وغانة يغيرون على أرض للمم يسرون أهلها ويجلبونهم إلى بلادهم ، فيبيعونهم للتجار الداخلين إليهم ، ويخرجهم للتجار إلى سائر الأقطار ، وتعتبر زويلة بمنطقة فزان أهم مركز لتصدير الرقيق نحو مصر .

1 - ابن الوردي : تاريخ ابن الوردي - ص 163 .

2 - أخبار الزمان - ص 193 .

3 - ابن حوقل : صورة الأرض - ص 98 .

4 - حسن الوزان : وصف إفريقيا - ج 1 - ص 33 .

5 - الأمين عرض الله : تجارة القطن بين المغرب والسودان - ص 69 .

6 - الأمين عرض الله : المصدر السابق - ص 69 .

7 - نفسه - ص 69 .

8 - الفرناطي : تحفة الألباب - ص 43-44 .

9 - البعقوبي : كتاب البلدان - ص 415 .

9 - نزهة المشتاق - ص 37 .

وفد ورد في ديوان سلاطين كاتم أن الملك أركو (414-463هـ / 1060-1068 م) أقام مستعمرات للعبيد في كوار من أجل تصديرهم لبلاد المغرب (1)، وهذا يدل على أهمية هذه التجارة بالنسبة لدولة كاتم خلال القرن الخامس الهجري ، وأنها كانت تصدر أعداد كبيرة من الرقيق ، وكانت زويلة تصدر أعداد كبيرة من رقيق السودان خاصة من الزغاوة (2) ، وهو ما جعل سعره ينخفض ، يقول القزويني : " إن العبد من أهل السودان كان يباع بكمية من الملح لا تعد قدر حجم قدميه " (3) .

وما نستخلصه أن السلع المتبادلة متنوعة وبكميات كبيرة ، وهذا يدل على الازدهار الاقتصادي الذي تحقق بهذه المناطق ، بالإضافة إلى العلاقات الودية التي كانت قائمة وهو ما سهل تسرب الإسلام وبطريقة سلمية إلى بلاد السودان الأوسط وانتشاره .

1 - LANG-DIWAN'-P94 - 1 .

2 - البكري: المغرب - ص 183 .

3 - القزويني : أنار البلاد - ص 31 .

و - المقاييس والموازين والمكاييل:

حرص التجار المسلمون على استعمال مقاييس ومكاييل وموازين مضبوطة ومدققة ، وكان ذلك له أثر إيجابي في التعامل التجاري مع الشعوب الوثنية في بلاد السودان الأوسط، وهو عامل أساسي في توفير جو من الثقة بين الطرفين ، يسهل عملية الدعوة الإسلامية .

ومن الموازين التي استعملها التجار الثقال والدرهم والدينار والأوقية ، وكانت المعايير المستعملة إما النحاس أو الحجر أو الرصاص أو الزجاج (1) .

ومن الملاحظ فقد شرع في استعمال الدينار خلال القرن الرابع الهجري ، فكان مثلاً لمن حمل الملح في دواخل السودان وأقصاه ما بين مائتين وثلاثمائة دينار ، وخلال القرن الرابع الهجري كان حمل النحاس خمسة مثاقيل (2) .

وأما المقاييس التي كانت منتشرة بين التجار تمثل في الشبر والذراع والميل والفرسخ والبريد . وتستعمل الشبر والذراع لقياس الأقمشة والحيطان ، أما الميل والفرسخ والبريد يستعمل لقياس المسافات (3) .

إن هذه القياسات استعملت لمدة طويلة في المنطقة ، ولم يطرأ عليها تغيير كبير ، وقد أوردها السعدي ومحمد كعت التنبكي (القرن التاسع الهجري) (4) .

أما المكاييل التي استعملت في تجارة الصحراء هي المد والصاع والقنطار والمودي (5)، فقد أورد الإدريسي (6) : "إن التجار يدخلون بلاد السودان بأعداد الجمال الحاملة لقناطير الأموال من النحاس ... " .

لقد كان الدين الإسلامي أحد الأسباب التي أدت بالتجار المسلمين للإهتمام بالمقاييس والمكاييل والموازين، لأن الدين يحث على الكسب الحلال وعدم الغش أثناء المعاملات التجارية. وهذا ما جعل الأفارقة يتقربون من التجار المسلمين ويتأثرون بهم، وأقبلوا على المهن الشريفة ، والكسب الحلال مما سهل إنتشار الإسلام بجانب إزدهار التجارة والصناعة في بلدانهم(7)

1 - عبد القادر زيادة : مملكة صنهاجة في عهد الاسفيين - ص 198 .

2 - ابن حوقل : صورة الأرض - ص 98 .

3 - البكري : المغرب - ص 180 .

4 - عبد القادر زيادة : المرجع السابق - ص 198-201 .

5 - تاريخ الفتن - ص 201 .

6 - عبد القادر زيادة : المرجع السابق - ص 201 .

7 - نزهة المشتاق - ص 157 .

7- نعيم لسان : الرقبة الغربية في ظل الإسلام - نشر ونوزيع مكتبة أمّس - دمشق - ص 138

ن - صفات التاجر المسلم :

ومما سبق ذكره أن كثير من التجار المسلمين وصلوا إلى بلاد السودان فقاموا ببيع سلعتهم وفي نفس الوقت نشر الدعوة الإسلامية بين السكان الذين يتصارعون بهم . وعن هذا الاتصال يذكر الإدريسي (1) أن أهل السودان " كوكو" على سبيل المثال : " يدخلون التجار وينجالسونهم " .

وقد عني المسلمون بالطرق والأمر ، وحددوا المكاييل والموازين والمقاييس السليمة ، فأشاع التاجر المسلم حوله جوا من الثقة ، فلقي ترحابا أينما حل ، كما كان يجذب إليه الناس بسبب نظافة ملابسه وأخلاقه السامية ، ويتميز بالصدق والأمانة (2) وأصبح بيته منارة للذكر الإسلامي بما يعمل به من مدنية وحضارة ، وكان مرافقوه ومساعدوه من حيرة الناس ، فهيا ذلك للإسلام فرصة للانتشار والذيع مع التجارة والتجار .

ومن صفات التاجر المسلم ، أن يبعته تميز بروح تجارية ، فترسم على شفثيه بسهولة عندما يبيع أو يشتري ، وهو يحاول أن يكسب الزبون وأن يجده يحسن بأنه صديقه الوفي . إن هذه المعاملة الحسنة مستمدة من مبادئ القرآن الكريم ، فالتاجر لا يستطيع أن ينسأها في البيع والشراء ، ولذلك يتخذ من الشرف والثقة دعامة في تعامله مع الآخرين . إن هذه الصفات الحسنة جعلت العلاقة بين التاجر المسلم وسكان السودان ودية وتميز بالاحترام ، فخلق ذلك ظروفا حسنة لتبادل السلع وتبادل الأفكار .

وبازدياد التبادل التجاري ، ظهرت المراكز التجارية حيث كانوا يقيمون فيها لمدة معينة ، وأثناء ذلك كانوا يصلون ، بتنظيم صفوف جميلة في صلاة الجمعة والجماعة ، كما أنهم لا يشربون الخمر ولا يأتون المنكر وأخلاقهم طيبة (3) . إن هذه الصفات تجعل سكان المناطق التي يمر منها يصاهرونهم ويتقربون منهم ومثال على ذلك أن كثيرا من الأسر الحاكمة في بلاد السودان الأولى لها أصول عربية نتيجة لهذه المصاهرة . وكان لهذه الأسر كما رأينا سابقا دور كبير في نشر الإسلام (4) .

ومما أن التاجر ليس متفرغا لشرح مبادئ الإسلام ، ولا يجيد الفقه والفكر الإسلامي ، فقد كان ينقل معه العلماء والفقهاء لهذه المناطق ، حيث رمون بعدة مهمات منها تعليم المسلمين الذين كثر عددهم في المراكز التجارية مثل غانة وكوكو وجني (5) ، فيشرحون لهم أمور دينهم وتاريخ حضارتهم ، وكانوا يشرفون على

1 - نزهة المشتاق - ص 45 .

2 - حسن إبراهيم حسن : انتشار الإسلام جنوب الصحراء - ص 79 .

- أحمد شلي : موسوعة التاريخ الإفريقي - ج 6 - ص 203 .

3 - نفسه - ج 6 - ص 205 .

4 - انظر الفصل الخاص بالهجرات العربية في هذا البحث - ص 63 .

5 - انظر فصل المراكز الثقافية - ص 164 .

المدارس والمساجد التي شيدها في هذه المناطق ، بل كانوا يختارون أشهر الطلبة ويرسلوهم إلى المعاهد العلمية الشهيرة مثل القيروان وفاس وتيهرت وغيرها .

وقد أقبل أهل السودان على هذه المراكز وفيها اطلعوا على الثقافة العربية الإسلامية ، ولتوسيع ثقافتهم كان تجار وملوك هذه المناطق ينون بيوتاً لهم في الشمال يعيشون بها الطلبة عند التحاقهم بهذه المعاهد ، وبرز مثال على ذلك هي مدرسة ابن رشيق ، حيث تكفل بناتها أهل كاتم عندما كانوا يمرون بمصر من أجل أداء فريضة الحج ، بنيت ما بين عامي (643هـ و649هـ) في أواخر العهد الأيوبي في مدينة الفسطاط من أجل تدريس المذهب المالكي، وذكرها المقرئزي (1) بأنها عرفت بإسم القاضي علم الدين بن رشيق لأنه أشرف على التدريس به وصار لها في بلاد السودان سمعة كبيرة .

ولهذا لم تكن كلمة تاجر تختص بسلع فحسب ، بل كان لها مفهوم واسع ، فكان التاجر غالباً من العلماء . وقد تعرضت في البحث لمجموعة من الدعاة الذين ذهبوا إلى بلاد السودان وقاموا بنشر الدعوة الإسلامية خلال القرن الرابع الهجري ، وقد وردت أسماءهم خاصة في كتب السير الإباضية ، نذكر منهم أبا نوح السعيد الصغير ، أبا نوح سعيد بن يعلف ، أبا صالح الباجري أبا القاسم يونس الفرطاسي وأبا موسى بن أبي عمران وأما موسى الوسياني (2) ولذلك فالتاجر كان يعمل إلى جانب سلعته الثقافة الإسلامية ، فكان يقوم بنشر الإسلام والمذهب الذي يعتنقه ، فانتشر المذهب الإباضي وهو مذهب تجار نيهرت وورجلان وجبل نفوسة وبلاد الجريد بين القرنين الأول والثالث الهجريين ، وهذا لا يعني أن في هذه الفترة لم تنشر المذاهب الأخرى ، بل يرجع ذلك أن التجار المالكين قد أهملتهم الكتب الإباضية خلال هذه الفترة (3) .

ولكن بعد تلاشي الإمارات الإباضية ، ومجيء المرابطين (في القرن الخامس الهجري) وسيطرتهم على الطرق التجارية ، تقلص معه المذهب الإباضي في المغرب والسودان ، وأصبح المذهب المالكي هو السائد في المنطقة . ومن الظواهر البارزة في تاريخ بلاد السودان ، والتي تدل على احترام سكان هذه المناطق وهم وثنيون للتجار المسلمين وتقديرهم ، فقد تركوهم يقيمون أحياء خاصة بهم في المساجد والمدارس لتعليم القرآن بها ، فكانت غانة مثلاً تضم اثني عشر مسجداً ، وأكثر من هذا سمح الملوك الوثنيون ببناء مسجد في الحي الوثني لكي يؤدي فيه المسلمون الوافدون عليهم مشاعر دينهم ، وهذا دليل كبير على الاحترام والتسامح (4) .

1 - المقرئزي : الخطط - ج2 - ص 362 .

2 - علي بن معمر : الإباضية في الجزائر - ج1 - ص 166 .

3 - مسعودي مرهود : جبل نفوسة - ص 262 .

4 - جردت عبد الكريم يوسف : العلاقات الخارجية للدولة الرستمية - ص 283 .

4 - طرخان : غانة في العصر الوسيط - ص 53 .

بل نلاحظ أن بعض ملوك السودان قد استعانوا بالمسلمين لتنظيم شؤون دولتهم ، بما كانوا يحملونه من علم و ثقافة راقية فكان منهم الوزراء و المترجمون ذكر البكري (1) في هذا الصدد عند حديثه عن ملك غانة : " تراجمة الملك من المسلمين و كذلك صاحب ماله و أكثر وزرائه " .

و ما نستخلصه مما تقدم ، إن الإسلام دخل إلى بلاد السودان بالطرق السلمية و إن الإسلام ذو طابع سلمي ، فيكفي أن يزور تاجر مسلم أو فقيه مسلم إحدى بلاد السودان و يستقر بها ، يتقرب منه السكان الوثنيون و يكتفون من زيارتهم له ، فالتاجر المسلم سواء كان من العرب أو البربر أم ممن أسلموا من أهالي هذه البلاد ، كان يجمع بين نشر الدعوة و بيع سلعته ، فطبيعة حركة التجارة و الاتصال بالآخرين ، خاصة مع الذين مازالوا لم يدخلوا الإسلام .

فيعمل لإبعاد كل ما ينفرهم منه و يعرقل نشر الدعوة الإسلامية ، و إذا دخل قرية و ثنية فسرعان ما يلتفت إليه الأنظار بكثرة و ضوئه الذي هو من مظاهر النظافة ، و انتظامه في أوقات الصلاة و العبادة ، و تميزت بتفوق ثقافي و خلقي ، بالإضافة إلى كثرة أمواله ، كل هذه الصفات تجعل السكان يحترمونه ، و هذا ما ينتج له باب الدعوة الإسلامية و شرح مبادئ الإسلام لهم . (2)

1 - المغرب - ص 175 .

2 - حسن ابراهيم حسن : انتشار الإسلام في القارة الإفريقية - ص 26 - 33 - 35 .

- ترماس ارنولد : الدعاء في الإسلام - 341 - 342 .

ي - الأثر الثقافي للتجارة على بلاد السودان الأوسط :

إن أهم ما نستخلصه مما سبق ذكره أن الإسلام انتشر في بلاد السودان بفضل التجار المسلمين حيث اعتنق أهل هذه البلاد المذهب الذي أتوا به . فإذا كان التاجر إباضيا دخلوا الإسلام على المذهب الإباضي (1) ، وإذا كان مالكيًا دخلوه على مذهب المالكية (2) .

كما ساهم التجار في مساعدة ملك الدول السودانية من توسيع رقعة بلادهم بعد تحويل القبائل الوثنية إلى الإسلام . واستفاد بذلك الحكام المحليين . السيطرة على عدة قبائل . و لان و لاء الأفراد قد تجاوز نطاق القبيلة و تحول الولاء إلى الحاكم المسلم رمز السلطة الروحية الجديدة . و بذلك ارتبطت مصالح الحكام مع التجار . و من نتائج الاتصالات التجارية بين التجار المسلمين و أهل بلاد السودان ، تطورت لغة التخاطب بينهما ، بما أن اللغة العربية كانت أرقى من اللغات المحلية ، فمن الطبيعي أن تكون هي اللغة المستعملة في ذلك الوقت . و قد ساهم التجار في نشرها لأنها لغة القرآن الكريم ، ولكي يتعلم الداخل في الإسلام العبادات ، لا بد له من دراسة اللغة العربية . كما أن التجار كانوا يستعملونها في معاملاتهم مع الأهالي ، و انتقلت عدة مفردات وأسماء الأوزان و المقاييس و المكاييل إلى اللغات المحلية . (3)

و بذلك فالعلاقات التجارية و سمعت الحجر الأساسي للعربية في إفريقية ، و ادخل التجار كلمات وتعابير عربية في المنطقة . و انتشرت اللغة العربية تدريجيا . مما يؤكد هذه الظاهرة وجود كلمات عربية عديدة في اللغات الإفريقية مثل الهوسا والفولاني . فنجد كلمة السرج والحرير والزعفران واللحام والقلم ... كلها وافدة على لغة الهوسا ، وهي تعبر عن السلع القادمة من المغرب (4) .

وفي الأخير نعتبر أن حركة القوم التجارية ونشاطها المستمر منذ القرن الأول الهجري بين المغرب والسودان الأوسط أدى إلى انتشار الإسلام والثقافة العربية الإسلامية . كما نتج عنها ازدهار اقتصادي لأهل هذه المناطق .

1 - الدرجيني : الملقات - ج 1 - ص 54 .

2 - المالكي : رياض النفوس - ج 1 - ص 118-337 .

3 - الأمين عرض الله : تجارة القوافل بين المغرب والسودان الغربي - ص 96 .

4 - طرخان : الإسلام واللغة العربية في السودان الأوسط والغربي - جامعة أم درمان - السودان - 1962 - ص 31 .

الفصل السادس

انتشار الاسلام بواسطة الفقهاء والمراكز الثقافية

أ - انتشار الاسلام بواسطة العلماء الفقهاء

1- عوامل نجاح العلماء في نشر الاسلام ببلاد السودان

2- دور فقهاء المالكية في نشر الاسلام

3- دور علماء الإباضية في نشر الاسلام

ب - انتشار الاسلام بواسطة المراكز الثقافية

1- مراكز الشمال:

- القاهرة

- مراكز جبل نفوسة

- القيروان

- تيهرت

- ورجلان

- فاس - مراکش

2- مراكز الجنوب :

- غانة

- غاو او كوكو

- جنى

- تمبكتو

- الربط ودورها في نشر الإسلام

ج - الأثر الثقافي العلماء والمراكز الثقافية على بلاد السودان

أ- انتشار الاسلام بواسطة العلماء والفقهاء

1- عوامل نجاح العلماء في نشر الدعوة الاسلامية

لقد ساعدت عدة عوامل الداعية المسلم في نشر الدعوة الاسلامية بين اهالي السودان الغربي والوسط منها : - تقدير سلاطين السونان للفقهاء والمعلمين المسلمين واحترامهم حتى في عهد وثيتهم ، فكانوا يزورونهم في بيوتهم ويستفتونهم ويأتمرون بأمرهم، وجرت العادة على انه من يلجأ الى السجد أودار الفقيه او الخطيب تجنب العقاب ولم يرو أحد على التعرض له بسوء. وبرز مثال على ذلك هو اصدار ملوك كاتم مراسيم "او محارم" تعطي للعلماء امتيازات وعدة هدايا ،منها عدم التعرض لشخص العالم أو لأولاده أو لماله طيلة حياته .(1)

- تولي علماء المسلمين ماصب سامية في ممالك السودان ،حتى قتل تحول هذه الممالك الى الاسلام، فكان منهم الوزراء والكتاب.وتجلى ذلك في مملكة غانة القديمة قبل تحولها الى الإسلام. وذكر البكري في هذا الصدد " أن تراجمة الملك من المسلمين وكذلك صاحب بيت ماله وأكثر وزرائه.(2)

- الاخلاق السامية التي :ان يتمتع بها الداعية المسلم وسط المجتمع السوداني فقد كان يعمل بمبدأ التأخي والمساواة مع المسلمين الجدد ، ولم يكن يتعصب للونه أو لجنسه، مما جعل الفرد السوداني لا يخش بالاحتقار أو أنه من طبقة د. كما فعل فيما بعد المبشرون المسيحيون.(3) كما أن الداعية المسلم يتميز بمكارم الاخلاق منها الرفق والاناة نتيجة لتمسكه بالشرعية الاسلامية ، مما جعله محل تقدير واعجاب لدى السكان . -وهناك عامل اقتصادي جعل أهل السودان يتقربون من الداعية المسلم ، فكثير من الملوك رأوا أن تحسين العلاقات مع المسلمين ينشط التجارة ويجلب الخير لبلادهم ، ومثال على ذلك أن ملك جني لما اراد إعلان اسلامه خلال القرن السادس الهجري ،طلب من العلماء الذين حضروا هذا الحدث أن يدعوا الله بزيادة عدد التجار في مدينته.(4)

- أن انتشار الدعوة والفتنهاء في بلاد السودان ،وقيامهم بالدعوة منذ القرن الأول الهجري /الحادي عشر الميلادي ،يدل على أن الإسلام انتشر بهذه المناطق بالطرق السلمية وليس بالقهر ،

1- طرسان: مملكة بربر الإسلامية - ص 70.

2- المغرب - ص 175

3- حسن ابراهيم حسن: انتشار الإسلام في القارة الإفريقية ص 66

-أرنولد توماس: الدعوة إلى الإسلام - ص 391

4- السعدي: تاريخ السودان - ص 16- 17

حسب قوله تعالى: "... لا أكرهه في الدين" (1) وكذلك قوله: "فذكر إنما أنت مذكر، لست عليهم بمسيطر." (2) أما القتال في الإسلام فهو استثناء وليس قاعدة، وهذا جاء النهي عن قتال من لم يحارب المسلمين أو يظهر عليهم أحدا.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

(1) - قرآن كريم: سورة البقرة - الآية 256

(2) - سورة الغاشية - الآية 22، 23

2 - دور فقهاء المالكية (١) في نشر الإسلام :

كانت منطقة المغرب ، منفذا لكثير من المذاهب والأفكار ، و من هذه المذاهب المذهب المالكي الذي اعتنقه المغاربة و آمنوا به و دأبوا للمالكية دور في تاريخ المنطقة. وكان من الطبيعي أن تتأثر بلاد السودان بالحياة الفكرية السائدة بالمغرب بسبب كثرة الاتصالات عن طريق التجارة و الحجرات الفردية و الجماعية. (٢)

و دخل المذهب المالكي الى المغرب عن طريق الحجاج و طالبي العلم من الإفريقيين الذين توجهوا الى مراكز العلم في مصر والحجاز ، وتعلم عدد كبير منهم على يد الامام مالك المتمسك بالكتاب والسنة. ووجد اهل المغرب في المذهب المالكي ما يرضي نفوسهم فهو يتميز بالشدة والصلابة والعدو عن اسباب الترف ، وامنوا في تعصبهم لمذهبهم احسب فمن كان مالكيا قبلوه ومالوا اليه ومن كان غير ذلك حاربوه دون حراصة (٣) .

وقد وجد المذهب المالكي منافسة من المذاهب الاخرى منها الشيعي والاباضي بين القرنين الثاني والرابع الهجريين. ففي هذه الفترة قامت دول اسلامية تتبع المذهب الاباضي مثل الدولة الرستمية او المذهب الشيعي مثل الدولة الادريسية والفاطمية. ولم يستطع المذهب المالكي ان يسود المغرب الا بعد قيام دولة المرابطين.

ففي عهد هذه الاخيرة أعطيت مكانة راقية للفتهاء وعلماء المالكية ويقول المراكشي في هذا الصدد: " ولم يكن يقرب من امير المسلمين ويخطي عنده الا من علم علم الفروع اعني فروع مذهب مالك. " (٤)

ومما يدل على تكريم وتقدير الفتهاء من جانب امراء المسلمين في دولة المرابطين ، ان الأمير يوسف بن تاشفين كان محبا للعلماء معظما لمكانتهم. يقول ابن ابي زرع (٥): " وكان + يوسف بن تاشفين (٤٥٢-٥٠٠هـ/ ١٠٦٠-١١٠٦م) محبا للفتاء والعلماء والصلحاء يقربا لهم صادرا عن آرائهم مكرما لهم. " وفاق هذا التكريم ليشمل علماء الاندلس الذين كانوا تحت رعاية امير المسلمين.

وسارت المدن المغربية ، واكثر لدراسة المذهب المالكي وتخريج العلماء المالكيين، منها : القيروان و فاس

(١) المالكية (المذهب المالكي) نسبة الى مؤسس المذهب وهو الامام مالك بن انس الأصمحي (٤٣ - ١٧٩هـ) يعتمد في مذهبه على القرآن والسنة والاجماع والقياس وقول اهل الرأي . من كتبه : الموطأ ، الذي يجمع بين الحديث والآثار وآراء الامام مالك ، وكتاب آخر هو المأونة ، ويتضمن آراء فقهية جمعها ودونها لتلاميذه سحنون . ومن كتب المذهب المالكي : مختصر خليل وعليه شروح كثيرة ، واشتهر هذا المذهب في بلدان افريقيا ودول الخليج .

(٢) ابو العز ، بن محمد ، ملقات علماء افريقية وتونس - ص ٢٠

(٣) حسن علي حسن ، الخلافة الإسلامية في المغرب والأندلس (عهد المرابطين والموحدين) - ص ٤٦٣

(٤) حسن احمد محمود - قيام دولة المرابطين - ص ٩٩ .

(٥) ابن العرب بن محمد ، العدد السات - ص ١٣ .

- حسن علي حسن - الرجوع السابق - ص ٤٦٣

(٦) عبد الواحد المراكشي ، المذهب المالكي في المغرب والأندلس (عهد المرابطين والموحدين) - القاهرة ١٩١١ - ص ١٧٢

(٧) زوض القرطاس - ص ١٨

ومراكش وتلمسان والتي كانت نوازل للعلماء والمحدثين وحملت الرأي على مذهب الامام مالك (1).

ونتيجة للاتصالات بين مناطق الشمال والجنوب، تسرب علماء وفقهاء المذهب المالكي إلى بلاد السودان وقاموا بنشر الدعوة الإسلامية. وتعرضت في هذا البحث إلى تنقل عدد كبير من التجار العرب، واستقروا في بلاد السودان وقيامهم بنشر الدعوة الإسلامية. وكانت المراكش التجارية الصحراوية منطلقاً لأعمالهم التجارية والدعوية منها: أودغست، وسجلماسة وزويلة.

ورغم أن هذه المدن أغلبية سكانها من البربر إلا أنها كانت تضم عدداً من العرب جاءوا من الكوفة والبصرة وغيرها من اليمن، فنشروا الإسلام في بلاد السودان ونشروا المذهب المالكي منذ القرن الأول الهجري.

ومما ساعد على انتشار الإسلام والمذهب المالكي في المغرب والسودان هو اهتمام الخلفاء الأمويين والدعاة في اعتناق الفتنوحات الإسلامية لترسيخ الدين الإسلامي. فبعد تولي عمر بن عبد العزيز الخلافة في سنة 749/768م وأبو إسماعيل بن عبيد الله على المغرب، وكان هذا الأخير حسن السيرة ولم يبق في ولايته يومئذ من البربر أحد إلا أسلم (2).

وقام عمر بن عبد العزيز بإرسال دعاة من التابعين إلى المغرب استقر بعضهم في القيروان وانتشر البعض الآخر في مدن المغرب وأفريقية يعلنون الناس أمور دينهم (3). وكان عدد هؤلاء التابعين عشرة فقهاء من أهل العلم والفضل منهم: أبو الجهم عبد الرحمن بن نافع، وأبو مسعود سعد بن مسعود التيجي، وأبو عبد الرحمن الحلبي، وإسماعيل بن عبيد الانصاري المعروف بتاجر الله، ومحمد بن حبي المعافري، وحيان بن أبي جبلة القرشي، وأبو حمزة بكر بن سودة الجذامي، وأبو سعيد جعتل بن عاتمان بن عمير، وإسماعيل بن عبيد الله بن أبي المهاجر.

وبفضل جهود هؤلاء التابعين تعلم المغاربة أصول الإسلام، فقرأوا القرآن وعرفوا اللغة العربية وياتصال أهل السودان بالمغاربة أدى إلى انتشار الإسلام واللغة العربية ببلدانهم. فدخل كثير من أهل السودان إلى مصر ثمارة فقط وأما رحلوا إليها طلاب علم للثقة في الدين والعودة إلى بلدانهم لنشر الدعوة الإسلامية. ومن الملاحظ أن المذهب الشيعي ساد مصر في العهد الفاطمي وبعده انتشر المذهب المالكي في عهد الدولة الأيوبية. ففي سنة 440هـ/1242م أنشأ ملوك كاثب مدرسة بالقاهرة من أجل تدريس طلاب أهل السودان المذهب المالكي ومختلف العلوم (4).

(1) حسن علي حسن - اختصار الإسلام في المغرب والاندلس - ص 236 - 237.

(2) أبو العرب بن تميم: طغاة علماء إفريقية ونوازل - ص 20.

(3) نفسه - ص 20.

(4) المقرئ: الخطوط - ص 69.

- طر حان: مملكة برنيس الإسلامية - ص 172.

وبانتشار الاسلام ببلاد الحبشة ، كان الاوسط منها " كاثم " ، ساد المذهب المالكي خاصة خلال وبعد القرن الخامس الهجري ، وعلق القلقشندي (1) على ذلك عند حديثه عن " كاثم " بقوله : " يتمذهبون بمذهب مالك الامام ذور اختصار في اللباس ، يابسون في الدين " ، ومن خلال حديثه نجد ان الروح المالكية ادت الى التشدد في الدين .

وكما ان المذهب المالكي كان هو السائد في مملكة مالي ، فقد لاحظ ابن بطوطة ان سلاطين مالي يتميزون بقلّة الظلم ، فهم ابعد الناس عنه ، والسلطان لا يسمح احدا في شيء منه وعدم تعرضه لمال من يموت في بلادهم ومواظبتهم على الصلوات والتزامهم في الجماعات ، وضربهم اولادهم عليها وازدحام المساجد بالمصلين حتى اذا لم يترك المرء بالذهاب الى المسجد لم يجد موضعاً ، وفي حرسهم الشديد على حفظ القرآن وتعليم الدين . (2) ان هذه المظاهر تبين الروح المالكية التي اشتهر بها أهل السودان .

ومن الشواهد التي تدل على انتشار الاسلام بفضل شجرة فقهاء المالكية هو ما جاء في رسالة اسد رها الملك ابو الماي اومن عبد الجليل (478 - 489 هـ / 1086 - 1097 م) موجهة الى ابنائه وخلفائه من بعده ، وتعرف هذه الرسالة في المصطلح الكاشي بـ " عزم " تتضمن معلومات عن دخول الاسلام في كاثم - برنو . وتذكر هذه الرسالة احرار ان اول بلد دخله الاسلام في السودان هو برنو ، وكان ذلك على يد الداعية المسلم الفقيه محمد بن هاني ، وهو انسان معسر ، عاش مائة وعشرين سنة ، وعاصر خمسة من مايات برنو . (3)

أولهم الماي " بولو " (122 هـ / 1020 م) (4) قرأ معه الجزأين الأخيرين من القرآن الكريم ، وقد منحه هذا الماي مكافأة على ذلك تتمثل في خمسين جملاً .

وجاء بعده الماي " أركي " (5) (426 هـ / 1035 م) قرأ معه من أول سورة ياسين الى نهاية سورة الناس ، فكافأه بخمسين جملاً ، وكذلك الماي عبد الجليل كافأه بخمسين جملاً بعد ان قرأه من سورة الأعراف الى ما بعدها ، ايها الملك " أوم " فقد قرأ معه القرآن كله من سورة البقرة الى نهاية سورة الناس ، وقرأ معه كذلك سيرة النبي (ص) ، وأمر بمنحه مائة بعر ومائة قطعة ذهبية ومائة قطعة من الفضة ومائة عبدة . (6)

(1) - صبح الأعشى ج ٩ - ص 281

(2) ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة - ص 690

(3) طرخان : مملكة برنو الإسلامية - ص 68

(4) الماي بولو هو الملك الثامن في سلسلة مايات برنو . (نفسه - ص 68)

(5) الماي أركي : هو الملك التاسع في سلسلة مايات برنو . (نفسه - ص 68)

(6) نفسه - ص 69

وجاء في هذا المحرم كذلك أن الماي "أوم" قام بنشر الاسلام مع محمد بن هانسي وأنه استخدمه عليه كما استخدمه دا من القبائل والأسر وأوصى بحرمة أموالهم ودمائهم ، ودعا من يعتدي عليهم بالحرق في نار جهنم .

ويتضح من هذا المحرم أن الاسلام انتشر في مملكة "كانم" بين سكانها وملوكها قبل أن تتحول المملكة الى الاسلام في عهد الماي أومن عند الجليل ، كما بين كذلك أن ملوك "كانم" كانوا يخفون اسلامهم عن الرعية ، وكانوا يقتلون فقهاء الاسلام ويحرقونهم ، ويحترمونهم فأعطوا لهم المكافآت ، وأوسوا الرعية بعدم الاعتداء عليهم . ومن بفعل ذلك يلقى عقابا شديدا .

ومن دعاة المذهب المالكي في بلاد السودان عبدالله بن ياسين . وبدأت صلة هذا الأخير بالمنطقة حين وفد مع زعيم قبيلة جدالة مكتوب "بودو" هذا الأخير من الحج وتوجه الى القيروان (1) وهناك التقى بالفقهاء ابي عمران موسى بن عيسى بن علي الفاسي ، وكان يومئذ اكبر فقهاء المالكية ومن المنحصرين للحرب ضد الاباضية فطلب منه يحيى بن ابراهيم أن يملك على فقيه يصحبه الى بلاده لتعليم افراد قبيلته مبادئ الدين الصحيح ومساعدته على نشر الدعوة الاسلامية . وقد استجاب الشيخ ابو عمران لهذا الطلب واخبره بأنه سيحدد مكانه عند الفقيه وجناح بن زلو المخطي (2) . وأشار عليه هذا الأخير على انس تلاميذه وهو عبدالله بن ياسين (3) . ومن عوامل اختياره له رغم صغر سنه (20 سنة) هي الصفات الحسنة التي يتمتع بها واحايته للقيادة وبعد النظر ونفاذ البصيرة (4) . ومن الملاحظ أنه ينتمي الى قبيلة جزولة وولد في قرية "تمناولت" التي تقع على حواف الصحراء وهي قريبة من بلاد غما .

وصحب يحيى بن ابراهيم فقيه عبدالله بن ياسين وتوجه الى بلاد جدالة التي فرحت لمقدمته ونزوله بين ظهراتها (5) . وبعد ثلاث سنوات من اقامته هناك ثارت عليه القبائل الصحراوية التي كان يعلمها واحرقته منزله مما دعاه للهروب من بينهم (6) . فاضطر الى الارتحال مع جماعة من اصحابه الى جزيرة منعزلة بالسنيغال في بلاد التكرور فأسس هناك معسكرا سماه بالرباط ومن هذا الاسم جاءت كلمة المرابطين او أهل الرباط .

وفي أسس دعوته ونشرها ذلك باعداد تلاميذه بالزبية الدينية الصارمة ، فذاع صيته وكثر اتباعه (7) واسلم على يديه احد ملوك التكرور هناك وهو ورباي بن ربيس سنة 459هـ / 1059م مما ادى الى انتشار الاسلام

1- ابن ابي عمير دوائر الفاس في اخبار الفريفة - ص 105

2- وجناح بن زلو المخطي - من فقهاء قبيلة جدالة ، رحل الى القيروان ، ودرس على ابي عمران موسى الفاسي وقام بتدريس العلم قرب مدينة اغصات واسس دار للعلم ودار للفتوى وكانت له مناهج ومقدمات المساجدة [ابن الخطيب: اعمال الاعلام - ص 227] .

3- ابن ابي الزرع: زواجر إفريقيا - ص 83

4- الفاسي عاش في قرنت المراكش وتقررت السلالة - ج 2 - ص 572 .

5- ابن الخطيب: المقادير السنية - ص 177

6- ابن ابي الزرع: زواجر إفريقيا - ص 84

7- ابن الخطيب: المقادير السنية - ج 1 - ص 8

7- ابن ابي الزرع: زواجر إفريقيا - ص 84

في بلاد السودان وزيادة اتباعه هناك... (1)

ولم تمض فترة قصيرة على وجوده في منطقة بلاد التكرور حتى اقبل عليه زعماء جدالة ينتمون منه العودة الى ديارهم والاقامة بين ظهرانيهم. وما يهنا من هذا العرض ان ابن ياسين كان له الفضل في نشر الاسلام ببلاد التكرور ومنها الى اانة وبقية المنطقة.

وبعد مقتل ابن ياسين سنة 459هـ/1059م حمل لواء جهاد المرابطين ابو بكر بن عمر حيث واصل كفاحه ضد قبائل برغواطة وفتح بلدانا كثيرة في المغرب الاقصى. (2)

ورغم هذه الانتصارات فانه وجه جهاده نحو الجنوب في بلاد غانة متخليا عن قيادة المرابطين لابن عمه يوسف بن تاشفين الذي استأثر بالسلطة لنفسه (3). فتوجه الى بلاد غانة على رأس جيش جرار وفتح عاصمتها ونصب بها اول ملك مسلم وهو "تكمين" السنوكي وباسلام هذا الملك دخل عدد كبير من سكان العاصمة وغيرها من المدن في الاسلام. (4)

والحق ان الكثير من سكان امبراطورية غانة قد اعتنق الاسلام قبل القرن الخامس الهجري وانه منذ فتح المرابطين لها ازداد عدد الداخلين في الاسلام. (5)

ولم يستمر حكم المرابطين لغانة طويلا فسرعان ما تخلت هذه الاخيرة منهم بعد وفاة ابن بكر بن عمر

480هـ/1087م. (6)

1- الذكري: المغرب - ص 175

2- ابن خلدون: احوال الامم - ص 1

3- ابن ابي ديار: المؤرخ - ص 204

4- حسن علي حسن: اخفاصة الاسلام في المغرب والاندلس - ص 26

5- تاجم قذاح: افريقيا الغربية في ظل الاسلام - ص 30

6- السلاوي: الاستغناء - ج 2 - ص 21

3- دور فقهاء الاباضية في نشر الاسلام :

انتشر المذهب الاباضي في المغرب منذ بداية القرن الثاني للهجرة . وتأسست أول إمارة اباضية بطرابلس سنة 140 هـ / 757 م . ورأسها ابو الخطاب عبد الأعلى بن السمح المعافري . وكانت حدودها تمتد شرقا الى بركة ، وغربا الى القيروان وجنوبا الى فزان . ولم يدم حكمها نفويلا ، فقد تعرضت لحملة عسكرية ارسلها الخليفة العباسي " ابو جعفر المنصور " وقادها " محمد بن الأشعث " سنة 144 هـ / 761 م قتل على اثرها ابو الخطاب مع اثني عشر الفاً من جنوده .(1)

وعقب هذه الهزيمة ، اندحبت الاباضيون في اتجاه المغرب الأوسط ، وكان في مقدمة الفارين للنجاة بنفسه ، عامل ابى الخطاب على القيروان ورفيقه في الدراسة عبد الرحمن بن رستم .

فقد سلك طريق الجريسة الى منطقة تيهرت وبقي هناك ، فقد صده الاباضية من كل مكان ، ولما كثر جمعه اسس مدينة " تيهرت " وبويع اماما للدولة الاباضية الجديدة والتي تسمى بالدولة الرستمية سنة 160 هـ / 777 م .(2) ومن المناطق التي اعلنت ولاء حاله " جبل نفوسة " والذي يعتبر مثل الاباضية ، وبقي فيه عدد كبير من علماء هذا المذهب بعد هزيمة ابى الخطاب .

ربلغ المذهب الاباضي اوج عظلمته العلمية والسياسية بعد ان استطاعت الأسرة الرستمية ان تفرض سلطانها على القبائل في المغرب الأوسط . وثمكنت من ذلك بفضل ما كان يتمتع به أئمتها من مكانة مرموقة ، فقد اعتنوا بالعلوم والفنون وحرصوا على اقامة العدل ، واعتمدوا في سياستهم على منهج الشورى واحترام رأي الأغلبية .(3)

وبحكم موقع الدولة الرستمية ، ونتيجة لكثافة الاتصالات ببلاد السودان كما رأينا ذلك في النسل الخامس الخاص بالتجارة ، انتقل عدد من العلماء والفقهاء الى بلاد السودان وقاموا بنشر الدعوة الاسلامية هناك ، وتناولت اخبارهم واعلمهم كتب السيرة الاباضية حتى ساد المذهب الاباضي في المنطقة خاصة بين القرنين الثاني والرابع الهجريين .(4) ذكر الشماخي في هذا النسخة أن " بلاد السودان بغاية وما يليها كانت تدين بالمذهب الاباضي " حتى تسامعت بهم المخالفون فقتلوا منها من كل " أوب " فردوهم الى مذبحهم .(5)

ومن اشهر العلماء الذين نقلوا الى بلاد السودان وقاموا بنشر الاسلام والمذهب الاباضي :

- (1) - اس الأثير : الكامل في التاريخ - ج 4 - القاهرة - 1949 - ص 287
عبد العزيز - المجلد الرابع - ج 2 - ص 244
- (2) - للتفصيل أكثر عن الدولة الرستمية انظر : - اس النعمان احبار الأئمة الرستميين - ص 46 - التدرج في الفترات - ج 2 - ص 120
الشماخي : السير - ص 193 - أبو زكريا : سيرة الأئمة وأخبارهم - ص 9 - (ممدمة)
- (3) - عبد العزيز سالم : المرجع السابق - ج 2 - ص 244
- (4) - مسعود مرهودي : جبل نفوسة : منفتح على هجرة بني هلال - ص 262
- (5) - الشماخي : السير - ص 273

- الفقيه عبد الحميد الفزاري (عاش بين 250 - 300 هـ) وهو عالم كبير من علماء أهل الدعوة وبالإضافة الى معارفه الدينية وعمله الدعوي ، كانت له تجارة مع بلاد السودان (1)

- أبو نوح سعيد بن خلف المزازي (عاش بين 250 و 300 هـ) اشتهر بكثرة تنقلاته خاصة الى بلاد السودان ، كان ذا سعة في العلم والمال ، رحيب الصدر فيها عند السؤال ، ولا يضجر من المسائل ، كان له اربعون فرسا ، قضى فريضة الحج وسافر الى تادمكت . ويقول عنه الدرجيني (2) : " لعل كثرة ما اقتنى من الخيل لكثرة ما يأمله من الخير من نصرة ومدافعة المعتديين ."

ويستوعب هذا الداعية بغزارة العلم ، وباستقلال النظرة ، ونفاذ البصيرة ، ومراعاة مصلحة الامة ، وذكاء نفاذ الى معرفة العلل الحقيقية الشرعية لأحكام الله . كان متواضعا سهل الخلق طيبا ، درس في مدينة ورجلان ، وأنشأ بها حلقة علم جاءها الطالب من كل مكان ، وعند تنقلاته بين المغرب والسودان كان ينقل معارفه من المذهب الاباضي ، واستقر به المذهب بزويلة (3)

- أبو القاسم الفرستطائي (عاش خلال القرن الرابع الهجري) وهو من العلماء الذين حضروا معركة " مانو " (4) والتي عرف فيها ابا نسيو جبل " نفوسة " هزيمة نكراء ، الحقها بهم القائد الاغليبي ابراهيم بن احمد سنة 283 هـ / 87 م . وقتل في هذه الحادثة التاريخية اثنا عشر الفا من سكان " الجبل " ومن بينهم اربع مائة عالم وفقيه . وحمل ابراهيم معه ثمانين منهم وفر البعض منهم الى الصحراء ومن تم الى بلاد السودان . فكان لهم دور كبير في نشر الاسلام والمذهب الاباضي ومن بينهم ابو القاسم الفرستطائي (5)

- الفقيه علي بن خلف يعتبر من اشتهر علماء الاباضية الذين سافروا الى بلاد السودان ، ونشروا الدعوة الاسلامية هناك . فقد اقام على يد عدد من الملوك في غانة ومالي . والملاحظ ان تاريخ سفره لم يكن متفقا عليه بين المؤرخين (6) يذكر الدرجيني (7) انه سافر الى غانة سنة 575 هـ / 1180 م . وانتهى الى مدينة مالي فأكرمه ملكها ، وكان هذا الملك مشركا ومملكته واسعة ، كسل اخلاصا مشركون ، وبها اثنا عشرة معدنا يستخرج منها النبر . ومع هذا الملك لكثرة عبادته وخافضته على دينه . وحدثت رحلة علي بن خلف سنة قحط شديد ، فطلب منه الملك ان يدعو ربه لاستساق المطر ، فرد عليه " كيف يستجيب لكم وأنتم كافرون " فقال الملك : " علمني اسلام وفرائضه حتى اتبعك . " وبذلك دخل ملك مالي الاسلام مع رعيته .

(1) - الدرجيني : طبقات مشايخ ارب ج 2 - ص 262

(2) - نفسه - ج 2 - ص 262 .

(3) - علي بن علي معصرة : الاباضية في الجزائر - ج 2 - ص 160

(4) - معركة مانو : " حرب موقعة مانو " بين طرابلس وقابس ، أخى فيها ابراهيم بن أحمد الاغليبي سنة 283 هـ . هزيمة ما لا يزيد عن مائة رجل نفوسة ، قتل فيها عدد من علماء ، (ابو زكرياء - السيوطي - ص 105) ابن عداري - البيان - ج 1 - ص 293 . - الدرجيني - الصفحات - ج 1 ص 119

(5) - ابو زكرياء المصدر السابق - ص 104 - 105

(6) - احمد الياس حسن : دور فقهاء الاباضية في اسلام مملكة مالي قبل القرن الثالث عشر هـ - ص 91

(7) - المصدر السابق : ج 1 - ص 14

رغم صحة رواية سفر علي بن يثلف الى بلاد السودان ونشره للإسلام إلا أن تاريخ الرحلة قد يكون قبل القرن السادس الهجري . فالبحري (القرن 5 هـ / 11 م) ذكر أن ملك مالي كان مسلماً (1) وقد يكون الدرجيني يتسمد فقهاء الإباضية الآخرين منهم : يثلف بن يثلف، وشو عالم من جبل نفوسة كان متقناً لمسائل كثيرة، وكان . مختصاً في مسائل المحيط، فما وردت مشكلة في هذا المجال إلا رفعت له (2).

هذه بعض النماذج من فقهاء الإباضية الذين هاجروا الى بلاد السودان وقاموا بنشر الدعوة الإسلامية هناك بين القرنين الثالث والخامس الهجريين. وردت أخبارهم وأعمالهم في كتب السير الإباضية لأبي زكرياء والدرجيني والوسيانسي والشماسي . ويتضح من النصوص والأمثلة التي أوردها أن الدولة الرستمية كان لها دور فعال في نشر الإسلام بفضل العلماء والفقهاء والطلاب الذين تخرجوا من مساجدها ومدارسها فقد كانت تدرس فيها أصول الدين والشريعة والرياضيات والطب والكيمياء . وساهمت مراكزها الثقافية مثل تيهرت وورجلان . ومذن جبل نفوسة (شروس ، جادو ، وأجناون) في بعث الحركة الفكرية ونشر المذهب الإباضي في المغرب وبفضلها انتشر الإسلام في بلاد السودان الأوسط.

(1) المغرب : - ص 178

(2) الشماخي السير - ص 277

- مسعود مرهودي : - جبل نفوسة من الفتح الإسلامي إلى هجرة ابن هلال - ص 262

1- مراكز الشمال:

القاهرة:

تقع القاهرة على ضفة النيل في الجزء الشمالي من مصر بناها القائد الفاطمي جوهر الصقلي سنة 359هـ بعد هزيمة الجيش الاخشيدي (1). انتقل اليها الخليفة الفاطمي المعز لدين الله بعد حوالي اربع سنوات من فتحها وذلك في سبعة من رمضان 362هـ/يونيو 973م (2) وحولها الى عاصمة جديدة للدولة الفاطمية وحمل معه توابيت ابيه الذين تولوا الخلافة له وهذا دلالة على عزمه من نقل الخلافة لمصر.

ومنذ ذلك الوقت تحولت القاهرة الى مركز ثقافي يشع منه الثقافة العربية الاسلامية نحو البلدان المجاورة خاصة بلاد السودان، فمنها وسيل الاسلام الى دارفور وكردفان ومملكة كانم وبلاد افوسا. (3)

ومن اشهر معالمها الثقافية جامع الازهر الذي اسسه جوهر الصقلي سنة 359هـ فكان يدرس فيه المذهب الشيعي في عهد المعز، ومن اشهر ادرسيه يعقوب بن مهلي الذي عمل على عقد حلقات لشرح المذهب ابتداء من سنة 361هـ/972م فوفد اليه المركز طلبة من كل صوب ومن الطبيعي ان ينال السودان مزيدا من الفكر الذي ينشره الازهر لقربه من مصر.

وفي سنة 988م اشار الوزير يعقوب بن كلس على الفاطمي العزيز ان يعلم على حسابه خمسة وثلاثين طالبا في الجامع الازهر وان يتكلف هو بنفقات معيشتهم وبهذا الشأن يكون قد اقام اقدم جامعة في العالم. (4) وبعد سقوط الفاطميين واتاه الحكم الايوبي وفي عهد السالحي نجم الدين ايوب (637-647هـ/1240-1249م) توطدت العلاقات الثقافية بين مصر ومملكة كانم. فكان جميع المسلمين من اهل برنو والتادريس على اداء فريضة الحج يبرون بمصر، وخلال رحلاتهم كانوا يقيمون هناك. ولذا بنوا مدرسة عرفت بمدرسة ابن رشيق لتدريس المذهب المالكي لاهل السودان وهو المذهب السائد في مصر في العهد الايوبي. يذكر القلتشندي (5) ان اهل كانم بنوا مدرسة للمالكية فانسطاط ينزل بها وفودهم. وتعرض لنا المقريزي (6) ان مدرسة ابن رشيق بخط حمام الريش من مدينة مصر كان الكانم من طوائف التكرور في سنة بضع واربعين وستمائة قاسدين المسح دفعوا للقاضي علم الدين ابن رشيق مالا بناها به، ودرس بها فعرفت به وصار لها في بلاد التكرور سمعة عظيمة فكانوا يبعثون اليها في غالب السنين بالمال. ومن الملاحظ ان هذه المدرسة بنيت في اواخر العهد الايوبي ويتزامن ذلك مع حكم دوثة ديبالمج. توفي حوالي 657هـ/1259م. (7)

ان هذا العرض يبين لنا دور ادينة القاهرة كمركز ثقافي في نشر الاسلام ببلاد السودان.

- 1- المقريزي: انعام اخما - ص 158.
- 2- نفسه - ص 251.
- 3- انظر فصل التجارة.
- 4- المقريزي: اختلط - ج 2 - ص 181.
- 5- مسج الاعشى - ص 281.
- 6- المصدر السابق ج 2 - ص 365.
- 7- طرحان: ملكة برنو الاسلامية - ص 73.

لقد تكاثرت أعداد الطلبة السودانيين في الأزهر حتى أنشئ لهم رواق خاص يسمى رواق غانة عنيت به مشيخة الأزهر وأوقف عليه الناس الأوقاف الواسعة، وكان ملوك غانة ومالي وصنغاي الذين ذهبوا للحج يشترون في مصر الأراضي والضياع والدور ويوقفونها على رواق غانة، وكانت مشيخة الأزهر تختار شيخاً أزهرياً للرواق وتحرص أن يكون ذلك الشيخ غانياً، لأن الكثيرين من طلاب غانة كانوا يستقرون في مصر ويصبحون من أهلها، أما العائدون منهم إلى بلادهم فكانوا يستقدمون الفقهاء ليقيموا العدل والشرعية ويعلموا الناس القرآن والسنة النبوية الشريفة فنشأت الكتاتيب في كل مكان في السودان الأوسط والغربي. وأصبحت المراكز الثقافية الموجودة بهذه المناطق لها صلة بالأزهر منها مدينة تنبكتو. فكثيراً ما رحل علماؤها إليه للاستزادة من العلم وللمقابلة العلماء. وكانت لهم صلات بإمام مصر جلال الدين السيوطي (2). وكذا كانت القاهرة مركز إشعاع ثقافي على بلاد السودان.

1- حسين مؤنس: الإسلام الفاتح-ص131

2- أحمد شلبي: الموسوعة-ص179

مراكز "جبل نفوسة" :

يقع جبل نفوسة بالمناطق المحيطة بطرابلس، ويتسم جغرافيا إلى منطقتين: ناحية شرقية وعاصمتها مدينة "جادو"، وناحية غربية وعاصمتها "شروس" (1). وتمتد من الشمال إلى الجنوب على ثلاثة أيام. اشتهر بأنه معقل للإباضية منذ عهد علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - وقت انصراف الخوارج عنه. من سلم من أهل "نهر روان"، يتميز بتياحه الجارية، وبأشجار الناكهة من الكروم والتين، ويزرع فيه الشعير. ومن أشهر مدنه "شروس وجادو" (2) وهي المدن التي تحولت في عهد الدولة الرستمية، وحتى بعد سقوطها إلى مراكز إشعاع علمي وثقافي، وقد فتح جبل نفوسة بعد دخول المسلمين إلى مصر، ففي سنة 23 هـ. بعث عمرو بن العاص أثناء حصار طرابلس قائده "بسر بن أوطاة" إلى ودان، فافتتحها، وهذا بهدف تجنب مقاومة أهل نفوسة، ونجدة أهل مدينة طرابلس (3). وكان يمثل الأقليم الشرقي للدولة الرستمية، وتميز بالنشاط الفكري وكثرة علماء الإباضية الذين استقروا به خاصة أثناء سقوط مدينة طرابلس وفشل ثورة "حاتم الملوزي الإباضي" على يد الجيش العباسي بقيادة يزيد بن حاتم سنة 155 هـ (4). وحصل الجبل على استقلاله عن الدولة الرستمية بعد ثورة قام بها "ابن السمح بن أبي الخطاب" سنة 196 هـ، ولكن الامام الرستمي "عبد الوهاب" عزله وولى مكانه "يوسف بن العباس" (5). وقام خلف بثورة باخرى بعد تولي "أبي عبيدة عبد الحميد الجناوني" ولكنه انهزم من جديد بعد معارك دامية سنة 221 هـ (6).

وألحق الجبل بالدولة الأغلبية بعد هزيمة الإباضيين في معركة "مانسو" التي الحقها به "إبراهيم بن أحمد الأغلب"، سنة 283 هـ / 885 م. (7)

وتكونت دولة إباضية بالجبل سنة 296 هـ / 908 م أسسها أبو زكريا يحيى الأرجاني، ولكن هذه الدولة لم تستمر طويلا ودامت خمس عشرة سنة، واقتحمها العبيديون سنة 311 هـ. (8)

كان جبل نفوسة عبر تاريخه الاسلامي متقلقة إشعاع علمي يسافر إليها الطلبة من كل مكان لتحصيل العلم، وكانت الحلقات الدراسية تدار بها باستمرار، واشتهرت مدن شروس وجادو وأجناون بمكانتها العلمية في الاقليم، وكانت مدن الإقليم مراكز تجارية تنطلق منها القوافل التجارية إلى بلد السودان. نلقد ذكر

(1) - تحمل الناحية الغربية اسم "مناجح تونس" في لغة البربر الأعلى أو الإرتفاع، والمعلقة بها أعلى ارتفاع بأحد 700 م [إبراهيم فحار: تجارة القوافل في العصور الوسطى - معهد البحوث والدراسات العربية - بغداد - 1404 هـ / 1984 م - ص 147]

(2) - ابن حوقل: صورة الأرض ص 92 - 93.

(3) - باقر أحمدوي: معجم البلدان - ج 5 - ص 296 - 297.

(4) - ابن عبد الحكم: فتوح مصر والمغرب ص 38.

(5) - أبو زكريا: السير - ص 10.

(6) - الأزهري: الأزهري الرابعة - ص 52.

(7) - نفسه - ص 152.

(8) - محمد علي دسوز: تاريخ المغرب القديم - ص 182 (1) - ابن عداري: البيان - ج 1 - ص 330.

- الدرجيني: طبقات مشايخ المغرب - ص 152.

(8) - الشماحي: السير - ص 267 - 69.

الشماسي(1) أن مدينة شروس كانت آخر المحطات للتوافل التي تسبل من بلد السودان، وأورد البكري(2) حديثه عن جادو وقال عنها ، أنها مدينة غنيمة تحتوي على أسواق وجمالية كبيرة من اليهود وأن التوافل التي تنطلق في اتجاه " زوبلة " و " فزاد " تمر عبر هذه المدينة ، وكان سكانها يتكلمون إلى جانب اللغة العربية والبربرية " الكاثمية. وهذا يدل على وجود جاليات سودانية تسكن مدينة جادو والمناطق المحيطة بها، منها مدينة " أجناون " ، كما يبرهن على العلاقات الودية التي كانت قائمة.

(3) السج - ص 243 - 244.

(4) العرب - ص 10.

تعتبر أقدم مدينة إسلامية في بلاد المغرب ، أسسها "عقبة بن نافع" ، واختارها ، أن تكون دارالإمامة سنة 50 هـ / 670 م (1) ، و اختار لها مكانا بعيدا عن البحر حتى لا تطرقها مراكب الروم ، و بناها في اجمة عظيمة و فيضة تشابك اشجارها. و تقع هذه الأجمة في موقع وسط بالنسبة للبلاد ، و في هذا المكان اختط عقبة دارا للإمامة و اختط الناس حوله. (2)

وعمرت القيروان بمختلف أنواع الأبنية والمنشآت، وشد الناس إليها الرحال و انتهموها من كل مكان. واتسعت بالأسواق والمرافق، ودايت حركة البناء نحو خمس سنوات، فاكتملت عمارتها في سنة 55 هـ (3). وأصبحت القيروان حاضرة المغرب الإسلامي في عصر الخلافة الأموية حتى القرن الثاني للهجرة ، وكانت معقل الإسلام ، وفد إليها كثير من السجاسة ، وأقاموا بها يفتقون الناس في شؤون دينهم كما دفن كثيرون ممن استشهد منهم ، ولم تعد القيروان مركزا عسكريا يخرج منه الغزاة الفاتحون فحسب، بل أصبحت مركزا ثقافيا يخرج منه الفقهاء والمعلمون لينشروا في البلاد يعلمون اللغة العربية، وينشرون الإسلام. (4)

وازدادت أهمية القيروان في عهد الأغالة ، فعنوا بمساجدها ، وأنشأوا بها حلقات التدريس، كما أنشأوا مدارس جامعة اطلقوا عليها اسم " دور الحكمة " (5) فكان هذا عاملا في نشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية .

وخلال القرن الخامس الهجري ، وسنها الإدريسي (6) بانها أم الأفسار وقاعدة أفطار. وكانت أعظم مدن الغرب قطرا وأكثرها بشرا وأكثرها جباية، وأنفعها سلعة ، وأنماها ربحا وأجهرهم عسيانا. وتبوات القيروان مكانة علمية وروحية ، ولعبت دورا في نشر الدعوة الإسلامية لكثرة علمائها ، وفي سنة 99 هـ - 717 م ، أرسل عمر بن عبد العزيز عشرة تابعين ، يفتقون أهل افريقيا ، وقد تعرضت هؤلاء العلماء في العنصر الخامس بدور علماء المالكية. (7) وكان هؤلاء التابعين الفضل في نشر الاسلام بالمغرب . وكان ذلك له تأثير في انتشار الإسلام واللغة العربية حتى بالسحراء ومن ثم بلاد السودان .

(1) - المالكي : رياض النور - ج 1 - ص 26.

(2) - باقوت الحموي : معجم البلدان - ج 1 - ص 194

(3) - ابن الأثير : الكامل في التاريخ - ج 2 - ص 234

(4) - المصدر السابق - ج 1 - ص 70

- حسن موسى : فتح العرب للمغرب - ص 130 - 111

- مسلم : تاريخ المغرب الكبير - ج 2 - ص 171

(5) - حسن احمد محمود : الاسلام والثقافة العربية في افريقية - ص 167 -

(6) - نزهة المشتاق - ص 185.

(7) - احمد بن محمد القيرواني : طبقات علماء افريقيا وتونس - ص 20

وظلت القيروان مفتوحة للطلاب والعلماء خاصة الذين قاموا بنشر الدعوة الإسلامية ببلاد السودان، نذكر منهم : أبو عبد الله محمد بن بكر (عاش خلال القرن الخامس الهجري) وأبنا محمد ماكس بن الخير ، وأبو محمد اللواتي (1) واستقبلت القيروان أعدادا كبيرة من أهل السودان، فبعد أن تلقوا العلم من أساتذتها رحلوا إلى بلدانهم ، وقاموا هناك بنشر الدعوة الإسلامية منهم عبد الله بن ياسين. (2)

ومما يدل على أهمية القيروان بالنسبة إلى أهل السودان هو أن يحيى بن إبراهيم ، زعيم قبيلة جدالة ، ومؤسس دولة المرابطين ، عند عودته من الحج ، قابل علماء المدينة وتلقى منهم العلم والمعرفة ، خاصة في المجال الفقهي. (3) ورأى بأن هناك فرقا بين حياة العلم والمعرفة التي يعيشها سكان القيروان ، والجهل المتفشي بين قومه في الصحراء. (4)

ولذلك طلب من أحد علمائها وهو أبو عمران الفاسي أن يبعث معه من الفقهاء من يقوم بتعليم مبادئ الشريعة الإسلامية، وتبصير أفراد قبيلته بأحكام الإسلام. (5) ورأى أبو عمران موسى الفاسي أن يحيله إلى تلميذه فتيه السوس، واسمه وحاج بن زلو اللمطي ، فاختار له رجلا ماسيا لهذه المهمة وهو عبد الله بن ياسين الذي قام بدور كبير لإنشاء دولة المرابطين. (6) وقد تعرضت لهذا الموضوع في الفصل الخاص بالتبائل البربرية ودور قبيلة لمتمنة، ومنها عبد الله بن ياسين. (7)

وهكذا يكون قد انبعث من القيروان شعاع العلم إلى الجنوب خاصة ببلاد السودان، ولتأكيد هذا الدور كان أهل السودان يفتخرونهم في بعض قضاياهم . ذكر المالكي أن عبد الله بن زرارمة بن عبد الله كان جالسا عند الإمام مالك ، فجاءه رجل فقال: يا أبا عبد الله إن لي أبا ببلاد السودان ، ولي أمم أنا معها ، فأبى يكذب إلي بالنهوض إليه ، وأمي تنهاني عن الخروج إليه. (8)

إن هذه الرواية تكشف لنا عن سلة أهل السودان بعلماء القيروان ، والدور الكبير الذي قامت به هذه المدينة في نشر العلم والمعرفة ومبادئ الإسلام في البلدان المجاورة لها.

(1) - علي يحيى معمر : الاباضية في الجزائر - ص 169 - 185 - 201. - انظر ورحلان في البحث - ص 406

(2) - احمد شابي : مرسوعة التاريخ الاسلامي - ج 6 ص 171

(3) - حسن احمد محمود: الاسلام والثقافة العربية في افريقيا ص 177

(4) - باقوت الحموي : معجم البلدان - ج 6 ص 231

(5) - ابن أبي دینار : المونس - ص 101 - 102 .

(6) - ابن خلدون: العبر - ج 6 - ص 374 -

- لسان الدين بن الخطيب: مال الاعلام - ص 227

(7) - انظر الفصل الرابع من البحث ، عنصر : قبيلة لمتمنة

(8) - المالكي: ربايش النفوس - ج 1 - ص 197

ومن المعلم الثقافية والدينية التي كان لها دور في نشر الثقافة الإسلامية، جامع القيروان. فهو يعتبر من أقدم المساجد في المغرب الإسلامي، أختطه عقبة بن نافع سنة ٥50هـ، وشهد عدة توسيعات خاصة في عهد الأغالبة إبان حكم إبراهيم أحمد بن محمد سنة 862/٥245م. (1) وتحولت القيروان بفضلها إلى قبلة الحضارة وكنيسة الإسلام، وفد لها كثير من الصحابة والفقهاء والمحدثين والمتطوعين والعابدين والنسك والزاهدين كما يذكر ذلك المالكي (2)، وأقاموا يفتحون الناس في شؤون دينهم كما ذكرت ذلك سابقا. وفي عهد الأغالبة توسعت حلقات التدريس به.، كما أنشأوا مدارس جامعة أطلقوا عليها دور الحكمة واستفدوا الأساتذة من الشرق، فكانت هذه المدارس عاملا هاما في رفع شأن اللغة العربية والثقافة الإسلامية (3). وأصبحت القيروان بذلك أول مركز ثقافي إسلامي بإفريقية.

(١) - المالكي: رياض النفوس - ص 97.

١- أحمد شلي: المرسعة - ص 171

2- المالكي: الطهارة السليقة - ص 37

3- حسن أحمد عمود: الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا - ص 168.

في اسم لمدينتين احدهما على رهوة يحيط بها سور، أسس قبل الإسلام، وافتتحها القائد عقبة بن نافع ، وكانت موجودة منذ العهد الراسي، وانتعشت قليلا ايام الرستميين وخربت بعدهم. (1) والثانية تيهـرت الحديثة . أسسها عبد الرحمن بن رستم سنة 144هـ / 761م غربي القديمة على بعد خمسة اميال منها. (2) وسكانها من مراسنة وصنهاجة واختار الرستميون موقعها لكونه يقع بين قبائل اباضية وأرض مملوكة لقوم مستضعفين. كما تشرف على الصحراء اذ كان أغلب القوم رحلا. ففي الصحراء يجدون حاجة بساكنهم، ويجعلهم ان صلة دائمة باخوانهم الإباضيين بطرابلس وجبل نفوسة، فاختطروا بهذه المدينة المنازل والقصور، وأجروا لها المياه، فعمرت واتسعت خطتها حتى ذاع سيتها في الآفاق، وأصبحت مدينة يأتيها الناس من كل مكان. قال الإدريسي (3): "وبها مياه متدفقة وعيون جارئة تدخل اكثر ديارهم يتسرفون فيها".

أصبح عمران تيهـرت وعند أئمتها حديث الرفاق ، فأمرها الناس من كل ناحية. وأتتهم الوفود والرفاق من كل الأمصار قاصي الأقطار، فتلما ينزل بهم واحد من الغرباء الا استوطن معهم. ومن شواهد توسع عمرانها يذكر ابن السكيت (5) أن لها قصورا مشيدة، ودورا منلعة، وأبنية مبهجة، وقبابا مرتفعة، وأسواقا مزدحمة، ومساجدا، متعددة منارات عالية، وحمامات متقنة، ويحيط بالعاصمة بساتين متنوعة ومطاحن متسببة على الأنهار الجارية....

وأصبحت تيهـرت مركزا للهجرات ومتقصد الرحلان، خاصة بعد أن شاع عند أئمتها وحسن سيرتهم ودخلها كل من تعرض للملاحقة لثناء بني العباس واستبدادهم (6). وساحم هؤلاء المهاجرون في بناء المدينة ونوسيعها. حتى "لا نرى دارا حتى قبل هذه لفلان الكوفي، وهذه لفلان البصري، وهذه لفلان القروي" (7) والمهم في بحثنا هو أن تيهـرت اكتسبت مكانة علمية مرموقة، كان لها تأثير في انتشار الإسلام والثقافة العربية الإسلامية في المناطق المجاورة لها، منها السودان الأوسط. ومن العوامل التي أدت إلى ازدهار العلوم والثقافة بها هم اهتمام أئمتها بالعلم وتشجيع الناس على طلبه. كانوا يقيمون الحلقات العلمية في المساجد ويحضرها تاروس الطلبة من كل حادب وصوب، ومن مختلف المذاهب والنحل، وخاصة أنهم كانوا متساخنين مختلف الآراء. (8)

(1) - باقوت الحموي: معجم البلدان - مادة تيهـرت - ص 8، محمد علي دوير: تاريخ المغرب الكبير - ج 1 ص 256.

(2) - البكري: المغرب الكبير - ص 67.

(3) - زهرة الشاف - ص 157.

(4) - ابن الكلبي: سيرة الأئمة الرستميين - ص 44.

(5) - نفسه - ص 44.

(6) - عبد العزيز سالم: المغرب الكبير - ج 2 ص 543.

(7) - محمد علي دوير: المرجع السابق - ج 1 - ص 392.

(8) - الباروني: الأزهار الرباضية - ج 2 ص 100 - مسعود مرهودي: جبل نفوسة من المنح الإسلامي ان هجره بني هلال - ص 261.

كان عبد الرحمن بن رستم من كبار العلماء في عصره (1). فكان بارعا في علوم الدين واللغة والفلك. وكان محبا للعلم فأقبل على التأليف على قلة ما كان يجده من الوقت، فصنف كتابا في التفسير لم ينسل إلينا (2). قال عنه الباروني (3): "كان رحمه الله مشهورا بالعلم، معدودا من فحول العلماء الراشخين، له تفسير جليل القدر، تكلم عليه المؤرخون ولا وجود له الآن، وله ديوان غريب نسفة".

وتولى بعده ابنه عبد الوهم ب (171 - 211 هـ 787 - 826 م) وكان محبا للعلم. نشطت الحركة الفكرية في عهده بمدينة تيهرت (4) كان يأنى دروس العلم على الطلبة من الشباب خاصة لما سكن جبل نفوسة لمدة سبع سنوات؛ وتلقى العلم في نفس الوقت من علماء الجبل.

وقد اتسعت في عهده مجالات العلم وأنها الفقه والعلماء والأدباء من نفوسة وغيرها. وكان عبد الوهاب يبعث الأموال إلى العراق لشراء الكتب، ولا يمل قراءتها في الشتاء أو الصيف. ويذكر الشماخي أنه أرسل ألف دينار إلى إخوانه لشراء الكتب، ولما وصلهم المال اشتروا به ورقا (5) ونسخوا له كتباً مقدار أربعين جملاً وأرسلوها إليه، فلما وصلت عكف على قراءتها حتى ختمها. وكان له كتاب سماه "نوازل نفوسة" وهو مجموعة من الفتاوى الشرعية كان علماء نفوسة يستفتونه فيها (6).

ونظرا لاهتمام الإمام عبد الوهاب بالعلم، منع ابنه أفطح السفر إلى "كوكو" أو "غاو" ببلاد السودان من أجل التجارة، عندما عجز عن الإجابة عن مسألة من مسائل الرضا (7).

وكان الإمام أفطح بن عبد الوهاب (211 - 278 هـ / 826 - 871 م) عالما في الحساب والفلك. كما كان أديبا شاعرا، ينظم الشعر، وكان بارعا في الفقه وأصوله وتولى التدريس في مساجد تهمت (8).

واستمر أئمة تيهرت في الإهتمام بالعلم وتشجيع الناس عليه من بعد أفطح بن عبد الوهاب، ومنهم الإمام الخامس للدولة الرستمية وهو أبو اليتفان محمد بن الأفطح الذي عرف في إصلاح أمور الدولة واجتهاده في مجال الفقه، ومباشره الدروس وتعليم العلوم للطالين بنفسه نظبا للأجر وقيامه بالتواجب وترغيبا للغير (9).

(1) - خير معمر - الأباضية في الجزائر - ج 1 ص 67

(2) - الشماخي: السير - ص 193.

- محمد علي دبور - تاريخ المغرب الكبر - ج 5 - ص 312.

(3) - المرجع السابق - ج 2 - ص 218.

(4) - ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين - ص 45-46.

(5) - الشماخي: السير - ص 162.

(6) - مبرهودي - جبل نفوسة من الفتح الإسلامي إلى هجرة بني هلال - ص 261

(7) - ابن الصغير: المصدر السابق - ص 45 - 46.

- الباروني: الأزهار الرباطية - ص 8

(8) - الدرجيني: طبقات مشايخ المغرب - ج 3 ص 320

(9) - الشماخي: المصدر السابق - ص 16.

(10) - الباروني: المرجع السابق - ص 76

- معمر: الأباضية في الجزائر - ص 76

لقد أصبحت مدينة تيهرة في عهد الرستميين مركزاً ثقافياً يشع بعلمه على كل المنطقة المحيطة بها منها السودان الأوسط . ولم تشتهر فقط بجلالاتها العلمية في المساجد التي كان يأتيها الطلبة من كل مكان بل كذلك بعلمائها منهم ابن أبي إدريس وأبو العباس فتحون، وعثمان بن السفار، وأحمد بن منصور، وأبو عبيدة الأعرج (1) وعرفت كذلك بمكتبتها " المعصومة " التي كانت تضم نحو ثلاثمائة ألف مجلد في مختلف أنواع العلوم والفنون . وقد خربت هذه المكتبة على يد الفاطميين، بعد أن أخذوا منها ما احتسبوا به من كتب الرياضيات والفلك والهندسة والطب (2).

إن صلة الدولة الرستمية بلاد السودان عن طريق التجارة، والعلاقات السياسية الودية التي كانت قائمة مع بعض ملوك هذه المنطقة، ساعدت انتشار الدعوة الإسلامية، وسهل عمل الدعاة. وتعرضت في الفصل الخاص بالتجارة إلى عزم الملك أفلح للذهاب إلى " غار " لولا اعتراض ابنه عبد الوهاب بسبب عدم حل أحد المسائل الخمسة بالربا (3) وكما أرسل هدية للملك " كوكو " تعبر عن حسن العلاقات السياسية (4).

وما نستخلصه أن مدينة تيهرة كمركز ثقافي، قد أثرت على بلاد السودان، بحكم موقعها وقربها من بلاد السودان بالنسبة للمدنيين المغاربة الآخرين، وكذلك لاهتمام أئمتها بجمع العلم والثقافة. وساعدتها العلاقات الجيدة مع أهل السودان من تنقل التجار والعلماء ونشر الدعوة الإسلامية. والملاحظ أن معظم علماء الدولة الرستمية الذين سافروا إلى بلاد السودان كانوا من جبل نفوسة، ووردت أسماءهم في كتب السير والطبقات، وذكرت البعض منهم في البحث (5) فمنهم العالم عبد الحميد الفزائسي، وأبو القاسم القرطباتي، ويخلف بن سعيد، وساتعرض لهم في العنصر الخاص بجبل نفوسة...

ربين بلاد السودان والجبل (6) ورأينا في بعض الأحيان تنقل عدد كبير من التجار إلى بلاد السودان وقيامه بنشر الدعوة الإسلامية. نحاول في هذا الفصل أن نركز على الحركة الفكرية في جبل " نفوسة " وأثر ذلك على بلاد السودان.

لقد اشتهر جبل " نفوسة " بكثرة علمائه وفقهائه وتناولهم لمختلف المسائل . كما عرف بكثرة الحلقات العلمية التي تدار في المساجد، وتنقل عدد كبير من الطلبة إليها لتعلم الفقه، والعلوم الشرعية، واللغة العربية. وآراء الفرق والمذاهب الأخرى (7).

(1) - سالم عبد العزيز تاريخ المغرب الكبير - ج 2 - ص 575 - 576

- محمد دبور: تاريخ المغرب الكبير - ج 3 - ص 392 - 393

(2) - ابن السعير: أخبار أئمة الرستميين - ص 16 - 27

(3) - الدرر السني: الطبقات - ج 3 - ص 321

(4) - انظر الفصل الخامس بالتجارة فيها تفصيلات أكثر - ص 113

(5) - انظر عنصر (دور فقهاء الأمازيغ) من هذا الفصل - ص 142

(6) - ارجع إلى الفصل الخامس الخاص بالتجارة - ص 90

(7) - مزهودي: جبل نفوسة من الدين الإسلامي إلى هجرة بني هلال - ص 261

إن هذه المكانة العلمية للأجل، جعلت الدولة الرسمية يترددون عليه من أجل التحصيل العلمي، فتقدم مكث الإمام عبد الوهاب بن عبد الرحمن (168 - 188 هـ/ 784 - 803 م) بالجليل مدة سبع سنوات، بعد تقدم استطاعته الذهاب إلى الحج خوفاً من العباسيين، فالتقى بكبار العلماء وألقى الدروس (1) ومن أشهر العلماء الذين تنقلوا إلى بلاد السودان، قاموا بنشر الدعوة الإسلامية : أبو يونس استقر به جربة وكان مثقفاً لمسائل الحيف (2) وأبو القاسم وهو من العلماء الذين نجوا من معركة مانو (3) (عاش من 250 - 300 هـ). هذه بعض الشواهد التي تدل على المكانة العامة للجليل " نفوسه " في عهد الدولة الرسمية، ودور هذا المركز الثقافي في نشر الإسلام والثقافة العربية الإسلامية ببلاد السودان، كان ذلك على المذهب الإباضي.

(1) - الباروني: الأزهار الرياضية - ص 84

(2) - النماحي: المسير - ص 177

(3) - المصدر نفسه - ص 235

ورجلان:

من واحات الصحراء الواسعة، دخلها الإسلام منذ القرن الثاني للهجرة / الثامن الميلادي اكتسبت مكانة اقتصادية وثقافية في عهد الدولة الرستمية. فأصبحت من أكبر قواعدها التجارية، بها طنقة كبيرة من التجار الأغنياء كانوا على اتصال دائم ببلاد السودان (1). وتحولت مع واحة "سدراتة" إلى مركز إشعاع ثقافي وحضاري، تنبعث منها الثقافة العربية الإسلامية للمناطق المجاورة، منها بلد السودان.

وكانت بها في هذا العهد المدارس وحلقات العلم، ونبغ فيها علماء وفقهاء، كانت لهم مؤلفات في جميع العلوم. وانتشر التعليم بها، فكان يهوار كل مسجد كبير أو صغير مدرسة للتفكير وحلقات علم للكبار. (2)

وأصبحت معقل الإباضية منذ سقوط الدولة الرستمية، فقد فر إليها آخر أئمة هذه الدولة، وهو الإمام "أبو يوسف يعقوب" بعد استيلاء الجيش الفاطمي على تيهرت سنة 296 هـ / 905 م (3). كما قصدوا كثير من علماء الإباضية هرباً من بطش الفاطميين، جاءوا من مختلف المناطق منها جبل نفوسة "وبلاد الجريد".

وقد أوردت لنا المصادر الإباضية مجموعة من العلماء، عاشوا بمدينة ورجلان، أو أقاموا بها لمدة قصيرة، وحضروا حلقات العلم، خاصة خلال القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي، وكانوا على اتصال ببلاد السودان منهم:

- أبو يعقوب يوسف بن المومس السدراتي: عاش خلال القرن الرابع الهجري، أخذ العلم عن الأئمة في تيهرت وارتحل إلى ورجلان وفيها استقر وطاب له المقام، وكان كثير الأسفار، درس عليه عدد لا يحصى من المتعلمين، وتخرج من يده عدد من فطاحل العلماء أشهرهم العلامة أبو صالح حيون بن يبركان. (4)

- أبو صالح حيون بن يبركان: من علماء القرن الرابع الهجري، كان رجلاً عالماً غزير المال، كريماً بالغ الكرم، واسع العلم والمال، حسن الخلق، كان مقبلاً للناس، يأثرونه من كل جانب، ومن الشخصيات التي قصدته، أبو نوح سعيد وعمر عالم إباضي هرب من بطش الفاطميين له، وكان أبو صالح يستقبل الناس ويقدم لهم خدماته ويتولاهم بإراءات ويوجههم بتعليماته. (5)

(1) - انظر الفصل الخامس من البحث، عن المراكز التجارية، ص 106.

(2) - مسعود مرهودي: جبل نفوسة - المدخل الإسلامي إلى صحراء شمال - ص 297.

(3) - الشماخي: البير - ص 141.

- علي بن يحيى معمر: الإباضية في الجزائر - ص 142.

(4) - الشماخي: المصدر نفسه - ص 14.

(5) - علي بن يحيى معمر: المرجع السابق - ص 142.

- أبو نوح سعيد بن مخلد : من علماء القرن الرابع الهجري ، كان ذك سعة في العلم والمال ، رغب الصدر ، لا يفتخر من المسائل ، ولا يعبأ من إجابة المسائل ، وكان صاحب إبل وغنم وعيل ، وشو في نفس الوقت من أئذاذ العلماء ، فهو يجمع بين سعة المال وسعة العلم . (1)

- أبو عبد الله بن بكر (435 هـ - 440 هـ / 1033 - 1048 م) أحله من فرسطاء وهي قرية صغيرة في جبل " نفوسة " درس في مشايخ المنطقة حتى بلغ درجة كبيرة من العلم ، سافر إلى جربة والشروان ، والتقى بهما الإباضية ، ولما رجع إلى جبل " نفوسة " بنى مسجداً وصل إلى ورجلان واستقر بها . وفي سنة 409 هـ / 1018 تم فيها صياغة نكسالم العزابة . كان شديد الإهتمام با لتربية العلمية للطلبة ، وشو يدرسهم على القيام بمهام الأمور ، وعندما يتخرج الطلبة من معنده يعزمون على الرجوع إلى بلدتهم فيوصيهم الوصايا الكثيرة . وقد يكون من هؤلاء الطلبة من جاء من بلد السودان . (2)

- أبو محمد ماكسن بن أكير : (عاش خلال القرن الخامس الهجري) وشو أصلاً من تونس . أصابه العمى في السابعة من عمره ، درس في مدرسة بالجريد ، وارتحل إلى ورجلان ، وكانت في ذلك الحين في أيام عزها وازدهارها . فرحب به أهلها ورفعوه في مقام كريم ، ولقي حفاوة من رجال العلم وإقبالاً من الطلبة وإكراماً من جميع الناس . ومنها ذهب إلى الحج وقد علا شأنه في المدينة . تميز بمحاربة البدع ، ومحاربة الجهل ، وكان يشارك في حل كثير من المسائل ويعتد على الحجة والاقناع . (1)

- أبو محمد اللواتي (من علماء القرن الخامس الهجري) عاش في البادية ، ولم تتوفر له الشروط للدراسة ، عرف عنه بأنه جمع عدداً من الكتب القيمة أرسلها مع قافلة ذاهبة إلى ورجلان ولكن القافلة تعرضت لاعتداء في الطريق ، مما أدى إلى ضياع أموالها ومعها الكتب ، وضاع بذلك مجهود هذا العلم لإثراء الفكر في مدينة ورجلان .

هذه مجموعة من العلماء الذين أقاموا بوارجلان ، وكان وجودهم بالمدينة له أثر في انتشار الفكر والثقافة العربية الإسلامية ، فأصبحت بذلك مأوى لكثير من الطلبة ، يأتيون من جميع المناطق ، وقد انتقل بعض هؤلاء العلماء إلى بلد السودان ، وقاموا بنشر الدعوة الإسلامية .

(1) - الدرجيني: طبقات مشايخ المغرب - ج 2 ص 367

(2) - علي بن محمد: الإباضية في الجزائر - ص 161 - 162

(3) - نفسه - ج 2 - ص 201

فاس:

بنيت مدينة فاس في عهد إدريس بن عبد الله سنة 172 هـ على الضفة اليمنى لوادي فاس في موقع يحمل اسم جرارة واحاطها بسور فتح في جوانبه ابواب (1). ثم جاء بعده ابنه إدريس الثاني فاراد بناء مدينة له فاختار مكانا على الضفة اليسرى لوادي فاس في الموضع المعروف باسم "دار القيطون" وكان ذلك سنة 192 هـ/809م فبنى حولها سورا بابوا ، كما بنى مسجد الشرفاء ولذلك كانت فاس تتشكل من مدينتين احدهما بناها إدريس الأول وعرف بـ: عدوة الأندلسيين والآخرى بنيت بعده وعرفت بـ: عدوة القرويين. (2) وقد شهدت عدوة القرويين نموا كبيرا ، سكنها العرب الوافدين من القيروان ورجال الحاسة وأسسوا بها الدور والمساجد والخوانيت. (3) أما عدوة الأندلسيين فقد سكنها جماعة من الأندلس فروا من الحكم الرضي بقرطبة ، فأنزلهم إدريس في مدينة فاس ، وتحولت بفعلها من قرية إلى مدينة . وشهدت مدينة فاس عدة تقلبات تاريخية ، فبعد أن كانت عاصمة الأدارسة ، تحولت إلى حكم الفاطميين في القرن الرابع الهجري (349 هـ) ، ثم الزييريين ، (382 هـ) ثم المرابطيين. (4) وشهدت مدينة فاس تحولات عمرانية في عهد المرابطيين ، فلما دخلها يوسف بن تاشفين أمر بهدم الأسوار التي كانت تفصل بين عدوة القرويين والأندلس ، وجعلها مدينة واحدة ، وحصنها ، وأمر ببناء المساجد في شوارع فاس وأزقتها ، ما أمر ببناء الحمامات والفنادق والأرحاء والأسواق. (5) وازدهرت فاس ، وأصبحت بعد ذلك مدينة كبيرة المباني السامية ، والدور والقصور ، تكثر بها العيون الجارية ، والمدايق المليحة ، وكانت مقصدا للقوافل التجارية ، يجلب إليها سلع مختلفة من الثياب والبضائع والأمتعة الخشنة. (6) وما بهمنا هنا أن فاس كانت مركزا علميا ، تزدهر بالعلم والفكر ، وكان ذلك سبب في جذب علماء القيروان إليها ، لينضموا إلى مركز المعرفة . وبلغت دورة الحضارة والتقدم العلمي بها ، هو تدفق علماء الأندلس على المدينة أثناء ضم المرابدين لبلادهم . ومن هؤلاء ابن رشد الذي ولد بقرطبة ونشأ وظهرت فيها ثقافته ، رحل إلى المغرب في عهد الخليفة ابن يعقوب يوسف بن عبد المؤمن بن علي ، ومنهم ابن الطيفل الذي عمل وزيرا لهذا الخليفة وكبيرا لأهاليه. (7)

(1) ابن الأبار: الحلة النبوة - طبع في القاهرة - 1963 - ج 1 - ص 55.

(2) الفاضل: صبح الأعشى - ج 7 - ص 154-153.

(3) ابن أبي زرع: دواخل التعر لماني - ص 98.

(4) عبد العزيز: تاريخ المغرب الكبير - ج 1 - ص 503.

(5) الإدريسي: نزهة المشتاق - ص 178.

(6) نفسه - ص 178.

(7) الإسلام: الأندلس - ج 2 - ص 107.

وما نستنتج أن مدينة فاس أصبحت منارة علمية ، منذ القرن الثاني للهجرة (الثامن الميلادي) وكانت عاصمة للبلاد لعدة قرون ، اشتهرت باستقبال العلماء من الأندلس والقيروان ، وشيأت بها الجوامع والمدارس ، ومن أشهرها جامعة الأرويين التي درس فيها أشهر العلماء . وكانت فاس تستقبل كذلك جماعات الطلاب من بلاد السودان ، حتى أصبح لها مكانة تخطى في نشر الإسلام جنوب الصحراء ، كما كانت تعد الجامعات السودانية الإسلامية التي تأسست بعد القرن الخامس الهجري مثل رنجي تيبكسو بالمعلمين والاساتذة والكسب .(١)

(١) عبد الواحد المراكشي : المعجم - ص ٦٩٨-٦٥٩ .

اتخذها المرابطون ومن بعدهم الموحدون عاصمة لهم . واسم المدينة هو لفظة تعني في لغة المصامدة هأمش مسرعاً حيث أن المكان الذي أنشئت فيه كان مكمناً للصوص وكان فكان المارة يقولون لرفقائهم تلك العبارة فغرف الموقع بها . وذكر المراكشي في كتابه المعجب ، أنه اسم عبد أسود كان يقيم في المنطقة ويقطع الطريق على المارة.^(١)

وبدأ بناءها يوسف بن تاشفين سنة ١٠٦٢/٥٤٥ م ، فبنى فيها قصره المعروف بدار الحجر وأدار عليه الأسوار . وشهدت المدينة بعد ذلك ازدهارا عمرانيا حتى عهد الوحدين ، فشهدت تطورا ضخما في منشأتها وصار يؤمها الناس من كل مكان.^(٢)

وتحولت مراكش بعد ذلك من أهم المراكز الثقافية في المغرب ، فقصدها العلماء والطلاب من جميع أنحاء العالم الإسلامي ومن بلاد السودان خاصة . وقد نفى فيها الملك أحمد المنصور أبرز علماء دولة صنغاي بعد أن هاجمها في القرن السادس الهجري ، ومن أبرزهم أحمد بابا التنبكي (٣) ، وهو فقيها كان يعقد حلقات الدروس بجامع الشرفاء بمراكش ، وتعلم على يديه قضاة المغرب وعلمائها ، وطلابها . وبذلك تحولت مراكش ملتقى لعلماء المغرب وعلماء السودان وانتجوا لنا ثقافة وعلماء مشتركا اخذ يشع على المغرب والسودان معا (٤) وزار المدينة الحسن الوزان "ليو الإفريقي" في القرن السادس الهجري وذكر أن الطعام والكساء كان يقدم مجاناً للطلبة والنسبة للأساتذة فقد كان يأخذ بعضهم مرتبات تصل سنويا الى مائة ومائتين من الدوكات حسب تخصصاتهم . (٥)

١- المعجب - ص ١٠٠
٢- أبي الزرع : روض الفراه من سرققة ، ١٦٣ ، ١٦٤ .
٣- علي حسن : اختصار تاريخ الإسلام في المغرب والاندلس - ص ٣٧٨

٤- الأمين عرض الله : تجارة الفرافل بين المغرب - السودان العربي - ٩٩

٥- أحمد إبراهيم دهاب : لمحات من التاريخ الإمبراطوري - ص ٦٣

2- مراكز الجنوب:

غانة

تحدثنا من قبل عن غانة كعاصمة سياسية لأقدم دولة سودانية، ونريد هنا أن نتحدث عنها كمرکز ثقافي.

اعتنى سكان غانة الإسلام في زمن مبكر وقبل مجيء المرابطين، وظهرت بها مظاهر الدين الإسلامي من الشعائر والمساجد والثقافة واللغة العربية. وكان ذلك بفضل الاتصالات التجارية والسياسية التي كانت تقيسها مملكة غانة مع دول الشمال منها: أودغست.

وغانة هي عاصمة امبراطورية واسعة ظهرت حوالي 300 م. (1) وظلت تنمو بالتدريج ونظرا لزداد المسلمين عليها من أجل التجارة دخلها الإسلام وشيد بها حي إسلامي حتى صار مدينة كبرى قائمة بذاتها. وغانة مدينتان سهيلتان، أحدهما كان يسكنها المسلمون، والمساكن بينها متصلة، ومبانيهم من الحجارة وخشب السنط. (2)

واعتبرها الإدريسي مؤلف أكبر بلدان السودان قطرا، وأكثرها خلقا، وأوسعها متجرا وتقع على شفتي نهر "أكلو". (3)

وقد دخلها الإسلام بفعل هجرات المسلمين من تجار وعلماء لبلد السودان منذ القرن الأول الهجري. ولم يكن المرابطون هم الذين أدخلوا الإسلام إلى تلك البلاد لأول مرة، بل أن حركتهم أدت إلى ازدياد عدد الداخلين في الإسلام. (4)

وكان للملك "أودغست" دور كبير في العمل الدعوي، وأبنا ذلك في الفصل الأول من البحث، أن الملك الأودغستي "تيوتان" كان يبد التحمس لنشر الإسلام بين قومه وبين الزنوج المجاورين لغانة (5). كما أن غانة بلغت من سعة النفوذ وسيعة تتحكم في عدد من ملوك السودان وكلهم يؤدون الجزية. (6) الملاحظ أن غانة، أصبحت مركزا ثقافيا تشع منه الثقافة الإسلامية قبل تحول ملوكها إلى الإسلام، وأن الحي الإسلامي توسع، وأصبح يضم اثني عشرة مسجدا، وصار موطنًا لعند من فقهاء المسلمين وعلمائهم (7). وتمتع هؤلاء في العهد الوثني لغانة باحترام واضح من قبل الملوك الوثنيين. وتولوا المناصب العليا في الحكومة، وأصبحوا من كبار رجال حكومة الملك الوثنية، فمنهم التراجمة وساحب المال والوزراء. (8)

1- BAUMANN: Les religions de l'Afrique - P 391

2- DAVIDSON: l'Afrique Ancienne - T1 - P 63

3- البكري: المغرب - ص 174-175.

4- برهة المشتاق - ص 39.

5- طرخان: غانة في العصور الوسطى - ص 51.

6- صورة الأرض - ص 101.

7- طرخان: المرجع السابق - ص 53.

8- البكري: المصدر السابق - ص 174.

9- طرخان: مملكة غانة في العصور الوسطى - ص 53.

10- البكري: المصدر السابق - 175

إن صلة غانة بالمسلمين من تجار وعلماء ، كان لها أثر في دخول عدد كبير في الإسلام قبل القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي. وكان من الطبيعي أن يمتد هذا التأثير إلى مناطق السودان الأوسط خاصة إذا علمنا أن طرقا تجارية تربطها بعدد من مدن هذا الإقليم منها تادمكة، كوكو (أوغار) ، كانيم . (1)

وبعد فتح المرابطين لمدينة نانة سنة 468هـ/ 1076م (2)، تحولت غانة إلى دولة إسلامية ، خاصة بعد إسلام ملكها " تنكا هين السو . كي " عند دخول المرابطين ، وخضع لسلطانهم ودفع لهم الجزية، وكان اعتناقه للإسلام دافعا لازدياد عدد الداخلين في الإسلام.

ومنذ ذلك الوقت ، اختل غانة بنشر الدعوة الإسلامية بين القبائل الوثنية، واختصوا هذا المجال حتى أصبحت " سونك " عند الوثنيين مرادفة لكلمة " داعي " وهذا لشدة حماسهم للإسلام. (3) والخلاصة أن الإسلام انتشر بغانة والمناطق المجاورة لها ، منها السودان الأوسط في عهد وثنيها نتيجة سهولة تحرك الدعوة المسلمين بها، بسبب تسامح ملوكها معهم ، فأقاموا المساجد ونشروا الدعوة الإسلامية.

(3) - انظر فصل التجارة - الطرق التجارية ص 408.

(4) - الديلاوي : الايمان - ج 2 ص 27 ، أوليسر ، ونيس : دوح تاريخ افريقيا (مترجم) - ص 91 - 93.

(5) - طر حسان : مملكة غانة في العصور الوسطى - ص 56 .

غَاو (كوكو) :

غَاو هي عاصمة صَنْغَاي وكانت تعرف بكوكو وكوكيا وكَاغ وأرجَاغ، وكانت تطلق أحيانا هذه الأسماء على المملكة كبا . (1)

وتقع على الضفة اليسرى لنهر النيجر، على بعد حوالي 440 كلم من مبيكتسو، وقد زارها ابن بطوطة (2) وكتب عنها بقول: "ثم سرت إلى مدينة كوكو وهي مدينة كبيرة على النيل (يقصد النيجر) من أحسن مدن السودان وأكبر وأخسبها".

وذكر ياقوت (3) أن ملك غَاو كان مسلما (خلال القرن الرابع الهجري)، وأنه كان يعمر شو ونبلاؤه على الضفة الغربية للنهر، أما الضفة الشرقية فتوجد بها الأحياء التجارية، ويتردد عليها التجار في كل بلاد العالم.

وكانت تربط غَاو علاقة صداقة ومودة مع الدولة الرسمية، وكان الإمام أفلسح (الإمام الثالث للدولة الرسمية) قد أخذ ملك غَاو حذيقته بنفسه من أجل توثيق الصداقة بينهما، وشكره على ما يجتهد تجار دولته من حسن المعاملة (4)

وتحدثنا في فصل التجارة عن السفرية التي أرسلها إلى الملك كوكو، قادها رجل يعرف بـ "محمد بن عرفة"، وحاول في هذا العنصر أن نركز على الجانب الثاني لغَاو. (5)

فكوكو مثل مدينة غانة بها مساجد ومدارس وهي غاص بالمسلمين منذ القرن الثاني للهجرة/ التاسع ميلادي، وقد تأسس هذا الحي بفننل التجار المسلمين الذين كانوا يترددون على المدينة، وكان هؤلاء يجلبون معهم العلماء، وساعد ذلك على انتشار الإسلام بالسودان الأوسط.

أما ملك المدينة قد يكون قبل إلى الإسلام منذ القرن الرابع الهجري حسب رواية الحموي (6) التي نقلها عن المهلب (عاش سنة 387 هـ / 996 م) ذكر أن ملك "كوكو" (أوغَاو) بنبلاتر رعيتة بالإسلام، وله مدينتان منها مدينة غرب النيل، يسكنها هو ورجاله وثقاته وبها مسجد بمبلي فيه. أما السعدي (7) فقد ذكر أن أول ملك تحول للإسلام هو "زاكو سوي" في سنة أربعمئة من الهجرة.

(1) - اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ج 1 - ص 157
- أحمد شلبي : موسوعة التاريخ الإسلامي - ج 6 ص 369

(2) - رحلة ابن بطوطة ص 695

(3) - معجم البلدان - مادة كوكو - ص 101

(4) - الباروني : الأوهام الرباسية - ج 2 - ص 17

(5) - ابن الصغير : أخبار الأئمة الزمانيين - ص 210

- محمد دبور : تاريخ المغرب الكبير - ج 1 ص 346 - 581

(1) - المصدر السابق - ج 6 - ص 105

(2) - تاريخ السودان - ص 2 - 3

والمهم أن غار كانت تمثل مركزا تجاريا وثقافيا شامسا في بلاد السودان ، لاستقرار التجار المسلمين بها ، وتأسس حي خاص بهم ، تنشر به المساجد والمدارس ومنه كانوا يقومون بنشر الدعوة الإسلامية . وبعد تحول ملكها إلى الإسلام في أواخر القرن الثالث الهجري ن زادت أهمية المدينة ، وأصبحت مدينة إسلامية كبيرة في عهد حكم ملوك سنغاي .

مدينة جنسى:

تقع مدينة جنسى على مسيرة مائتي ميل من الجنوب الغربي من " تمبوكتو " ، وتوجد على الضفة اليسرى لنهر " بنى " أحد روافد النيجر ، وتقوم على شفة وسط سهل فسيح ، تغتلب المياه في الفصل المطير وهي محاطة بسور عظيم ، كثيرة الأشجار (1) وكان لهذا الموقع سبب في جذب القوافل التجارية إليها ، وأصبحت ملتقى شامخة منذ القرن الثاني للهجرة / الثامن الميلادي . قال عنها السعدي (2) : " هي سوق عظيم من أسواق المسلمين ، يجمع بها التجار ما حاش من مناجم تافزة ، وكانت سوقا لتجارة الرقيق . وتسرب إليها الإسلام بفضل التجار والعلماء ، فالمسلمون كانوا يقومون بجانب بيع سلعتهم بنشر الدعوة الإسلامية . كما أقام بها كثير من العلماء يعلموا الإسلام وينشروا مبادئه . وأقاموا بها المساجد التي تحولت إلى جامعات يؤمها الطلاب ويجلس بها العلماء . (3)

وتحول معظم سكان جنسى إلى الإسلام ، ولكن حكامها بقوا على الوثنية . ولما أحس هؤلاء أن الإسلام عم البلاد ، وأنه يحرم مبادئ راقية وفكر جليل ، عزم أحدهم وهو " كنبر " اعتناق الإسلام . وذلك خلال القرن السادس الهجري / الثاني عشر ميلادي . يروي السعدي (4) هذا الخبر فيقول : " لما عزم " كنبر " على الدخول في الإسلام أمر بنشر جميع العلماء الذين كانوا في أرض المدينة . فعشر منهم أربعة آلاف ومائتان ، فأسلم على أيديهم ، وطلب من رعيته الذين لم يكونوا قد أسلموا بعد أن بدخلوا الإسلام ، ثم حرم الملك أحد قصوره . وحوله مسجدا لله تعالى . وهو المسجد الجامع .

إن هذه الرواية تدل على أن الإسلام انتشر في مدينة جنسى منذ القرن الثاني للهجرة . وأن عندما كبر من سكانها اعتنقوه بفضل عمل الدعاة والتجار . أما الملك فلم يتحول إلى الإسلام إلا بعد أن أحس بأنه عاقل

(1) - جون البير : مادة جنسى - نزهة المعارف الإسلامية - ص 145

(2) - السعدي : تاريخ السودان - ص 27

(3) - أحمد شيا : وسرعة التاريخ الإسلامي - ج 6 ص 224

(4) - المصدر السابق - ص 22

بالمسلمين ، كما نستخلص من هذه الرواية أن عدد العلماء وهو أربعة آلاف قد يكون هذا الرقم مبالغ فيه . وربما يريد الملك كبير بإعلان إسلامه على يده ليبرهن على إخلاصه للمدين الجديد ، واحترامه للعلماء والدعاة . (1)

وتحولت جنسى منذ ذلك الوقت إلى مركز إشعاع علمي وثقافي . كان لها دور في نشر الإسلام ببلاد السودان ، وقد أورد السعدي مجموعة من العلماء قاموا بالدعوة الإسلامية في جنسى منهم " يورمغ كنكي " جاء إلى جنسى خلال القرن التاسع للهجري / الخامس عشر ميلادي . قال عنه بأنه تلقى العلوم من بلاد كثيرة ، وأسرع إليه الطلبة لاقتراب الفوائد منه ، وكانوا يجلسون معه حتى مطلع الفجر ، ثم يعودون بعد الصلاة فيجلسون إليه إلى الزوال تقريباً . (2)

ومن علماء جنسى الذين برزوا بعد القرن الخامس الهجري الفقيه محمد ساقو الونكري وهو فقيه عالم عابد ، جاء إلى المدينة في و آخر القرن التاسع الهجري / الخامس عشر ميلادي ، ولده الأسكا محمد قنساء المدينة ، فأخذ يفصل بين الناس بالشرع وينشر دين الله بين أتباعه ومريديه ، وهناك عند كبير من العلماء نشأوا في مدينة جنسى أو رحلوا لها من علماء السودان . (3) من أجل نشر مبادئ الإسلام و اللغة العربية ، و بعد فتح المرابطين هذه المدينة ازداد عدد الداخلين للإسلام ، بل صبح أهل غانة من المتحمسين لنشره بين القبائل الوثنية .

(1) - أرنولد توماس : الدعوة إلى الإسلام . ص 155

(2) - السعدي : تاريخ السودان . ص 16 - 18 - 20

(3) - نفسه . ص 20 - 212

- أحمد شلبي : موسوعة التاريخ الإسلامي - ج 6 - ص 235

تمبكتو:

مدينة تمبكتو تقع على الحافة الجنوبية للصحراء الكبرى ، تمنحني النهر ، اسمها الطوارق في القرن الخامس الهجري كانوا ينزلون بها في الصيف ، و يرتحلون في الحريف و من اسباب اختيارهم لهذا المكان هو كثرة الآبار ذات المياه العذبة به ، كما تمر به قنرات متفرعة من نهر النيجر ، و بعد ذلك استقر بعض الطوارق ، و ظهرت المدينة سنة 479هـ/ 1087م (1) و كان ذلك في عهد المرابطين.

و كانت تمبكتو مركزا تجاريا هاما ، وملتقى طرق القوافل التجارية عبر الصحراء ، وذاغ نسيجها خلال القرن السادس الهجري/ الثاني عشر ميلادي في تجارة الملح والذهب و كانت عامرة بحوانيت السناع و التجارة خاصة في محال المتاحات ، التطنجة ، الأتمشة المصروشة (2)

و كانت تمبكتو مأوى للعلماء و العابدين ، و ملتقى يأتيها الناس من كل جهة و من كل مكان حتى سارت سوقا للتجارة . فكانت منذ نشأ تجار مصر و فزان و غدامس و توات و درعة و فاس و سوس . (3) و بفضل الاتصالات التجارية تحولت تمبكتو الى مركز ثقافي هام اكتسبت مكانة مقدسة لدى السودانيين يقول عنها السعدي (4) : " هذه المدينة الطيبة الطاهرة الذكية الفاشرة التي هي مستط رأسي و بنية نفسي . مادنتها الأوثان ولا سجد على أديمها قط غير الرحمان ، مأوى العلماء و العابدين و مآلف الأولياء ... " .

ومنذ القرن الخامس الهجري ، تحولت تمبكتو الى مركز ثقافي هام . فكان تشيد المساكن بنسبة تشيد المساجد والمدارس والمعابد ، وإدراك العلماء عليها ، لكثرة حلقات التدريس بمعاهدها ومساجدها . قال عنها حسن الوزان (5) : " إنه كان يتم في تمبكتو كثير من التفنن والطب والذخايرة الذين كانوا يعينون بامر ملكيس و كان الملك يحل العلماء والأدباء . كما كان يشتري كثيرا من المخطوطات لمكتبات تمبكتو ، ولا يغفل بدفع الثمنها مهما غلت ، مما يدل على تقديره الشديد للعلم والأدب .

و كانت مدينة تمبكتو سوقا عظيما للكتب تنسخ فيها المخطوطات وتوزع في البلد ، وفي رواية السعدي (6) جاء فيما ان فتيها يدعى محمد بن محمود بن أبي بكر ، اقتنى ثنائس الكتب العربية العزيرة ، ويأتي لبابه طالب يطلب كتابا يطلبها له من غير معرفة .

ووصل علماء تمبكتو في العلم مستوى لا يتقل عن مستوى المدارس الإسلامية الأخرى إن لم يكن

(1) - السعدي : تاريخ السودان - ص 21 - 22 .

- أحمد شلبي : موسوعة التاريخ الإسلامي - ج 2 - ص 195 .

(2) - المصدر السابق - ص 197 .

(3) - نفسه - ص 21 : كادادو - دولة تمبوكتو - دائرة المعارف الإسلامية - ج 5 - ص 465 .

(4) - المصدر السابق - ص 20 - 21 .

(5) - وصف إفريقيا - ص 37 .

(6) - المصدر السابق - ص 21 .

- حسن أحمد محمود : الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا - ج 1 - ص 269 .

يزيد عنها في بعض النواحي . فقد روى السعدي (1) أن فتيها اسمه عبد الرحمان التميمي جاء من الحجاز بصحبة السلطان موسى صاحب مالي حين غادر من الحج فأقام نسكو رما وما رأى برحما يتفوقون عليه ، غادرها إلى فاس . وكان يدرس في تمبكتو صحيح البخاري وصحيح مسلم . والثناء للقاضي عياض والموطأ للإمام مالك والألفية لابن مالك (2)

وأورد النقيه والعالم أحمد بابا التمبكتي في كتابه نيل الابتهاج بتطريز الديباج (3) مجموعة من علماء المالكية الذين عاشوا بمدينة تمبو وقاموا بنشر العلم بها خاصة خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين القرنين السادس عشر السابع عشر الميلاديين ومن هؤلاء : محمد بن عمر بن محمد الصنهاجي قاضي تمبكتو وعالم التكرور وفتيها خلال سنة 904هـ / 1498م — ومحمد بن محمود بن أبي بكر التمبكتي — الذي ولد سنة 930هـ / 1523م عرف بعلمه ، اعتنى بسخ الكتب بعد شرائها ويأتيه الطلبة من كل مكان للاطلاع عليها — ومحمد بن محمود بن عمر بن محمد أقيت — الذي توفي سنة 973هـ / 1569م وهو من أصل صنهاجي تولى منصب قضاء تمبكتو — مخلوف بن عني بن صالح البلبلي من أكبر فقهاء تمبكتو عاش بها خلال القرن العاشر الهجري وكان يشتغل بالتجارة . والمهم ما نستخلصه من هذا العرض أن مدينة تمبكتو تأسست أواخر القرن الخامس الهجري وازدهرت بعد ذلك ثقافيا واقتصاديا وتبين لنا مدى انتشار الإسلام والثقافة العربية لاسلامية ببلاد السودان بفضل الفقهاء والعلماء

1- تاريخ السودان — ص 7

2- كرادقو: مادة تمبكتو — دائرة المعارف الإسلامية — ص 5 — ص 465

3- أحمد خلي المرشوعة ص 233

4- نيل الابتهاج ص 341، 343

الربط ودورها في نشر الإسلام:

من آثار الوجود الإسلامي في المنطقة هو انتشار الربط. والرباط هي كلمة اشتقاقها من الأصل ربط، واقرب التفاسير للفرس هو ما جاء في القرآن الكريم: "وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل" (1)

والرباط في الأصل هو المكان الذي يجمع فيه الفرسان والتأهب للقيام بحملة من الحملات، ويتصل نظام الرباط بالجهاد. لقد أسلم التكرور على يد عبدالله بن ياسين وخمسوا للإسلام حماساً شديداً، ففي الجزء الأدنى من نهر السنغال الذي سكنوه تقع الجزيرة التي أخذها عبد بن ياسين معتصماً أو رباطاً لتكوين الجماعة الذين سماهم المرابطين. ومن قلب بلاد التكرور خرجت شرارة الحركة المرابطية التي احتضنتها قبائل صنهاجة الصحراء وهي لتونة ومسوفة وجدالة والطوارق التي حملت الدعوة بعد ذلك كما جاء في الفصل الرابع من هذا البحث. (2)

وبفضل قبائل التكرور الـ ودانية استطاع عمر بن بكر من غزو غابة حيث كانوا يشكلون جزءاً من جيشه وأصبحوا حصصاً منيعاً للإسلام في بلاد السودان. (3)

ومنذ عهد المرابطين حتى القرن 13هـ / 19م أصبح للربط دور في نشر الإسلام، يقيمون بها حلقات الذكر وهو ما ساعد على ظهور الطرق الصوفية منها القادرية والتيجانية والسنوسية (4). وبذلك يكون الإسلام قد دخل إلى السودان عن طريق الكلمة الطيبة وعن طريق الشريعة السمحة. وأكد حسين مؤنس ذلك في كتابه "الإسلام الفاتح" عن ما حكاه أحد الرحالة الأوروبيين وهو الأستاذ شارل

1- قرآن كريم: سورة البقرة، الآية 62

2- حسين مؤنس: الإسلام الفاتح - ص 119

3- حسن علي حسن: الحضارة الإسلامية - المغرب والأندلس - ص 322

4- للتوسع أكثر أرجع لموسوعة التاريخ - إسلامي لأحمد شوقي - ص 210

مونتاي ، قال : "أرسلني ج. عتي الدومينيكية الى قرية صغيرة تسمى "باهو " غير بعيدة عن الشاطئ في إقليم الفوتاجالون ، و كنت قد تدربت على التطبيب وبناء البيوت واستعمال الأدوات الحديثة لكي أخدم أولئك الناس واعتذبتهم الى الكاثوليكية، وكان معي ستة مساعدين وقدر طيب من المال لبنني كنيسة ومستشفى ومدرسة ، ومضينا في عملنا ثلاث سنوات، فبنينا الكنيسة والمدرسة والمستشفى ، وبينما نحن نعمس نزل القرية فقيه مرابط مسلم من أهل تمبكتو يسمى حاجي أسلام (عبد السلام) وأخذ يدعو ، يقضي بين الناس ، وفي أقل من ستة شهور كانت القرية كلها وما حولها قد دخلت في الإسلام بعمل ذلك الفقيه المراتب الواحد ، وانصرف الناس عنا وعن كنيستنا ومستشفانا ومدرستنا ، ووجدنا أنفسنا بدون عمل إطلاقا ، وكتبنا بذلك إلى رؤسائنا في بوردو، فأرسلوا أسقفا ليستجلي الأمر، فأقام معنا ثلاثة أشهر ، ثم قال :أظن يا أولادي أنه لا مستقبل لنا هنا .دعوا كل شيء لأولئك الناس وأمضوا عنهم فقد تغلب عليكم الفقيه الواحد " (١)

جـ- الأثر الثقافي للفقهاء والمراكز الثقافية على بلاد السودان الأوسط:

يتضح مما تقدم ، أن الإسلام انتشر في بلاد السودان الأوسط بنسب جهود العلماء والفقهاء الذين سافروا إلى هناك ، وبواستلهم سربت الثقافة العربية الإسلامية ، وجعل السكان يقبلون على التعليم والثقافة في الدين.

وكان لفقهاء الإباضية دور كبير في ذلك ، فأغلبهم كانوا يمارسون التجارة ويقومون في نفس الوقت بالدعوة الإسلامية ، وهو ما سهل عليهم الاتصال بالقبائل المختلفة والملوك ، وكانهم من الاحتكاك بالسكان نذكر منهم: عبد الحميد الفزاني ، وأبا نوح صغير ، وأبا نوح سعيد بن يثلف ، وأبا صالح ، وأبا القاسم يونس النرستائي. (1)

وتبين حسب ما ورد في هذه الدراسة أن الثقافة السودانية كان يغلب عليها الطابع المغربي لأن الإسلام دخل هذه البلاد من المغرب. فإذ إن مذهب الإمام مالك هو المذهب السائد في دول السودان الأوسط. وهو مذهب يميل في بعض جوانبه إلى التشدد في الدين (2). وقد علق الفلقشندي (3) على هذه الظاهرة عندما ذكر أهل كاتم بأنهم يتمذهبون بمذهب الإمام مالك. كما لاحظ ابن بطوطة (4) ذلك عند زيارته لدولة مالي. وكان أهل السودان يتشبهون بالمغاربة في زيهم وفنهم المعماري ، وأخذوا عنهم طريقة الكتابة (الخط العربي المغربي) والمناهج العلمية والكتب المتداولة وأتمها كتب المالكية مثل كتب غيلاس ، وكتب سحنون ، وشروح أبي القاسم وخلييل ، وموطأ مالك والمذونة ، وكتب المغنسي. وكانت مدارسهم أن تكون بذلك مدارس مغربية تشبه معاهد القيروان وفاس وأودغست ومراكش.

وبلغت الثقافة العربية الإسلامية ببلاد السودان درجة كبيرة من التقدم ، ويتضح ذلك في مراسلات السلاطين، أو في المراسيم التي يدرونها. فقد كانت الرسالة التي بعثها الماي عثمان بن إدريس - ملك كاتم - عام 794 هـ / 1392 م إلى سلطان مصر المملوكي برقوق تتميز بأسلوب عربي راق ، ومليئة بالشواهد من القرآن الكريم. (5)

ووصلت المدارس السودانية درجة عالية في مجال البحث العلمي بل إنها تفرقت على المراكز الثقافية الشمالية. روى السعدي أن دتيها اسمه "عبد الرحمن التميمي" جاء من الحجاز بصحبة السلطان "منسي موسى" ملك مالي حين عاد من الحج ، فأقام بمبكو زما ولما رأى رجلا يتنزه على عاد إلى فاس. (6)

(1) علي بنمي معسر: الانامية في الخرطوم - ج 2 - ص 160

— جودت غا الكرم: توسيع العلاقات الخارجية للدولة الرستانية - ص 283

(2) يوسف فضل حسن: انتشار الإسلام في أفريقيا - طبعة جامعة الخرطوم - 1979 - ص 21

(3) صبح الاعشى - 5 - ص 193

(4) رحلة ابن بطوطة - ص 498

(5) الفلقشندي: صبح الاعشى - ج 2 - ص 283

— يوسف فضل حسن: المرجع السابق - ص 28

(6) - السعدي: تاريخ السودان - ص 29-33

— حسن احمد محمود: انتشار الاسلام في افريقيا - ص 267

وبجانب انتشار الإسلام والعلوم الإسلامية انتشرت اللغة العربية وهي لغة القرآن والعبادة والعلم فصارَت هي اللغة الرسمية لدولة السودان الأوسط منها "كانم" وكانت تستدبر بها المراسيم وجميع المكاتبات، وأثرت اللغة العربية على جميع اللغات المحلية، فقد كانت هذه الأخيرة مليئة بالألفاظ العربية، وتستخدم حروفها في كتابتها. (1)

وإذا كانت الثقافة المغربية هي الغالبة في أرض السودان، فهذا لا يعني أنه لا توجد تأثيرات دخلت من مناطق أخرى. فقد تأثرت "كانم" بمدارس مصر المملوكية. وقد كان أهل "كانم" يتعلمون الفقه ومختلف العلوم في "مدرسة ابن رنيق" بالنسقاط، ويجامع الأزهر. (2)

وبرجوعهم إلى أوطانهم ساءوا يجلبون معهم التأليف المنصرية. ومن العلماء المنصرين الذين ذاع صيتهم في المنطقة جلال الدين السيوطي (849 - 911 هـ / 1445 - 1505 م). فقيه تلمذ على يده مجموعة من فقهاء المنطقة خاصة الحوسبا منهم عبد الله السوقي، وهو عالم من تكدة اشتغل بالعلم والتأليف. (3)

إن انتشار الثقافة العربية الإسلامية في بلاد السودان الأوسط، لا يعني اندثار الثقافات السودانية المحلية، فقد حافظ أهل السودان على بعض عاداتهم القديمة رغم اعتناقهم الإسلام. خاصة في مجال نظام الحكم، وتحدث عن ذلك القلة. نندي (4) فذكر أن ملك "كانم" لا يراه أحد إلا يوم العيدين. أما سائر السنة فلا يظهر لأحد ولو كان أميراً إلا من وراء حجاب.

وفي الأخير يتجلى لنا أن الإسلام انتشر في السودان الأوسط بين القرنين الأول والخامس الهجريين، وبانتشاره تسربت ثقافة العربية الإسلامية. وكان يغلب عليها الطابع المغربي. أما المراكز الثقافية فتمثل تأثيرها في تعليم طلبة أهل السودان، وإرسال العلماء، ومعهم أشهر المؤلفات الإسلامية، فأدى ذلك إلى تنشيط الحركة الفكرية والعلمية، وترسيخ الثقافة العربية الإسلامية.

(1) - ملحقان : مملكة برنو الإسلامية - ص 21 - 75

(2) - اعلم الفصل السادس ، الباب الخامس : الأثر الثقافي 445 هـ

(3) - احمد محمد كاي : الجهاد الإسلامي في غرب إفريقيا ج 7 ط 1 الرضاء الاعلام العربي القاهرة (1407 هـ / 1985 م) ص 27

(4) - صبح الأعشى - ج 5 - ص 3 هـ

الفصل السابع

انتشار الاسلام في السودان الاوسط بواسطة الحج

تمهيد

- 1- اهمية الحج عند اهل السودان الاوسط.
- 2- طرق قوافل الحجيج.
- 3- حج العامة والفقهاء.
- 4- حج الملوك.
- أ- حج ملوك مملكة كانم.
- ب- حج ملوك مالي ودورهم في نشر الاسلام ببلاد السودان.

الخاتمة

الحج هو إحدى الوسائل التي تسرب بواسطتها الاسلام في بلاد السودان الاوسط والغربي، وكان عاملاً هاماً في تحول المنطقة الى الاسلام. (1)

فمنذ اواخر القرن الاول الهجري/الثامن ميلادي، بدأت وفود الحجاج تجوب البلدان، وازداد عددهم من بلد السودان بعد القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي، ومن العوامل التي ساعدت على هذه الحركة نمو ازدياد التبادل التجاري، فازدادت معها القوافل التجارية، وتكونت شبكة طرق واسعة في الصحراء سهلت عملية تنقل المسافرين خاصة الحج، فهي كما رأينا في فصل التجارة تتوفر على وسائل الراحة، فالمرآكز التجارية يتم فيها خنق الحيوانات، والتزود بالطعام والماء، وفي نفس الوقت كانت القبائل البربرية التي تسكن المنطقة توفر الادلاء والحراس للقوافل حتى تتجنب هذه الاخيرة التيه او التعرض لعصابات الاشرار في الطرق. (2)

وازدادت أهمية الحج بازدياد عدد المسلمين في بلاد السودان الاوسط، واصبح وسيلة من وسائل انتشار الاسلام خاصة بعد ان تحول الملوك الوثنيين الى المسلمين، مثل ملوك مالي وكاينم وسنغاي، فكانوا ينقلون مواكب كبيرة للحج تضم حاميه الملك والامراء والموظفين، وعند مرورهم بالقبائل الوثنية خلال الرحلة، كانوا يقومون بنشر الدعوة الاسلامية، وفي نفس الوقت كانوا يظهرون قوة ممالكهم العسكرية والاقتصادية من خلال كثرة عدد افراد قوافل الحج والهدايا التي يحصلونها(3)، ويهدفون كذلك من وراء اداء فريضة الحج بهذه الطريقة اظهار التسبغ الاسلامية لدوهم وبالتالي التقرب من البلدان الاسلامية وتحسين علاقاتهم السياسية معها، منها خاصة دول المغرب وعصر ابرز مثال على ذلك علاقة دولة كاينم بالفاطيين وكذلك التشاء سلطان سنغاي الاسيتيا محمد (891-935هـ/1493-1529م) بالخليفة العباسي المتوكل بالله والذي منحه لقب خليفة بلاد التكرور وهذا اثناء رحلته للحجاز عند اداءه فريضة الحج مع مجموعة من العلماء(4)

وكان الحجاج من عامة الناس، فعند عودتهم من مكة المكرمة لبلدانهم تنبج لهم مكانة خاصة في مجتمعاتهم، فيتحولون الى دعاة، خاصة ان الكثير منهم اخذوا العلوم المختلفة خلال سفرهم بسبب اتساعهم بالعلماء في المراكز الثقافية فيكون بذلك قد ساهموا في نشر الدعوة الاسلامية في بلدانهم. (5)

ونحاول في هذا الفصل ارض لقوافل الحج من العامة سواء كانوا تجارا او فقهاء ثم ملوك بلاد

1- السعدي: تاريخ السودان - ص 16.

2- امير دول الحارة، ص 85

3- السعدي: المصدر السابق - ص 37.

4- احمد شلي: موسوعة التاريخ الاسلامي - ج 6 - ص 366.

5- السعدي: المصدر السابق - ص 80.

6- نفسه - ص 38.

السودان الاوسيط خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين.

والملاحظ انني تعرضت لمحنة منسي موسى (١٤٠٤م) باكثر تفصيل، ورغم ان هذه المحنة خارجة عن مجال بحثنا تاريخيا، ولكن المهدف من دراستها هو توضيح وتعريف قوافل الحجيج التي يتوحد بها ملوك السودان بسبب شهرة هذه المحنة في التاريخ الاسلامي والاثر الذي تركته على بلاد السودان. وعلى اية حال فهي تساعدنا اكثر كوسيلة من وسائل انتشار الاسلام ببلاد السودان.

المجلة
الأمير
عبد القادر للعلوم الإسلامية

1- أهمية الحج عند السودان:

لقد اكتسب الحج أهمية كبيرة لدى العامة والعلماء وملوك بلاد السودان وتعتبر رحلة الحج بالنسبة لهم حدث هام. فقد كانت قوافل الحجيج والتي غالبا ما يتزدها الملوك تميز بمظاهر الزحف والفخامة وهو ما يدل على رفاهية الدول السودانية وكثرة ثرائها (1). كما كانت مواكب الحج تضم عددا كبيرا يبعد بالآلاف (2) وخلال الرحلة كانوا يمرون بالمناطق التي تسكنها القبائل الوثنية حيث يقومون بنشر الدعوة الإسلامية بينهم بالطرق السلمية. كما كانوا يستفيدون من رحلة الحج ثقافيا، فكانوا يتسلطون بالعلماء والمعلمين والمهندسين ويأخذونهم إلى بلدانهم لتزوير الإدارة بها ورفع المستوى الثقافي والعمراني. فقد سافر الساحلي المهندس المعماري الاندلسي مع منشي موسى إلى مالي حيث شيد له هناك مسجدين وقصرا في غاو وتمبكتو على الطراز الاندلسي مما جعل هذا الحير هو الغالب في عمران مساجد بلدان السودان (3).

ومن الناحية السياسية كان الخلفاء من تنظيم الملوك قوافل حجيج كبيرة، هو اظهار الوجه الاسلامي لدولهم للتقرب للبلدان الاسلامية. وقد تحسنت العلاقات السياسية بين كاتم والدولة الفاطمية تمصر بفضل الرحلات الكثيرة للملوك كاتم إلى الحج عن طريق مصر كما سرى ذلك. ومثال آخر عن الأهمية السياسية للحج، فالاسيقيا محمد (899-935هـ - 1493-1529م) لقبه الخليفة العباسي المتوكل بالله بلقب خليفة بلاد التكرور عندما التقى به أثناء رحلته لاجل بيع سنة 899هـ/1494م. (4)

أما من الناحية الاقتصادية يساهم الحج على تنشيط عملية التجارة وبالتالي تدفق السلع من الشمال وازدياد الرخاء، كما يسمح للدول السودانية التعريف بالسلع الرائجة عندها وتعمل في شكل تدايا واتساعها الذهب (5). فقد اشتهرت مملكة مالي في العالم بفضل هذه المادة حيث ظهرت صورة ملك مالي في المراسم القبطونية بانه ملك الذهب.

2- طرق قوافل الحجيج:

إن الطرق التي كانت تسلكها قوافل الحجيج معروفة وهي نفسها التي تسلكها القوافل التجارية في ذلك العهد أي بين القرنين الأول والخامس الهجريين وتمثل شبكة واسعة تربط بين مصر وبلاد المغرب من جهة وبلاد السودان من جهة أخرى. (6)

1- احمد ابراهيم دياب: لغات من التاريخ الافريقي. احدث - ص 63.

2- السعدي: تاريخ السودان - ص 7

3- ابن خلدون: العبر - ج 6 - ص 201

4- السعدي: المصادر السابق - ص 80.

5- احمد شلي: الموسوعة - ج 6 - ص 366.

6- محمد كوت الزبيدي: تاريخ الفتن - ص 24.

6- انظر الفصل الخامس من البحث: الطرق التجارية. ص 102

وقد تعرضت لهذه الطرق ١. فنسل التجارة ورأينا انها تتوفر على كل وسائل الراحة من ماء وازاد
وسراكن تجارية بها الادلاء والحراء ... وكانت القبائل البربرية هي التي تشرف على تمارة القوافل، وفي نفس
الوقت كانت تهتم بقوافل الحجيج وتقدم لها كل الخدمات المذكورة واهمها تأمين الطريق.
ومن هنا نستنتج ان طرق الحج كانت سهلة وميسرة ومؤمنة مما جعل عددا كبيرا من اصحاب السردان
المسلمين يؤدون فريضة الحج.

والطريق المألوف لدى ملوك السودان الاوسط للذهاب الى مكة المكرمة، هو الطريق الذي ينطلق من
كاثم ويمر عبر واحات مصر منها بكفرة والداخلية وصولا الى اسيوط، ويتم اجتياز البحر الاحمر بواسطة السفن
لتنتهي الرحلة بارض الحجاز.

وهناك طريق آخر يربط ميسر ببلاد السودان الاوسط يمر بقطر ابلس ثم فزان فكواري. وقد سلك هذا
الطريق ملوك كاثم منهم اوسمي ع. الجليل (القرن ١١هـ/١١م) عند ادائه فريضة الحج ومات في مصر، اما ابنه ذرومة
(القرن ١٢هـ/١٢م) الذي حج ثلاث مرات مات غرقا في شواطئ مصر بالبحر الاحمر. (١)

١- انظر حج الملوك من هذا النسل. ص ١٦٠

3- حج العامة والفقهاء:

سافر عدد كبير من اهل السودان الاوسط الى مكة المكرمة لاداء فريضة الحج بين القرنين الاول والخامس الهجريين/السابع والحادي عشر ميلاديين. ولابد ان ازدياد النشاط التجاري في هذه الفترة جعل كثيرا من اهل السودان يتحولون الى الاسلام مما ادى الى كثرة عدد الحجاج وقوافلهم والذين كان لهم دور في نشر الاسلام. والملاحظ ان قوافل الحج لايج لاهل السودان كانت قليلة قبل القرن الرابع الهجري ولكنها ازدادت واصبحت تكسب اهمية بعد ذلك خاصة بعد قيام الدول الاسلامية السودانية مثل كاتم وغانة، واضمنت قوافل الحج معرفة وتعرضت للمصادر التاريخية خاصة تلك التي يتردها الملوك او السلاطين. وعلى هذا الاساس لم تكن رحلات العامة بروفة ومذكورة ولكن يمكن استنتاجها عن طريق رحلات بعض التجار والفقهاء الذين نعتهم من العام.

فاليقوي (1) ذكر عند - بيته عن مدينة زويلة، وهي مدينة قريبة من بلاد السودان وعلى اتصال دائم بسكان هذه المنطقة، ان اهلها مسلمون اباضية كلهم يخرجون بيتا الحرام، وجاء في كتب السير الاباضية (2) ان ابي نوح سعيد بن يثلف وشو تاسر كان على اتصال ببلاد السودان، سافر الى تادمكة بعد اداء فريضة الحج. ومما يدل على ازدياد قوافل الحج خلال القرن الخامس الهجري خاصة من سكان تادمكة كاتم هو بناء هؤلاء مدرسة خاصة بهم بالقاهرة سميت بمدرسة ابن رشيق حيث جعلوها مكان للتزود بالعلم وفي نفس الوقت اقامة الحجاج بها من اهل لبلاد عند مرورهم بمصر. (3)

والملاحظ ان اهل السودان يستغلون وجودهم في البلدان العربية لتعلم مبادئ الاسلام والعقود المختلفة منها النقة واللغة العربية. فالسفر الى الحج كان يتفرق شهورا وكانوا يقيمون بالمدن التي يمرون بها مدة طويلة وهذا ما جعلهم يتصلون هناك بالعلماء والفقهاء. واذا ما عادوا الى بلادهم ترتفع مكانتهم في المجتمع ويتحولون الى دعاة وفتهاء يشرعون مبادئ الاسلام. وبذلك يكون الحج قد ساعد في نشر الاسلام وصادد في بلاد السودان.

1- البلدان - ص 344

2- الدرجيني: الطبقات - ج 2 - ص 367

3- المقرئ: الخطط - ج 2 - ص 365

١- حج الملوك

أ- حج ملوك كاثم:

اعتنى مايات (١) كاثم باداء فريضة الحج، وكان الطريق المألوف لحجاج بلاد السودان الأوسط هو طريق مصر وكان جانباً منهم يذهبون عن الطريق السودان وادي النيل (٢). وكان هؤلاء السلاطين يشجعون رعاياهم لاداء هذه الفريضة ويعملون على تيسيرها.

ولم يكن السفر الى مكة المكرمة من اجل اداء هذا الركن كفريضة اسلامية فقط بل من ورائها عدة منافع منها: اقامة علاقات سياسية ودية مع الدول الاسلامية. تمصر والمغرب والخلافة الاسلامية؛ ويتمتع لسلاطين السودان صورة الاسلامية تبرز مدى تمسكهم بالاسلام (٣). اما تجارياً فعن طريق الحج تعرف البلدان البعيدة بمنتجات السودان الأوسط وتطلع على رفاهيتها وتقدمها فشلا اصيب احل مصر المدهشة لما راوا مركب حجة الملك دوغمة بن اوم رايي تضم عددا كبيرا من الرقيق (٤).

اما ثقافياً فقد ساعد الحج ملوك السودان على الانفصال مباشرة بالعلماء والفتهاء عند مرورهم بالمراكز التجارية والثقافية مثل القاهرة ومكة المكرمة او المدينة المنورة. بل كانوا يوسعون من معارفهم الدينية عند اقامتهم بالمدارس منها مدرسة ابن رايي بمصر (٥). وخاصة اذا علمنا انهم كانوا يقتضون اقامة طوييلة بهذه المناطق وان السفر الى الحج كان يسرق شهوراً عديدة.

واول من حج من مايات كاثم المسلمين المعروفين: الماي اومي عبدالجليل وجر اول ملك اعتنق الاسلام علناً، وحول كاثم من دولة وثنية الى دولة مسلمة وكان ذلك في اواخر القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي.

وقد مات في مصر اثناء رحلته الى الحج ودفن فيها (٦). وكان ذلك في عهد الخليفة الفاطمي المستعلي بالله احمد (٤٨٧ - ٤٩٥ هـ / ١٠٩٤ - ١١٠١ م). وقد تميز حكم هذا الأخير بحدوث اضطرابات داخلية بسبب صراع حول منصب الوزراء وخارجية بسبب احتلال بيت المقدس من طرف الصليبيين سنة ٤٩٤ هـ / ١٠٩٧ م (٧).

وحج خلفه دوغمة بن اومي ثلاث مرات وترك في مصر في المرتين الاولىيتين مئات الرقيق في كل مرة ثلاثاً من الرقيق وبلغ مجموعهم في سفراته الثلاثة تسائة عبد، ولذلك اصيب المصريون بالمدهشة عندما راوا

١- المايات: جمع ماي وهو لقب للملك كاثم (١٠). وقد باحد اسم "ماع" او "مي" او "اومي" وكلها مؤنذات ومعناها الملك. (سرحان: مملكة مصر الاسلامية - ص ١٥٢)

٢- عبد الخليل شاطر الدويهي: حضارات السودان الأوسط والشرقي - ص ٤٢٢

٣- احمد محمد كاثي: الجهاد الاسلامي في غرب إفريقيا - ج ٧ - ص ١٥.

٤- طرحات: المصادر السابق - ص ٨٤.

٥- الفلفندي: صبح الاعشى - ج ٦ - ص ١٤٠.

٦- LANG: COP. CIT - P 153.

٧- عبد الخليل شاطر الدويهي: المرجع السابق - ص ٤٢٢.

٨- ابراهيم صالح بونس: تاريخ الاسلام وحياة العرب في كاثم - ص ٨٤.

مراكب حجته وهذا يدل على عظيمة دولة كاتم وقتونها(1). الا ان الماي دروثة غرق في حجته الثالثة عندما كان يجتاز البحر الاحمر قرب ميناء عيذاب جنوب مصر، وقد يكون سبب هذا الغرق مكيدة دبرها المصريون، حيث خافوا من بقاء عدد كبير من الرقيق في مصر من ان يحدث انقلابا سياسيا لمصلحة ملك كاتم، فقاموا بفتح ثقب في السفينة التي ركبها لامتلاءت ماء وغرق هو ومن معه(2).

والملاحظ ان مصر كان في حكمها في هذه الفترة الخليفة الفاطمي الظاهر ابو المنصور اسماعيل (544-549هـ/1149-1154م). عاشت مصر في عهده اضطرابات داخلية وقد يكون امر قتل الماي دروثة نفلرا لما كان يتمتع به من سمعة حسنة في بلاده، ولقوة جيشه وبلوغ مملكته اثناء حكمه اقصى اتساعا لما حيث وعمل عدد جنوده مائة وعشرون ألف، ولذلك يكون مقتله خوفا من تدخله في شؤون مصر وزادت هذه الشكوك عندما ساعد على بناء مدرسة ابن الرشيق بالفسطاط والتي كانت مأوى للحجاج كاتم.

-
- 1- طر حان: مملكة مرنو الإسلامية - ص 423.
 - 2- ابراهيم صالح بوس: تاريخ الاسلام و حياة العرب، كاتم مرنو - ص 77.
 - عند خليل شاطر الفسلي: حصار السودان الاوسط والشرقي - ص 423.
 - 3- طر حان: المرجع السابق - ص 85.
 - 4- المقرئ: الخط - ج 2 - ص 119.

ب- حج ملوك مالي (1) ونورهم في نشر الاسلام ببلاد السودان:

فمملكة مالي تقع في أقصى جنوب ممالك الماندي (2) وكانت قائمة على نهر سنكراني في القرن الثالث الهجري/التسع الميلادي، ووسعت حدودها واشرفت على مناجم الذهب حتى أصبحت تضم اثني عشر منجمًا يستخرج منه الذهب (3). وشملت إلى إمبراطورية خلال القرن التاسع الهجري/الثالث عشر الميلادي. ورغم أن مالي لم تكن من إقليم السودان إلا أنني أدرجتها في البحث لأن حجاجها كانوا يسمون بالاقبالم التي تناولتها دراستنا.

وقد اشتهرت مملكة مالي بحالات الحج التي قام بها ملوكها منذ القرن الثاني للهجرة/الثامن الميلادي. بل أداء هذه التريضة ميزة وسلوك شهم. يقول ابن خلدون (4) في هذا الشأن: "وحج جماعة من ملوكهم وأول من حج منهم ... برمندانة، وسبيل في الحج هي التي اقتناها ملوكهم من بعده... ثم حج منهم مساري ابن ماري جاحلة أيام ظاهر بيبرس وحج من بعده منهم مولاهم صاكورا... ثم حج أيام الناصر، وحج من بعده منهم منا موسى... حسبما ذلك مذكور من أخبارهم عن دول البربر".

ونورد في هذه الدراسة الروايات المحلية التي تحدثت عن ملوك مالي الذين اعتنقوا الاسلام وأدوا فريضة الحج منذ القرن الثاني للهجرة. فالملب أسماء الملوك هم من الاسرة الحاكمة خلال هذه الفترة وهي أسرة كيتا (5)، ومنهم "لاهيلا تولي كاسي" (6)، حيث عرفت حدود مالي توسعا في المناطق الجنوبية في عهده، و"الاكوي موسى دنجيوي" الذي ذهب إلى الحج أربعة مرات وكان ذلك خلال القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي.

وتعرض اليعقوبي (7) لاسلام ملك مالي خلال القرن الثالث الهجري قائلا: "ثم مملكة أخرى يقال لها ملل... ويسمى ملكهم ميوسي" وميوسي هذا ربما يقصد به الملك الاكوي موسى دنجيوي والتي تقول الروايات عنه بأنه من سلالة بلال مؤذن الرسول (ص).

1- مملكة مالي: من ممالك السودان الغربي، ظهرت على المسرح السياسي بتاريخ اربعة مئة بعد ان استولى على مملكة سادانا وعنه قاتل المانديع عيسى احرار واسعة من غابة وكان ذلك سنة 240 هـ واستمرت في الوجود حتى سنة 488م وكانت تدار هذه المملكة مرة كل سنة في القرن الثاني للهجرة. - كعب: القناس - ص 28.

2- البكري: المغرب - ص 178.

3- الادريسي: رقة المساق - ص 5-6.

4- العبر - ج 6 - ص 444.

5- أسرة كيتا: هي إحدى السلالات الحاكمة في جنوب مالي خلال القرن الثاني للهجرة تزعمت قاتل المانديع واستطاعت التأسيس لمملكة مالي الزاهرة خلال السبع الهجري. - احمد الياس حسن: دور النشأة في اسلام مملكة مالي قبل القرن الثالث عشر الميلادي - ص 100.

6- لاهي لا تولي كاسي: أول ملوك أسرة كاسي الجنوبية ذهب إلى الحج خلال القرن الثاني للهجرة. - احمد الياس حسن: المرجع السابق - ص 100. - (4) خلدون: البربر - ج 1 - ص 117.

7- التاريخ - ج 1 - ص 194.

وأشار البكري (1) من بعده "أن ملك ملل المسلماني" وذكر ابن خلدون (2) والتفتشندي (3) أن أهل مالي دخلوا الإسلام قبل قيام أمير الموريتهم بوقت طويل؛ بينما أشار الوزان (4) أن أهل مالي كانوا أول من دان بالإسلام.

وما نستنتج من هذه التبرعات أن مملكة مالي دخلت الإسلام منذ القرن الثاني للهجرة وكانت تمثلها أسرة كيتا الجنوبية، وتحولت إلى إمبراطورية واسعة بعد أن توحدت قبائل الماندنغو في المناطق الشمالية خلال السابع الهجري/الثالث عشر الميلادي. وقد تولى السلطة قبل الملك سنديانا مؤسس مالي الكبرى عشرة حكام منذ القرن الثاني للهجرة/الثامن الميلادي. والمهم أن ملوك مالي اختتموا برحلات الحج منذ هذه الفترة ولكن أعظم حجة هي تلك التي قام بها أسلفطان منسي موسى سنة 740هـ/1324م.

لقد اتخذت هذه الرحلة شهرة عالمية، وأعطتنا معلومات قيمة عن قافلة الحج التي قادها منسي موسى. ولذلك اخترتها لأن تكون نموذجاً لرحلات الحج لأهل السودان، ستعرض لنا بشيء من التفصيل رغم أنها حدثت خارج مجال دراستنا أي في القرن الخامس الهجري/الرابع عشر الميلادي. فهي تبين لنا مدى اهتمام ملوك السودان بهذه الفريضة وتوضح كيف كان الحج وسيلة من وسائل انتشار الإسلام بالمناطق التي تمر بها قوافل الحج التي تسكنها القبائل الوثنية.

ورصفها السعدي (6) في كتابه تاريخ السودان أن الراكب أو قافل الحج تضم عدداً يقدر بستين ألفاً، وثمانين جملًا يحمل كل منها ثلاثة فاطير من التمر، بالإضافة إلى الهدايا النفيسة التي أحضرها الملك منسي موسى ليقدمها إلى العظماء والملوك، وكان يسير في مركبه خمسمائة عبد يحمل كل منهم عصاً من الذهب وكان بالقافلة وصائف يبلغ عددهن اثني عشرة ألفاً لباسات اقبية الديباج والحرير اليساني.

من خلال هذا الرصف تبدل لنا مبالغة في عدد أفراد القافلة والهدايا التي يحملونها (7)؛ ومع ذلك فإن هذا المركب الذي قادها منسي موسى أن سبباً في شهرة مملكة مالي وملكها منسي موسى في العالم وبيئت تراء هذه الدولة السودانية؛ وما يدل على هذه الشهرة أنها ذكرت في الخرائط القطرانية (8) بأوروبا في ذلك الوقت.

1- المغرب - ص 178

2- العبر - ج 6 - ص 415

3- صبح الاغنى - ج 6 - ص 293

4- وصف إفريقيا - ج 2 - ص 165

5- منسي موسى: أشهر ملوك مالي حكم بين 708-732هـ/1308-1332م، شهدت المملكة ازدهاراً اقتصادياً وثقافياً وعمرانياً، واشتهر بحجه التي ذكرناها. - السعدي: تاريخ السودان - ص 7.

6- نفسه ص 7.

7- ابن خلدون: المقادير السابق - ج 6 - ص 201.

8- أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي - ج 1 - ص 348.

9- الخريطة القطرانية: وصفت بأوروبا وورد بها اسم الملك منسي موسى وصارت خلال القرن التاسع الهجري/الخامس عشر الميلادي، وهم من اتباع مدرسة جبرية ما يوركا بإسبانيا ومكتوب باللغة القشتالية وهذا عرفت بهذا الاسم. فطحان مملكة بربر - ص 60.

وكان هذه الحجة تأثيرات زخافية على بلاد السودان لأن السلطان جلب معه بعضي العلما والمهندسين إلى بلاده منهم أبو اسحاق الساجي وهو مهندس معماري معروف عبيد الله قسرا وعامرا في مدينة قنطرة، تميزا بينهما المعماري الراقي كما يقول ذلك ابن خلدون (1)، كما جلب معه أيضا مجموعة كبيرة من الكتب الإسلامية ليودعها في مكتبات ماني خدمة للعلم وطلابه. كما أنه قدم عدة هدايا العامة للناس وملك تلك المتاحف التي مر بها حتى جعلهم يتدرونه ويدعون له بالشكر. (2)

ان هذا العرض يبين لنا الأثر الثقافي على بلاد السودان خاصة في ترسيخ مبادئ الإسلام ونشرها بين القبائل وان هذه الصورة العامة لرحلة الحج توضح ان سلاطين وملوك السودان كانوا على اتصال بالعالم الإسلامي وفتحائه وعلمائه.

1- المعجم ج ١١ ص ٤٤٥

2- السيرة تاريخ السودان - ص 7.

الخاتمة

تبين من كل ما سبق ذكره، ان الاسلام انتشر في السودان الارسط بالطرق السلمية منذ القرن الاول الهجري/السابع الميلادي، وان المسلمين عملوا على نشره في المنطقة بالموعظة الحسنة وبدون اكراد. وذلك حسبما ورد في القرآن الكريم: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ...﴾ (1) وكذلك ﴿...وَقُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّذِينَ آمَنُوا فَقَدْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَمْرًا غَائِبًا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ...﴾ (2).

اما الغزوات التي قام بها كل من عقبة بن نافع في بلاد كوار، وموسى بن نصير في السوس الاقصى، والمرابطون في غانة فانها كانت حملات عسكرية محدودة من حيث الزمان والمكان، فهي لم تدم طويلا/ وبذلك فهي لم تكن عاملا اساسيا في نشر الاسلام ببلاد السودان.

ومن خلال ماورد في البحث، نجد ان الصحراء لم تكن حاجزا امام تنقل التجار والعلماء والحجاج والقبائل العربية والبربرية، وهذا رغم الظروف الطبيعية القاسية التي تتميز بها، فقد كان السير فيها يسيرا، حيث عمل سكانها واغلبهم من البربر على توفير شروط التنقل والراحة فيها (3)، فحفروا الابار، واسسوا القوافل التجارية بامدادهم بالحرس والادلاء، ووفر الزاد والمساكن فبرزت عبر الطرق الصحراوية عدة مدن تحولت الى مراكز تجارية وثقافية انتشر منها الدعوة الاسلامية.

ان الاتصال ببلاد السودان منذ القرن الاول الهجري، جعل المسلمون على دراية واسعة بهذه المنطقة، فالاسفار التي قام بها الرحالة والتي درنت في كتب الرحلة (4) اعطت لنا وصفا دقيقا للطرق التجارية والمدن الموجودة على امتدادها، كما جعلتنا نتعرف على سكانها ومعيشتهم وعمرانهم، بينوا مس خلال معنوياتهم ان افريقية جنوب الصحراء كانت، بها مدنية وحضارة راقية، في نفس الوقت كان الاروربيون يجهلون جهلا تاما ما يحدث ببلاد السودان في هذه الفترة، وحتى المعلومات التي جمعوها بعد ذلك كانت بواسطة جغرافيين ورحالة مسلمين منهم البكري، ابن سعيد والادريسي وابن بطوطة وحسن الوزان وغيرهم، فاعتمدوا عليها في

1- سورة البقر - الآية 12.

2- سورة آل عمران - الآية 20.

3- احمد ابراهيم ذياب: خات من التاريخ العربي الحديث - ص 72.

4- بوري فال: المصادر العربية للتاريخ الاميني - ص 197.

وضع الخرائط بجزيرة "ميورقة" المعروفة بالخرائط القطالونية. (1)

وحسب ما ورد في البحث، يتضح ان دخول الاسلام ببلاد السودان الاوسط يمثل بداية لازدهار اقتصادي وثقافي، ولعصر ذهبي في تاريخ المنطقة ولافريقية جنوب الصحراء بصفة عامة، فقد برزت دول متقدمة ذات نظم ادارية متطورة سادها الازدهار في جميع المجالات منها مملكة كانم (برنو) ودولة افوسا ومالي وغانة، واصبح الاسلام هو القوة الدافعة لتطورها.

ودلت المعلومات الواردة، ان العلاقات السياسية والاقتصادية بين دول المغرب وبلاد السودان الاوسط بين القرنين الاول والخامس الهجريين/السابع والحادي عشر الميلاديين، حسنة وودية (2)، وفي ظل هذه الظروف حدث ازدهار تجاري وثقافي في المنطقتين، وهو مامكن من تسرب الاسلام وبطرق سلمية، ومن الشواهد التي تبرز ذلك هو ارسال الامام الرستمي افلح بن عبد الوهاب هدية الى ملك غار.

وقد تطورت هذه العلاقات اصبحت اكثر متانة عبر الازمنة، فمكن التجار والعلماء والقبائل من التنقل الى بلاد السودان والاستقرار هناك والقيام بنشاط الدعوة الاسلامية.

ومن الحقائق التاريخية المستتبعة، ان للخوارج الاباضية دور في نشر الاسلام ببلاد السودان منذ القرن الثاني للهجرة، فقد كان لهذه الطائفة أنشطة تجارية ودعوية، فالتجار الاباضية دخلوا السودان وبذلوا جهودا لنشر الاسلام. وورد في البحث عدة اسماء هؤلاء التجار والدعاة نذكر منهم عبد الحميد الجنائري، ابو صالح الياجراني، ابو القاسم الفرستائي، ابي نوح سعيد وعلي بن خلف وغيرهم. (3)

وجاء في كتب الاباضية معامات رافعة عن حياتهم والطرق التي سلكوها، فكانت مدن تمهرت وورجلان وبلاد الحريد وجبل نفيسة اماكن انطلاقهم نحو بلاد السودان، فانتشر بعضهم في مدنها منها تادمكة وجني وغار وغيارو وغانة وقاموا هناك بنشر الدعوة الاسلامية. واستمرت دعوتهم حتى القرن الخامس الهجري، فقد ذكر كل من البكري والدرجيني ان ملك مالي اعتنق الاسلام علي بندي احد الدعاة الاباضيين هو عاي بن خلف. (4)

ويتضح مما تقدم، ان الوجود العربي في السودان الاوسط حقيقة لا جدال فيها، وجاء هذا التواجد نتيجة للهجرات العربية القديمة التي حدثت منذ القرن الاول الهجري، منها هجرة بني امية هروبا من بطش العباسيين لهم (5)، وكذلك كثير من التجار جاءوا من اليمن وبغداد والكوفة والبصرة وخرسان، فاستقروا في المراكز

1- طرسان: مملكة برنو الاسلامية - ص 47 - 48.

- حسين مؤنس: الاسلام الفاتح - ص 158.

2- ابن الصغير: اخبار الائمة الرستيين - ص 210.

1- الدرجميني: طبقات مشايخ المغرب - ج 2 - ص 307.

- علي بن محمد: الاباضية في الخرائط - ج 1 - ص 119.

- اعاد هريك: انتشار الاسلام في افريقيا - ج 1 - الفصل 6 - ص 90.

2- المغرب - ص 178.

3- نفسه - ص 11.

التجارية واتصلوا بسكان السودان واسترجعوا معهم (1)، وتقربوا من الاسر الحاكمة مما جعلهم يؤثرون في تاريخ المنطقة. وتعتبر ظاهرة الانتساب العربي للاسر السودانية الحاكمة الا دليلا على ذلك، ومن امثلة ذلك هو انتساب ملوك كاثم الى سيف بن ذي يزن وفي بعض الاحيان يدعون النسب العلوي (2)؛ وهو ما يدل على ان للعرب دور كبير في نشر الاسلام؛ الا ان هجراتهم كانت غير واضحة؛ والروايات التي وصلتنا عنها تشوبها بعض الخرافات، ويرجع هذا ربما الى امتزاجهم بالسكان الاسليين، وان الكثير من التسائل السودانية ادعت هذا النسب حتى تظهر اهلبيتها في اعتناق الاسلام. والمهم ان العرب استمروا في هذا التواجد الى يومنا هذا ويطلق عليهم اسم "الشوا" (3)

ويبين لنا البحث ان هجرات بربرية تمت الى بلاد السودان الاوسط منذ القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي أي بعد تحول بلاد المغرب الى الاسلام. وان هذه الهجرات لم تكن دفعة واحدة، بل كانت متقطعة واسبابها مختلفة ومن العوامل التي ساعدت على الاتصال من الشمال نحو الجنوب هو قيام دولة تحكمها قبائل بربرية كانت متألّفة للصحراء؛ فيها دولة الخنارج الرستمية بتمهرت؛ وبين موارر بسجلاسة؛ اوسنية. مثل دولة المرابطيين بالمغرب الأقصى؛ ومما ساعد البربر على نشر الدعوة الاسلامية هو اقامتهم في الصحراء والاشراف على تجارة القوافل؛ تنتقل الالاف منهم الى بلاد السودان واستقروا هناك. (4)

من خلال هذه الدراسة نبين لنا ان التجارة كانت ملازمة لانتشار الاسلام؛ وتعتبر عاملا اساسيا في انتشاره ببلاد السودان الاوسط فقد استطاع التجار المسلمون - عربيا وبربريا - من انشاء مستقرات خاصة بهم على امتداد الطرق التجارية؛ فبفضلهم برزت مدن كثيرة في الصحراء ومدن ببلاد السودان تحولت الى مراكز ثقافية تنتشر منها الدعوة الاسلامية وتنشع منها العربية والاسلام.

فقد قام التجار بها المساجد والزوايا لتعليم القرآن ومختلف العلوم ومارس فيها عبادتهم. وفي نفس الوقت اتصلوا بالسكان وتعاملوا معهم وساءروهم. فازداد عددهم، ونشأ لهم تنوذا واحتراما لدى السكان والاسر الحاكمة رغم ان هذه الاخيرة مازالت على وئيتها اثناء هذا الاتصال. واكثر من ذلك تقلد التجار المسلمون المناسب العليا في الدول الوثنية. فكان منهم الوزراء وترجمة الملك والمستشارين وغيره مثال على ذلك هي مدينة غانة قبل تحولها الى الاسلام. فقد كان بها حي خاص بالمسلمين، وذكر البكري ان منكمها

1- ابن حوقل: صورة الارض - ص 44.

2- القلشندي: صبح الاعشى ج 5 - ص 117.

3- ابن احمد شحرود: الامام والفتنة العربية - ص 40.

4- دهرمان: مملكة نهر الاسلام - ص 30.

5- البغدادي: كتاب البلدان - ص 315.

6- عز الدين عمر موسى: انتشار الاسلام في غرب افريقيا - ص 50.

منح المسلمين مناصب راقية. (1)

ومن العوامل الهامة التي مكنت التجار المسلمين من تبوأ هذه المكانة، هي الصفات الحميدة التي تميزوا بها أثناء معاملاتهم منها الصدق والامانة، فكانوا مثلاً حرصين على الموازين والمكاييل أثناء البيع والشراء. (2) وتبين من خلال البحث ان الاسلام انتشر بين السكان وحكامهم حتى قبل تحول دولهم اليه. فقد دلت الروايات المختلفة ان كثير من ملوك السودان اعتنقوا الاسلام دون اعلام الرعية، ورغم ان الوثنية هي السائدة في بلدانهم.

وابرز مثال عن ذلك هو اعتناق "مايات" كاثم للاسلام، ودراستهم للقرآن الكريم قبل ان تتحول دولتهم الى الدين الجديد في اواخر القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر ميلادي. فقد درس الداعية " محمد بن ماني" وهو عالم مشهور في كاثم القرآن مع اربعة مايات آخرهم " اومي عبد الجليل" (477 هـ - 1085م) وفي عهده فقط تحولت المملكة الى الاسلام باعلانه رسمياً اعتناقه للاسلام (3). ان هذا دليل على ان الاسلام قديم ببلاد السودان وان تحول الدولة اليه لا يعني انه كان غير موجود قبل ذلك.

وما استخلصناه مما ورد في البحث ان الثقافة العربية الاسلامية ازدهرت ببلاد السودان فظهرت المراكز الثقافية مثل تمبكتو، جني، برنو وغانة. فكان بها المدارس والمعاهد التي تعلم مختلف العلوم منها تدريس القرآن الكريم والفقه الاسلامي وكان لهجرة العلماء والفقهاء الى المنطقة دور في نشأة الدعوة الاسلامية وترسيخ مبادئ الاسلام، ومن الشواهد التي تدل على التطور الثقافي، ان ابن بطوطة (4) تسجب من وجود نسخة لابن الجوزي في احدى قرى النيجر، وتعجب من سرعة وصولها. واستناداً الى حسن البرزان (5) ان الكتب كانت تباع مثل السلع الاخرى وهو برهان على كثرة تداولها.

ووصل التقدم العلمي الى حد التفوق على علماء المغرب ومصر والمشرق. نذكر احدى الروايات ان الفقيه عبد الرحمان التميمي وهو فقيه مشرقي كبير، لما جاء بصحبة منسي موسى سكن تمبكتو، واتصل بعلمائها، ولما رأى انهم يتفوقون عليه في الفقه رحل الى فاس ليزيد من معلوماته ثم رجع. (6)

وكانت نتائج ازدهار الثقافة العربية الاسلامية هو انتشار اللغة العربية، فقد أصبحت هي لغة التعليم

1- المغرب - ص 174.

- فخرخان: غانة في العصور الوسطى - ص 65.

2- محمد كعت: تاريخ الفتاش - ص 204.

- عبد القادر زبادة: مملكة جفاري في عهد الاسبقين - ص 198.

3- فخرخان: مملكة برنو الاسلامية - ص 68.

4- رحلة ابن بطوطة - ص 695.

5- وصف إفريقيا - ص 167.

6- السعدي: تاريخ السودان - ص 51-52.

والحكومة، فكانت لغة المعاملات التجارية والمراسلات الإدارية عند جميع الدول السودانية، واستعملت حروفها لكتابة اللغات المحلية منها لغة الشوسا. (1)

وأخيرا يتضح لنا من البحث، ان عملية انتشار الاسلام كانت عملية بطيئة بدأت منذ القرن الاول الهجري/السابع الميلادي، عكس المناطق التي دخلها بالفتح. وانه دخل بالطرق السلمية، وسمح الى احتلاط الاجناس وتمازجهم نتيجة للهجرة الداخلية والخارجية، وان مرونة الاسلام وملاءمته مع الانسان الوثنى جعلته ينتشر بسرعة، فقد اعتنقت شعوب افريقية جنوب الصحراء له ولكنها في نفس الوقت حافظت على كثير من عاداتها وتقاليدها.

5- يوسف فضل حسين: انتشار الاسلام في افريقيا - ص 28.

جدول سلسلة ملوك كانم

1- سيف بن ذي يزن	(بداية القرن ١٠هـ/م)
2- بيرام (أو ابراهيم) بن سيف	(القرن ١٠هـ/م)
3- ركو بن بيرام	(غير محددة)
4- شون بن ركو	(غير محددة)
5- ارشو بن فون	(غير محددة)
6- كاتوري بن ارشو	(حوالي القرن ١٠هـ/م)
7- بيوما (ايوما) بن كاتوري	(377-398هـ/1007-1023م)
8- بولو بن بيوما	(398-414هـ/1023-1067م)
9- ركو بن بولو	(414-460هـ/1067-1071م)
10- شو بن ركو	(460-464هـ/1071-1075م)
11- جيل (عبد الجليل) بن شو	(464-479هـ/1075-1080م)
12- حساي بن جيل	(479-534هـ/1080-1140م)
13- دوناما بن حساي	(534-561هـ/1140-1182م)
14- بير بن دوناما	(561-606هـ/1182-1248م)
15- عبدالله بن بير	(606-646هـ/1248-1277م)
16- سالما بن عبدالله	(646-675هـ/1277-1310م)
17- دونمة ديبالسي بن عبدالله	(675-700هـ/1310-1335م)
18- كاداي بن دونمة	(700-727هـ/1335-1342م)
19- بير بن دونمة	(727-750هـ/1342-1366م)
20- عبدالله بن كاداي	(750-770هـ/1366-1376م)
21- ابراهيم بن بير	(770-790هـ/1376-1386م)
22- سلمة	(790-810هـ/1386-1406م)
23- ري	(810-830هـ/1406-1436م)
24- كوري	(830-850هـ/1436-1466م)
25- محمد	(850-870هـ/1466-1496م)
26- ادريس	(870-890هـ/1496-1526م)
27- داود	(890-910هـ/1526-1556م)

- 1- مهدي ادامو: الهوسا وجيرانهم بالسودان الاوسط - ص 270.
 - طرخان: سلطنة برنو الاسلامية - ص 56.
 LANG: Diwan des sultans de Kanem - P 166-

جدول سلسلة ملوك دولة صنغاي



1- السعدي : تاريخ السودان ص 13، 16، 7
- احمد شلبي : موسوعة التاريخ الاسلامي ج 1 - ص 272

جدول الخلفاء الفاطسيين بالمغرب

297 - 567هـ / 909 - 1171م

- 1- المهدي أبو محمد عبد الله 297هـ / 909م.
- 2- القاسم أبو القاسم محمد 322هـ / 934م.
- 3- المنصور أبو فلاح إسماعيل 334هـ / 948م.
- 4- المعز أبو تميم محمد 341هـ / 952م.
- 5- العزيز أبو منصور نزار 365هـ / 978م.
- 6- الحاكم أبو علي المنصور 386هـ / 996م.
- 7- الفلاح أبو الحسن علي 411هـ / 1020م.
- 8- المستنصر أبو تميم محمد 427هـ / 1035م.
- 9- المستعلي أبو القاسم أحمد 487هـ / 1094م.
- 10- الأمير أبو علي المنصور 495هـ / 1101م.
- 11- الحافظ أبو المهدي عبد العزيز 524هـ / 1130م.
- 12- الفلاح أبو المنصور إسماعيل 544هـ / 1150م.
- 13- القائم أبو القاسم عيسى 549هـ / 1154م.
- 14- العاهد أبو عبد الله محمد 558هـ / 1163م.

مع: ربيع ثوراء المغرب العربي (تاريخه وثقافته) - ط2 - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر - 1981

قائمة ائمة جبل نفوسة

قبل قيام الدولة الرستمية:

- 1- عبدالله بن مسعود التجيبي.
 - 2- ابو الخطاب، عبدالاعلى بن السمح المعافري (140-144هـ) / (757-761م)
 - 3- ابو حاتم المزوزي (150-155هـ) / (767 - 772م)
- ولاية نفوسة من قبل الرستميين:

- 1- السمح بن اي الخطاب (162هـ) / (778م)
- 2- خلف بن السمح (196هـ) / (810م)
- 3- ابو الحسن ايوب بن العباس
- 4- ابو عبيدة عبدالحميد الجناوني
- 5- العباس بن ايوب
- 6- ابو ذر ايان بن وسيم
- 7- ابو منصور الياس
- 8- العباس بن محمد (266هـ) / (853م)
- 9- افلح بن العباس (283هـ) / (882م)
- 10- ابو محمد عبدالله

حكام نفوسة في العهد الفاطمي:

- 1- ابو زكريا يحيى الارجاني

296 هـ

- زيباور - معجم الأنساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي - ص 101

مسعود مزهودي جبل نفوسة منذ الفتح الاسلامي إلى هجرة بني هلال

ل

جدول انمة امارة تيهرت

- | | |
|-----------------------------|----------------------------|
| 1- عبدالرحمن بن رستم | (160-171 هـ) / (77-187 م) |
| 2- عبدالوهاب بن عبدالرحمن | (171-211 هـ) / (787-825 م) |
| 3- افلح بن عبدالوهاب | (211-240 هـ) / (825-853 م) |
| 4- ابو بكر بن افلح | (240-241 هـ) / (853-854 م) |
| 5- ابو اليقضان محمد بن افلح | (241-281 هـ) / (854-889 م) |
| 6- ابو حاتم يوسف بن محمد | (281-294 هـ) / (889-900 م) |
| 7- يقضان ابن ابي اليقضان | (294-296 هـ) / (900-908 م) |

- ابن المسغير: اخبار الائمة الراشدين. ص 44، 45، 62، 70، 106.
- زانبار: معجم الانساب والاسرات الحاكمة في التاريخ الاسلامي -

جدول يمثل:

حجاج دول افريقيا الوسطى والغربية لسنة 1973-1974

الدول	1393 هـ / 1973 م		المجموع	1394 هـ / 1974 م		المجموع
	رجال	نساء		رجال	نساء	
الكامرون	1375	870	2245	2580	1842	4422
إفريقيا الوسطى	202	75	277	232	91	323
غانا	715	420	1135	608	497	1105
غينيا	1703	1099	2802	428	560	988
بور كينا	488	823	1311	988	588	1576
فاسو	1001	728	1729	1568	1060	2628
مالي	499	457	956	850	827	1677
موريطانيا	1422	1032	2454	3829	3201	7030
النيجر	22957	15882	38839	31057	20707	51764
نيجيريا	1834	1399	3233	2106	1297	3403
السنغال	371	148	519	348	156	504
سيرلين	18304	14918	33222	23980	18104	42084
السودان	115	70	185	-	-	-
الطوغو	1380	1418	2798	2261	2260	4921
تشاد						

المرجع: joseph cuoq- les musulmans en afrique- edition :
maisonneuve et larose- paris — 1975- 520

مخطوطة تمثل: ديوان سلاطين مملكة كانم-برنو

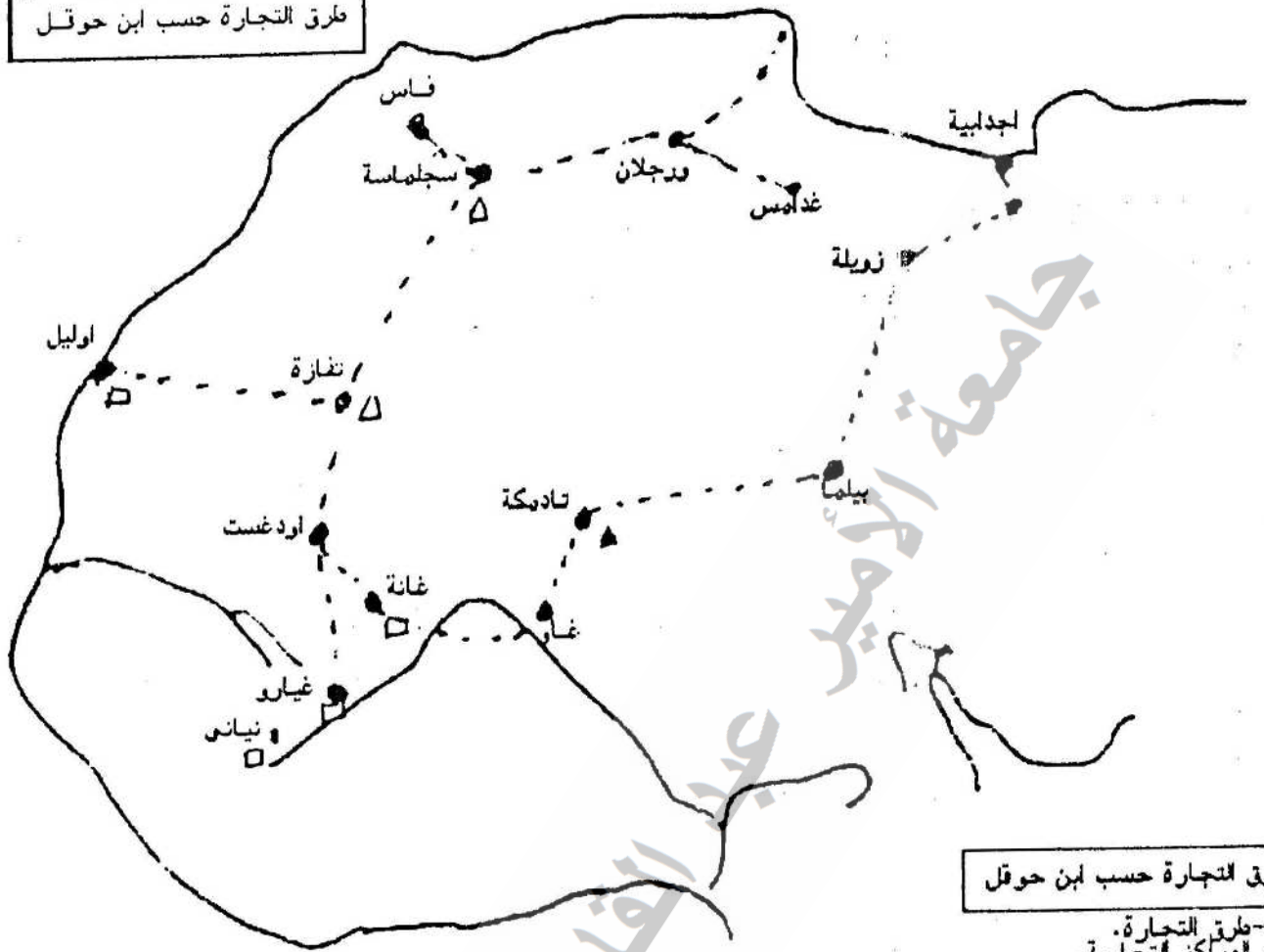
من تحقیق دیر غ لایع

[illegible]

[illegible]

۱۰۰
 ۱۰۱
 ۱۰۲
 ۱۰۳
 ۱۰۴
 ۱۰۵
 ۱۰۶
 ۱۰۷
 ۱۰۸
 ۱۰۹
 ۱۱۰
 ۱۱۱
 ۱۱۲
 ۱۱۳
 ۱۱۴
 ۱۱۵
 ۱۱۶
 ۱۱۷
 ۱۱۸
 ۱۱۹
 ۱۲۰
 ۱۲۱
 ۱۲۲
 ۱۲۳
 ۱۲۴
 ۱۲۵
 ۱۲۶
 ۱۲۷
 ۱۲۸
 ۱۲۹
 ۱۳۰
 ۱۳۱
 ۱۳۲
 ۱۳۳
 ۱۳۴
 ۱۳۵
 ۱۳۶
 ۱۳۷
 ۱۳۸
 ۱۳۹
 ۱۴۰
 ۱۴۱
 ۱۴۲
 ۱۴۳
 ۱۴۴
 ۱۴۵
 ۱۴۶
 ۱۴۷
 ۱۴۸
 ۱۴۹
 ۱۵۰
 ۱۵۱
 ۱۵۲
 ۱۵۳
 ۱۵۴
 ۱۵۵
 ۱۵۶
 ۱۵۷
 ۱۵۸
 ۱۵۹
 ۱۶۰
 ۱۶۱
 ۱۶۲
 ۱۶۳
 ۱۶۴
 ۱۶۵
 ۱۶۶
 ۱۶۷
 ۱۶۸
 ۱۶۹
 ۱۷۰
 ۱۷۱
 ۱۷۲
 ۱۷۳
 ۱۷۴
 ۱۷۵
 ۱۷۶
 ۱۷۷
 ۱۷۸
 ۱۷۹
 ۱۸۰
 ۱۸۱
 ۱۸۲
 ۱۸۳
 ۱۸۴
 ۱۸۵
 ۱۸۶
 ۱۸۷
 ۱۸۸
 ۱۸۹
 ۱۹۰
 ۱۹۱
 ۱۹۲
 ۱۹۳
 ۱۹۴
 ۱۹۵
 ۱۹۶
 ۱۹۷
 ۱۹۸
 ۱۹۹
 ۲۰۰

طرق التجارة حسب ابن حوقل



طرق التجارة حسب ابن حوقل

- طرق التجارة.
- المراكز التجارية.
- الذهب.
- △ الملح.
- ▲ النحاس.

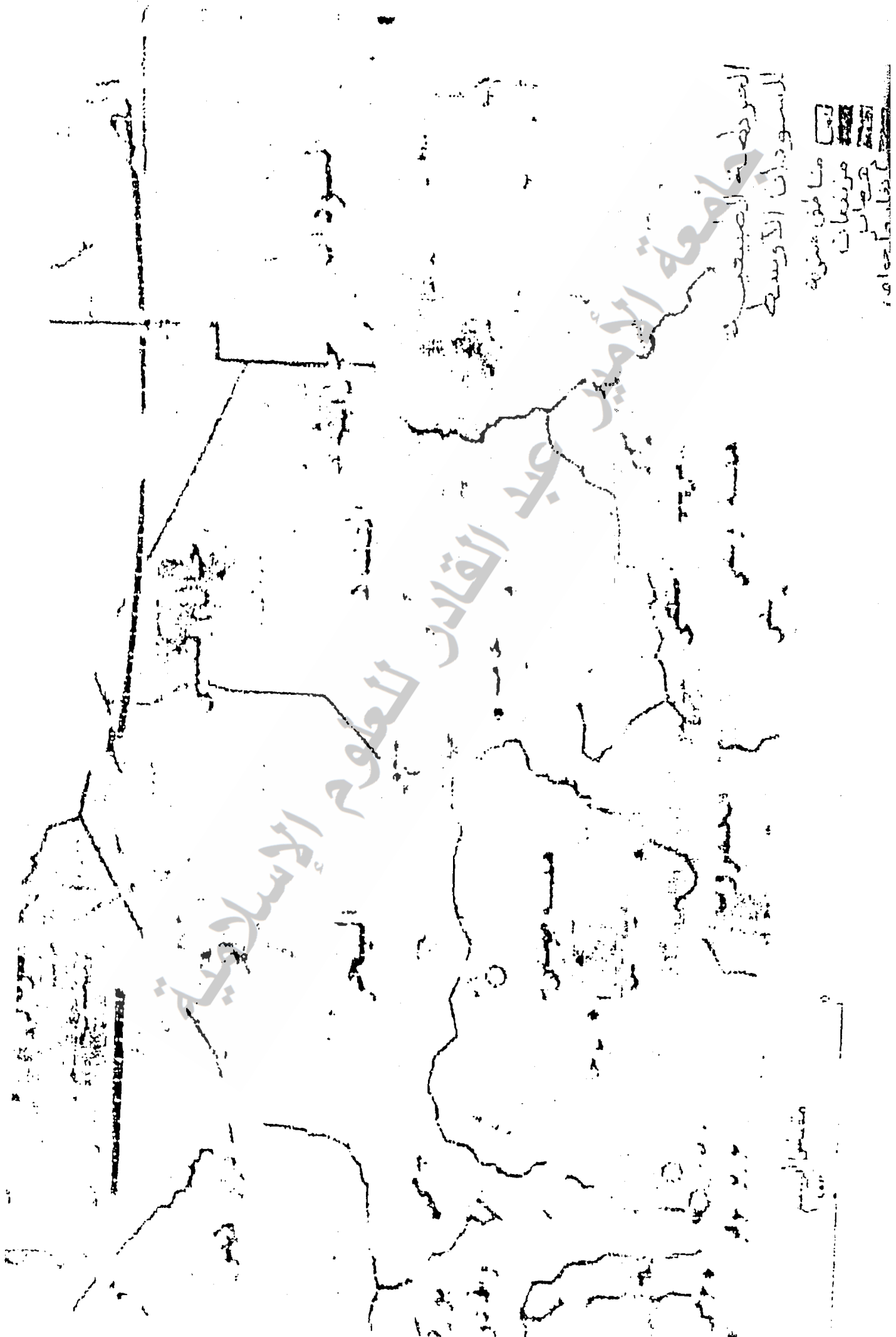
المراجع: ابن حوقل: صورة الارض
جون ديفيس: التجارة والمطرق التجارية. ص 457

المقياس:

0 500 1000 كم

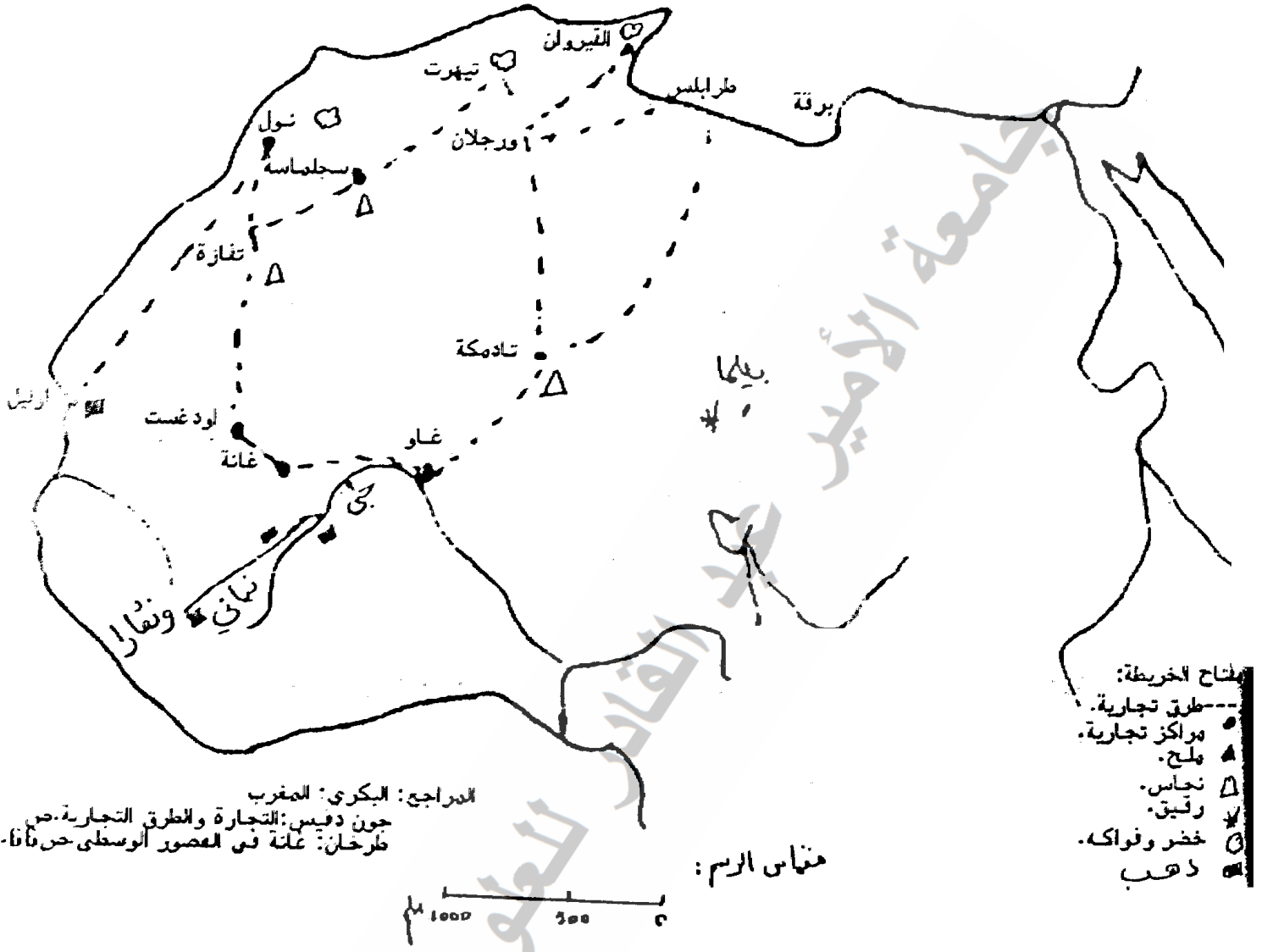
الخرطوم والصبيح
السودان الأوسط

منافق شقنة
مرفقات
مرفقات
مرفقات



مستطيل

طرق التجارة والسلع المتبادلة حسب البكري



الدول الإسلامية في غرب ووسط أفريقيا
قبل القرن التاسع الهجري / الخامس عشر ميلادي

مفتاح الخريطة

- حدود السودان الأوسط
- ▢ مملكة غانة الإسلامية
- ▢ مملكة مالي الإسلامية
- ▢ مملكة كانم - برنو

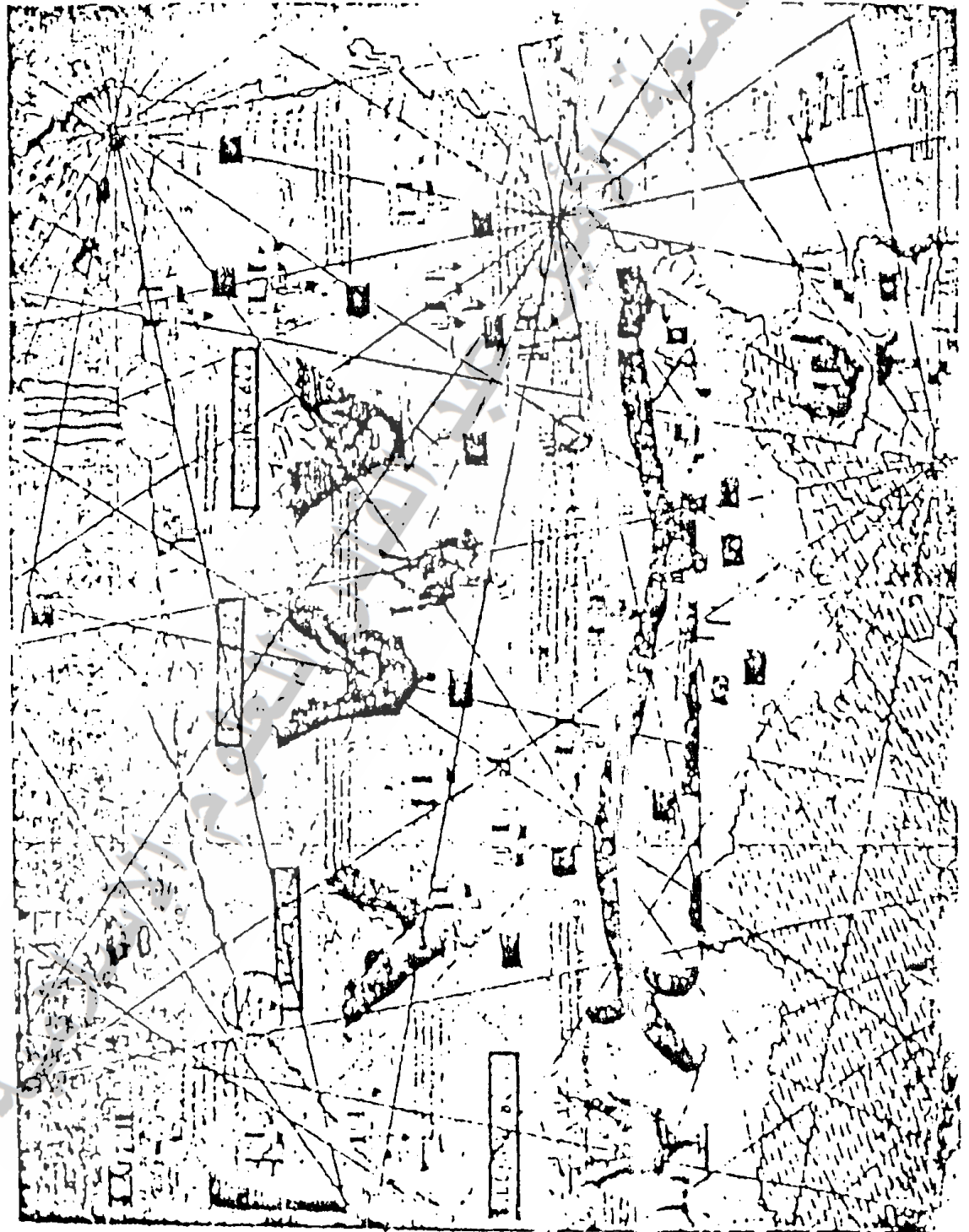
بلما إكوار
فزان

توات
تامغاسي الجهور



مقياس الرسم

1 : 15000.000



خريطة بغداد وبلادها من القرن الخامس عشر - واديها حيرة وسانك أروسان - وهو على البحر

المسرح. ابراهيم طرخان : مملكة برنوالاسلاميا؛ ص 60

الفهارس الأعلام

* أ *

- أحمد بن منصور

- أريجيو

- إسماعيل بن عبد الله الأنصاري

- أفلح بن عبد الوهاب

- آمون رع

- أومي عبد الجليل

* ب *

- برقوق

- بهسر بن أرطاة

- أبو بكر بن عمر

* ت *

- تملي الوسياني

- تينكامين السوننكي

- تيبوتان

- تين بروتان بن وسنر بن نزار

* ج *

- أبو جعفر الهنطور

- جلال الدين السيوطي

- جوهر الصقيلي

* ح *

- حبيب بن أبي عبدة
- حاتم الملوذي
- حيان ابن أبي جبلة القرشي

* د *

- دونامة بن أوم
- دونامة ذيالمى

* ر *

- ابن رشد

* ز *

- زاكوسى
- زكريا يحيى الارجاني

* س *

- سبتموس فلاكوس
- أبو سعيد خضبل

* ص *

- الصالح نجم الدين أيوب
- أبو صالح الياجراني
- أبو صالح يمرتبان

* ط *

- أبو طفيل

* ظ *

- الظاهر الفاطمي

* ع *

- أبو العباس فتحون
- عبد الحميد الجياوي
- عبد الرحمان بن رستم
- أبو عبد الله بن بكر
- عبد الله بن زرارة
- عبد الله بن هياسين
- عبد المطلب
- عثمان بن عفان
- عمر بن العاص
- عمر بن عبد العزيز
- علي بن يخلف
- أبو عمران موسى الفاسي
- عيسى بن يزيد الأسود

* ق *

- أبو القاسم سمعون بن واسول
- أبو القاسم يوسف القرسطاني

* ك *

- كارا
- كنير
- كنعى
- كيغ

* ل *

- لا هيل تولى كان

* م *

- مخلد بن كيدار
- المستعلي بالله أحمد
- المتوكل بالله
- محمد بن الأشعث
- أبو محمد اللواتي
- محمود مساكن بن الخير
- محمود بن محمود بن بكر
- محمد بن عرفة
- المعتز بن باديس
- المعتز بالله
- منصور بن بلكين
- منسي مؤمن
- مروان بن موسى بن نسير
- أبو موسى بن أبي غمران
- موهب بن يحيى المعافري

* ن *

- أبو نوح سعيد بن يخلاب

* هـ *

- هوار بن

* و *

- ورياني بن رابيس

* ي *

- يحيى بن ابراهيم الجبالي
- يعقوب بن كلثوم
- يعقوب بن
- يعقوب يوسف
- أبو اليقظان محمد بن الأفلح

الأماكن والبلدان

* أ *

- أجهنّاون
- أزكي
- أنجمني
- أغمات
- أوجيلة
- أودغست

* ب *

- تكدة

* ج *

- جادو
- جاو
- جبال تسبتي
- جبال العير
- جبل الدرن
- جبل نفوسة
- الحجاز
- حوض سو كوتو

* خ *

- خراسا
- خوار

* د *

- دارفور
- داورا
- درعة

* ر *

- رانو
- الرباط

* ز *

- زبهر
- زويلة
- زيلاء
- زوزو

* س *

- سامينا
- سجل ماسة
- سدراتة
- السودان
- السوس الأدنى
- السوس الأقصى
- سيكادم

* ش *

* ص *

* ط *

* غ *

- شروس
- صغاي
- طرابلس

- غانة

- غات

- غاو

- غسط

- غيارو

* ف *

- فاس

- فزان

- الفوسفات

* ق *

- القاهرة

- قرطبة

- قصر أم عيسى

- القيروان

* ك *

- كاتسينا
- كانم
- كانو
- كردفان
- الكوفة
- كوكو
- كيداموس

* ل *

- لوجون
- ليا

* م *

- مالي
- ماسينا
- مسيله
- مرزوق
- المغرب

* ن *

- نهر نشاري
- نيجيريا
- نهر السنغال
- نهر النيجر
- نهر النيل

* ه *

- هضبة جوس

القبائل

* أ *

- آجار
- الأثيوبيون
- أولاد راشد
- أوركليان

* ب *

- البربر
- التبر
- البرناوة
- البرانس
- البولالا

* ت *

- التنجور
- التكرور .
- التيدا
- التوبو .
- التوماغهوريين

* ج *

- جدالة . ر
- الجرمانيون .
- جراوة

- جزولة

- جهينة .

* ح *

- الحساونة .

* خ *

- خزام .

* ز *

- الزغاوة .

- زناتة

* س *

- السلامات .

- السوئكة .

* ش *

- الشوا .

* ص *

- صنهاجة .

* ط *

- الطوارق .

* ع *

- العباسيون .

- العبيديون .

* ف *

- الفاطميون

- الفولانيون

- الفونج .

* ك *

- الكانوري .

- كينا .

* ل *

- لمتونة .

- لمطة .

* هـ *

- هواره .

- هوسا .

* ي *

- بني يفرن .

المصطلحات:

-الإباضية: هم أتباع عبد الله بن إباض، والإباضيون تطلق على فرقة من الخوارج بشمال إفريقيا والذين انفصلوا عن علي عندما قُبل التحكيم مع معاوية، ودخل مذهب الخوارج إلى المغرب في النصف الثاني من القرن الأول الهجري، وتفرعوا إلى عدة فرق منها الإباضية والصفيرية. وحكمت أسرة إباضية بتيهت وهي الأسرة الرستمية أكثر من 130 سنة، كما أنقسم الإباضيون إلى عدة فرق منها النكارية. (دائرة المعارف الإسلامية - م 1 - ص 13)

-الأزارقة: فرقة من الخوارج وهم أتباع نافع بن الأزرق.
-أومي: أو حومي، أوم: هي كلمة جاءت تحريفاً لإسم محمد. أطلقت على أول ملك أعلن إسلامه في مملكة كانم وهو حومي عبد الجليل سنة 1071/5464م (طرخان: مملكة برنو الإسلامية - ص 5)

البجة: يطلق على مجموعة من القبائل التي تعيش بين النيل والبحر الأحمر. وهي من القبائل القديمة المعروفة التي ورد اسمها في نصوص اليونان ذكرها ابن سعيد أن البجة يسكنون خيام الشعر وان لون بشرتهم أسود من الحبشة، ويوجد شبه بينهم وبين العرب، ويوجد بأرضها مناجم الذهب (ابن سعيد: كتاب الجغرافيا - ص 62)

-النيجر: اسم لاسمي يتكون من قسمين NI-GIR أو NIGIRS ومعناه "نيل الأجناس السوداء" ومن هذه التسمية اللاتينية اشتق كتاب العصور الوسطى في أوروبا اسم نيجريتا، NIGRITA أطلقوه على كل إقليم غربي إفريقيا وكذلك على نهر النيجر (أحمد إبراهيم دباب: لمحات من التاريخ الإفريقي - ص 28)

-نهر النيجر: أول من أطلق هذه التسمية على هذا النهر هو المؤرخ الروماني بلييني (115م) ومعناه: نيل الأجناس السوداء (NI-GIR) ومنها اشتقت كلمة NIGRITA أو NEGRE-

-جبل نفوسة: يقع بليبيا جنوب طرابلس، كان معقل للإباضية من أشهر مدنه: شيروس وحادو ونفزاوة كانت مراكز إشعاع ثقافي خاصة بعلوم الدين

على المذهب الإباضي. اشتهر بمياهه الجارية وبزراعته المتنوعة وذكره ابن حوقل

وياقوت الحموي (ابن حوقل: صورة الأرض بالبلدان-3-ص297)--92، ياقوت الحموي:

-الحمادة: هضبة صخرية تغطيها صخور جيرية ممتدة على شكل صفائح ومن

حمادات الصحراء: حمادة ذراع، وحمادة الغلاب.. (حلمي عبد القادر: جغرافيا الجزائر-الجزائر ط1-

1968-)

-الديوان هو وثيقة تاريخية تضمنت أسماء ملوك كائهم وأهم أعمالهم، خاصة في عهد الأسرة السيفية أو أسرة الزغاوة ، عثر عليها الرحلة الألماني بارث سنة 1853م

م وقم بتحقيقها عدد من الباحثين منهم ديرغ لانغ (طرخان: مملكة برنو-ص10

-الرباط: زاوية إسلامية محصنة ، لها معاني مختلفة واشتقاقها من الأصل "ربط" على أن

أقرب التفسير إلى العنق هو ما جاء في القرآن الكريم في سورة

الأنفال، الآية 62: "وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ورباط الخيل"

والرباط في الأصل هو المكان الذي يجتمع فيه الفرسان للقيام بحملة من

الحمالات. ويتصل نظام الرباط بالجهاد. وكان يطلق في بلاد المغرب على الزاوية

وهي المكان الذي يجتمع فيه المؤمنون حول شيخ من الشيوخ أو ضريح واحد

منهم (دائرة المعارف الإسلامية-المادة رباط-ج16 ص19-23)

-الصفيرية: أحد الفرق الكبرى للخوارج ، ظهورها سنة 665م ومؤسسها عبد الله

بن الصفار التميمي وهو من خوارج البصرة عندما انفصل عن نافع بن الأزرق الذي

كان خارجيا... (دائرة المعارف الإسلامية-مادة الصفيرية ص229)

-صنغاي: وقد تكسب سنغي، هو اسم مملكة ظهرت بالسودان الأوسط، وتنسب

لقبائل كانت تسكن على شاطئ نهر النيجر في الجزء الممتد من الإثنياء إلى قرب

المصب في أراضي داندلي غرب نيجيريا ، وأول

ملك أسلم هو زانوسوي في سنة 400هـ (ثلي: الموسوعة-ج6-ص121).

غانة: إن هذه الكلمة كانت أصلاً لقباً للملوك دولة غانة القديمة ، كما أطلق على عاصمتها، وفي لغة الكانوري تعني القيادة العسكرية و لذلك أطلقت على المدينة التي توجد فيها القيادة، ثم اتسع مدلولها لتطلق على العاصمة (شلي: الموسوعة - ج 6 - ص 103) -
- قيمع: أو كيمع أو كازا أو كنعي، هي ألقاب الملوك غانة أطلقت عليهم قبل القرن الأول الهجري ، و عدد ملوك غانة قبل البعثة النبوية 22 ملكاً حسب ما رواه

السعدي. (السعدي: تاريخ السودان - ص 9 ، طرخان: غانة في العصور الوسطى - ص 42)

- الكانوري: هم سكان منطقة كانم ، تطلق على جميع العناصر المتكلمة بلغتهم، وأشتق هذا الاسم من كلمة كانم ومعناها في لغتهم "حملة النور" (طرخان - مملكة برنو - ص 25)

كوكيا: أو غاو أو ناو أو كوكو أو كانج هذه الأسماء كانت تطلق على المملكة كلها ، وهو اسم المدينة التي تقع على الضفة اليسرى لنهر النيجر . (شلي: الموسوعة - ص 257).

الماندنجو: أو الماندي : موطنهم الأصلي مالي، كان لهم دور في نشر الإسلام ببلاد السودان وينتشرون حالياً في النيجر وساحل العاج وغينيا وجامبيا وغانا وسيراليون و ن فروعهم البمبارا والسونكة ..

(شلي: الموسوعة - ج 6 - ص 68)

- المهلي: من علماء مصر برز في العصر الفاطمي ، كان معاصراً للخليفة الفاطمي العزيز بالله . قام برحلة طويلة في بلاد السودان وألف للعزيز سنة 375 هـ / 975م كتاباً في الطرق والمسالك وهو أول كتاب من يصف إقليم السودان وصفاً دقيقاً ولكن ولفه هذا قد فقد ونقل عنه عدد من الجغرافيين المسلمين منهم البكري وياقوت - موي. (زكي محمد حسن: الرحالة المسلمون في العصور الوسطى - دار المعارف - مصر ص 44)

الهكسوس: هم من سكان جنوب نهر النيل، كانت لديهم مملكة قديمة في شمال
هضبة أثيوبيا هي أكسوم تأسست خلال القرن الأول الميلادي وتوسعت حتى شملت
أراضي كثيرة منها كوش سنة 350م. فقام الهكسوس خلال هذا الغزو لمصر
الفرعونية من أحراق مدنها وتخطيط أكثر معلمها (البنار: الإتصالات الغميلة بين حوض وادي النيل ومنطقة
النيجر - ص 198)

الهوسا: وتعني في لغة أهلها لسان أو لغة، والكلمة لا تعبر عن قبيلة معينة أو دولة
بل مجموعة من الشعوب تجمعها لغة واحدة تسكن في مناطق الضفة اليسرى
لنهر النيجر، وبها نظام سياسي وإداري موحد يتكون من سبع إمارات
وهي: كانو وداورا زغوير وزاريا وكاتسينا وارانو وبيرم. (حسين مونس: الإسلام الفاتح - ص 6)

قائمة المراجع و المصادر

المصادر :

- 1 - ابن أبي دينار (أبو عبد الله القبري) / 920 هـ / 1681 م : المؤنس في أخبار إفريقيا و تونس - المكتبة العتيقة - تونس - ط 3 - 1350 هـ .
- 2 - ابن أبي الزرع (أبو الحسن علي بن عبد الله) : روض القرطاس - مخطوط بالمكتبة الوطنية - الجزائر - ص 4557 .
- 3 - ابن الأثير (علي بن أحمد عبد الكريم) ت 630 هـ / 1238 م : الكامل في تاريخ القاهرة - 1949 .
- أسد الغابة في معرفة الصحابة - القاهرة 1928 .
- 4 - أحمد بابا التتبيكتي (أبي العباس بن أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت) ت 1025 هـ / 1604 م : نيل الإبتهاج بتطريز الديباج مطبعة السعادة 1329 هـ .
- 5 - الإدريسي (محمد بن محمد الشريفي) ولد 494 هـ / 1100 م : نزهة المشتاق في ذكر الأمصار و الأقطار و البلدان و الجزر جزء منه : صفة المغرب و أرض السودان و الأندلس (تحقيق دوزي و ديغور - أمستردام 1969 .
- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق - تحقيق اسماعيل العربي - ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر - 1983 .
- 6 - الإصطخري (أبو إسحاق إبراهيم بن محمد) (ت 346 هـ / 956 م) : المسالك و الممالك - تحقيق الجني - مصر 1381 هـ / 1961 م .
- 7 - ابن بطوطة (أبو عبد الله محمد بن إبراهيم) ت 770 هـ / 1369 م رحلة ابن بطوطة - دار بيروت للطباعة - 1400 هـ / 1980 م .
- 8 - البكري (ابن عبد العزيز) ت 1000 هـ / 1094 م - المغرب في ذكر بلاد إفريقيا و المغرب - الجزائر 1857 .
- 9 - البلاذري (أحمد بن يحيى بن جابر) : ت 283 هـ / 892 م فتوح البلدان - القاهرة 1956 .
- 10 - التونسي (محمد بن عمر) : تشريح الذهان بسيرة العرب و السودان - تحقيق خليل عساكر و مصطفى مسعد - القاهرة 1965 .
- 11 - التيجاني (أبو محمد عبد الله) - ت 718 هـ / 1317 م - تحقيق حسن عبد الوهاب - تونس 1957 .
- 12 - ابن حزم (أبو محمد علي بن أحمد) : ت 456 هـ / 1064 م - جمهرة أنساب العرب القاهرة 1962 .
- 13 - ابن حوقل (أبو القاسم محمد) : ت 364 هـ / 977 م سورة الأرض - ليدن 1938 .
- 14 - ابن خردادبة (أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله) : المسالك و الممالك .
- 15 - ابن الخطيب (عبد الله بن سعيد السلقب بلسان الدين) : ت 766 هـ / 1364 م : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية تونس 1327 هـ .
- أعمال الأعلام فيمن بويغ قبل الإسلام من ملوك الإسلام تحقيق مختار العبادي - الدار البيضاء 1969 .
- 16 - ابن خلدون (عبد الرحمان) ت 821 هـ / 1481 م العبر و ديوان المبتدأ و الخير في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصروهم من ذوي السلطان الأعظم - دار الكتاب اللبناني - بيروت 1971 م .
- 17 - الدباغ (عبد الرحمان بن محمد) : معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان - تونس - 1322 هـ .
- 18 - الدرر جيني (أحمد بن سعيد) 70 هـ / 1272 م : طبقات مشايخ المغرب - تحقيق إبراهيم خلاص - مطبعة البعث قسنطينة
- 19 - أبو زكريا (يحيى بن أبي بكر) : 471 هـ / 1078 م : سير الأئمة و أخبارهم - تحقيق اسماعيل العربي - المكتبة الوطنية الجزائر .
- 20 - الزهري (أبو عبد الله بن أبي بزة) : ت 6 هـ / 12 م - كتاب الجغرافيا - تحقيق محمد حاج صادق - بيروت 1967 .
- 21 - السعدي (عبد الرحمان بن عبد الله بن عمران بن عامر) ت 1065 هـ / 1655 م : تاريخ السودان - باريس 1898 .
- 22 - ابن سعيد (أبو الحسن علي بن محمد بن أبي المغزي) - كتاب الجغرافيا - تحقيق اسماعيل العربي - بيروت 1970 .
- بسط الأرض في الطول و العرض - تيطوان 1955 .
- 23 - الشماخي (أحمد بن سعيد) ت 18 هـ / 1511 م : السير - طبعة حجرية - قسنطينة .
- 24 - ابن الصغير (ق 3 هـ / ق 9 هـ) : أخبار الأئمة الرستميين - محمد ناصر - بحاز إبراهيم - دار الغرب الإسلامي - بيروت 1986 .
- 25 - ابن عبد الحكم (أبو محمد عبد الله) : ت 214 هـ / 899 م : فتوح مصر و المغرب - تحقيق عبد المنعم عامر القاهرة 1921 .

- 26 - ابن عذاري (المراكشي) ت 712 هـ / 1312 م - البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب تحقيق ح من كولان وليعي بروفيسال - دار الثقافة - بيروت - لبنان - 1400 هـ / 1980 م
- 27 - أبو العرب (ابن تميم القيرواني) ت 33 هـ / 944 م : طبقات علماء إفريقية و تونس - تحقيق علي الشامي - الدار التونسية للنشر - 1985
- 28 - العسقلاني (ابن حجر) ت 852 هـ / 1448 م . الإصابة في معرفة الصحابة - القاهرة 1939 .
- 29 - عماد الدين القزويني (إدريس) ت 870 هـ : غرر الأخبار و فنون الآثار في فضائل الأئمة الأطهار - السبع الخامس - دار الأندلس للطباعة و النشر - بيروت .
- 30 - العمري (ابن فضل الله) ت 749 هـ / 1332 م : كتاب تقويم البلدان - الجزائر 1839 .
- التعريف بالمصطلح الشرعي - مصر - 1312 هـ .
- 31 - عباس ابن الفضل (ابن موسى) ت 544 هـ / 1149 م المعروف بالقاضي عياض : ترتيب الدارك و تقريب المسالك (لمعرفة أسماء مذهب الإمام مالك) دار مكتبة الحياة بيروت - تحقيق أحمد بكير محمد .
- 32 - الغرناطي (أبو حامد محمد بن عبد الرحمن) ت 505 هـ / 111 م - تحفة الألباب و نحة الإعجاب - باريس 1925 .
- 33 - أبو الفداء (اسماعيل بن علي) ت 711 هـ / 1332 م : كتاب تقويم البلدان - الجزائر 1839 .
- 34 - ابن الفقيه الجبالي (أحمد بن محمد) : مختصر كتاب البلدان - تحقيق دي غوي ليدل 1885 .
- 35 - (زكريا بن أحمد) ت 682 هـ / 128 م : كتب آثار البلاد و أخبار العباد - بيروت 1399 هـ / 1979 م .
- 36 - القلقشندي (أبو العباس أحمد بن غني) ت 1281 هـ / 1418 م - صبح الأعشى في صناعة الإنشا - دار الكتب المصرية .
- 37 - فخت (محمد التمشكي) : ت 125 هـ / 1519 م : تاريخ الفتن في أخبار البلدان و الجنوس و أكتابر الناس و ذكر و قائع التكسور - نشر دوافع و هوداس - باريس 913 .
- 38 - المالكي (عبد الله) ت 453 هـ / 1061 م رياض النفوس في طبقات علماء القيروان و إفريقية و زهادهم و نساكهم و سير من أحسنهم و فضائلهم و أو صافهم - تحقيق بشير كوش و مراحة - العروس العطوي - دار الغرب الإسلامي - 1981 .
- 39 - مجهول من أصل مراكشي ت ق 6 هـ / 12 م : الاستبصار في عجائب الأمصار - تحقيق سعد زغلول - الإسكندرية 1958 .
- 40 - المسعودي (الحسن بن علي) ت 333 هـ / 956 م : مروج الذهب و معادن الجوهر - دار الأندلس - ط 4 بيروت 1401 هـ / 1981 - أخبار الزمان (و من أنبأه الخدنان - عجائب البلدان و العاقر بالماء و العمران) - دار الأندلس ط 4 بيروت 1980 .
- 41 - المراكشي (عبد الواحد) : العجايب في تلخيص أخبار المغرب - مطبعة الاستقامة القاهرة 1949 .
- 42 - المغلبي - (محمد بن أحمد المشار) ت 387 هـ / 907 م أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم - طعة دي غوية - ليدل - 1906 .
- 43 - القدي (أحمد بن محمد) ت 433 هـ / 1041 م : نفح الطيب في غصن الأندلس الربيع - تحقيق عز الدين عبد الحميد - مصر 1949 .
- 44 - المقرئ (تقي الدين أبو العباس أحمد بن علي) ت 845 هـ / 1144 م : المواعظ و الاعتبار بذكر الخطوط و الآثار (المعروفة بـ الخطوط المقرئية) - طبعة جديدة القاهرة .
- إيعاظ الخلفاء - القاهرة - 1948 .
- الإمام باخبار من تأريخ الخمسة من أئمة الإسلام - مصر - 1895 .
- 45 - الوزان (حسن بن محمد) ت 688 هـ / 1483 م المعروف بلقب الإفريقي : وصف إفريقية - ترجمة عن الفرنسية محمد حجي ، و محمد الأحقر - دار العرب الإسلامية بيروت 21 - 1983 .
- وصف إفريقية : ترجمة محمد سعود الرباعي - الرباط 1339 هـ .
- 46 - الوصافي (أبو الريح) : سير مشايخ المغرب - تحقيق اسماعيل العربي - ج 2 الجزائر 1985 .
- 47 - ياقوت الحموي (أبو عبد الله) ت 626 هـ / 1299 م : معجم البلدان - مصر 1906 .
- معجم البلدان - تحقيق أبو الجاهلي - دار الكتاب العربي .
- 48 - العمري (أحمد بن يعقوب بن إبراهيم الأندلسي) ت 626 هـ / 1299 م : تاريخ المعقري - ص 1 - 1960 .
- 1312 هـ / 1906 م

المراجع

- 1 - إبراهيم (محمد عبد الفتاح) : إفريقيا الارض والناس - مكتبة الأنجلو المصرية - 1964
- 2 - بازل (دافلسون) : إفريقيا القديمة تكتشف من جديد - ترجمة نبيل بدر - وسعد زعلول - الدار القومية للنشر والتوزيع - مصر
- إفريقيا تحت أضواء جديدة - ترجمة جمال محمد - بيروت 1971
- 3- توماس (أرنولد) : الدعوة إلى الإسلام - ترجمة حسن إبراهيم حسن وأخرون - مكتبة النهضة العربية - ط 1 1970-
- 4 - حودة حسن (حودة) : جغرافية إفريقيا الإسلامية - دار النهضة العربية - بيروت 1981
- 5- جوان (جززاف) : الإسلام في ممالك وإمبراطوريات إفريقيا السوداء - ترجمة مختار السوفلي - القاهرة 1404 هـ / 1984
- 6- حسن (إبراهيم حسن) : 1 - تاريخ الإسلام في القارة الإفريقية - ط 2 - مكتبة النهضة المصرية 1964
- 7- حسن (علي حسن) : الحضارة الإسلامية في المغرب والاندلس (في عهد المرابطين والموحدين) - مصر - 1980
- 8 - حسن (يوسف فضل) : 1 - تاريخ الإسلام في إفريقيا - مطبعة دار جامعة الخرطوم 1979
- 9 - حطاب (محمد شيت) : قيادة فتح المغرب العربي - دار الفكر - ط 7 - 1406 هـ / 1984 م
- 10- دياب (أحمد إبراهيم) : فترات من التاريخ الإفريقي الحديث - ط 1 - دار المريخ - الرياض 1401 هـ / 1971 م
- 11- دبوز (محمد علي) : تاريخ المغرب الكبير - ج 3 - مصر 1384 هـ / 1964 م
- 12- ديشان (هوبير) : الديانات في إفريقيا السوداء - ترجمة أحمد صادق قحسري - مصر 1965 م
- 13- دونالد وإيلدر : تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء - ج 1 - ترجمة أحمد صادق وشوقي عطا الله - القاهرة 1976
- 14 - دنيس (وليم) : الحضارة الإفريقية - ترجمة الدار القومية للنشر والتوزيع - القاهرة
- 15 - دايغ (بوبار) : المغرب العربي تاريخه وثقافته - الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر - 1981
- 16- رولاند وأليجير وجون فيرج : تاريخ إفريقيا - ترجمة عقيلة محمود رمضان - الدار القومية للنشر والتوزيع - 1964
- 17- رياض (زاهر) : كشف الحقائق الإفريقية (منذ أقدم العصور) - مكتبة الأنجلو مصرية - القاهرة 1969
- 18- زبادية (عبد القادر) : مائة سنة صغرى في عهد الاستقلال - الجزائر 1971 -
- الحضارة الغربية والتأثير الأوربي في إفريقيا الغربية جنوب الصحراء - المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر 1989
- 19- السلاوي (أبو العباس أحمد) : شمال إفريقيا (التاريخ) : الامتصاص لاختيار دول المغرب الأقصى - تحقيق جعفر الناصري وسميرة الناصري - دار الكتاب - الدار البيضاء - 1954
- 20- سليمان (البارونسي) : التاريخ الرياضي - طبع بالقاهرة
- 21- سليمان (دود يوسف) : الحضارة الإسلامية وإفريقيا السوداء - مطبعة دار - الجزائر 1930
- 22- سالم (عبد العزيز) : تاريخ المغرب الكبير - ج 2 - دار النهضة العربية - بيروت 1971
- مناهج البحث في التاريخ الإسلامي والاندلس الإسلامية - الإسكندرية - دار تاريخ الصنع
- 23- شوقي (الجليل) : تاريخ اكتشاف إفريقيا واستعمارها - مكتبة الأنجلو مصرية - القاهرة ط 1 - 1971
- 24- طرخان (إبراهيم علي) : إمبراطورية برنيس الإسلامية - مطابع الهيئة المصرية العامة 1975
- الإسلام واللغة العربية في السودان الأوسط والغربي - جامعة أم درمان الإسلامية - السودان 1962
- قيام امبراطورية بني الإسلامية - القاهرة 1973
- 25- عبد الجليل (شاطر البشير) : حضارات السودان الشرقي والأوسط (من القرن التاسع عشر ميلادي) - الهيئة المصرية العامة للكتاب - مط
- 26- عبد الله (حشبة) : في إفريقيا السوداء - المطبعة الكاثوليكية - بيروت 1962
- 27- عبد الرزاق (يسري) : دراسة الشعوب الإسلامية - الإسكندرية (دون تاريخ)
- 28- العمري (أحمد موبلم) : الإفريقيون والعرب - مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة 1967
- 29- العربي (إسمايل) : تاريخ رحلة الاستكشاف في البر والبحر - الجزائر 1980

جامعة الأمير
عبد القادر المعظم الإسلامية

- النصح والكبرى وشراطينها - الجزائر 1971
- حاضر الدول الإسلامية في القارة الإفريقية - الجزائر 1984
- دولة الإدارة - ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر - 1983
- 30- كاسي (أحمد محمد): الجهاد الإسلامي في غرب إفريقيا - ج 7 - ط 1 - الزهراء للإسلام العربي - القاهرة 1407 هـ / 1987 م
- 31- الماحي (عبد الرحمن عمر): تشاد من الإستعمار إلى الإستقلال - هيئة المصرية العامة - ط 1 - 1982
- 32- معمر (علي يحيى): الإباضية في مركب التاريخ (الإباضية في الجزائر) - ج 1 - المطبعة العربية - غرداية - 1985
- 33- منصور (عبد الله): قبائل المغرب - ج 1 - المطبعة المائكية - المغرب 1388 هـ / 1968 م
- 34- مؤنس (حسن): الإسلام الفاتح - مجلة دعوة الحق - القاهرة - 1400 هـ / 1981 م
- فتح العرب للمغرب - القاهرة - 1947
- 35- محمود (حسن أحمد): الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا - ج 1 - دار النهضة المصرية - 1964
- 36- مختار (جمال): تاريخ إفريقيا العام - م 2 - جون أفريك - البيونسكرو 1975
- 37- محمد الميلي (مبارك): تاريخ الجزائر القديم والحديث - ج 2 - مطبعة الاغواط - 1350 هـ
- 38- موسى (علي): جغرافية العالم الإفريقية - دمشق - 1401 هـ / 1981
- 39- محمد الميلي (مبارك): تاريخ الجزائر القديم والحديث - ج 2 - مطبعة الاغواط 1350 هـ
- 40- موسى (علي): جغرافية العالم الإفريقية - دمشق - 1401 هـ / 1981 م
- 41- محمد (عوض محمد): الشرب والسلالات الإفريقية - الدار المصرية للتأليف والترجمة - 1965
- 42- محمد (فرج): إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين - ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر 1977
- 43- نعيم (قنداح): إفريقيا الغربية في ظل الإسلام الحديث
- 44- يوسف (جودت عبد الكريم): العلاقات الخارجية للدولة الرسمية - الجزائر 1984
- 45- بوزين (صالح إبراهيم): تاريخ الإسلام وحداثة العرب في إفريقيا - برادو - القاهرة 1976

الموسوعات ودوائر المعارف

- 1 - دائرة المعارف الإسلامية - ترجمة أحمد الشنقاري - إبراهيم زكي - وآخرون - بدون تاريخ
- 2 - زامباور : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي - أخرجه زكي محمد ، وحسن بك ، وحسن أحمد محمد - بيروت 1980
- 3 - الزركلي (خير الدين) : الأعلام - قاموس تراجم - ط 7 - بيروت - 1980.
- 4 - مؤنس (حسين) : أعلام تاريخ الإسلام - القاهرة - ط 1 - 1407 هـ / 1957 م
- 5 - عطا الله (أحمد) : قاموس الإسلام - ط 1 - مكتبة النهضة المصرية - القاهرة - 1396 هـ / 1986 م
- 6 - سليمان الطيبي (محمد) : موسوعة القبائل العربية - دار الفكر العربي - ميسر 1414 هـ / 1993 م
- 7 - شلبي (أحمد) : موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية - ج 6 - ط 4 - مكتبة النهضة المصرية - 1973
- 8 - الميرنسكو : تاريخ إفريقيا العام (4 مجلدات)
- 2 حضارات إفريقيا القديمة
م 3 إفريقيا من القرن التاسع إلى القرن الحادي عشر ميلادي.
م 4 إفريقيا من القرن الثاني عشر إلى القرن السادس عشر الميلادي
- 9- اندريد (لنار) و جانين اوربان : روما و إمبراطورياتها - نقاد إلى العربية فريد داغر وآخرون - تاريخ الحضارات العام - منشورات عويدات - بيروت - ط 2 - 1980.
- 10- ول وإبريل ديورانت : قصة الحضارة - ترجمة محمد بدران - ج 13.

الدوريات والمجلات

- 1 - مجلة معهد البحوث والدراسات العربية :
- أحمد الياس حسيب : دور فقهاء الإباضية في إسلام مملكة مالي قبل القرن الثالث عشر ميلادي. - بغداد 1405 هـ / 1985 م (ندوة : حول العلماء الأفارقة ومساهماتهم في الحضارة العربية الإسلامية - آخر ص 28 / 07 / 1983) - (91 - 108)
- عز الدين موسى : انتشار الإسلام في غرب إفريقيا حتى القرن السادس عشر ميلادي - ص 43
- إبراهيم فخر : تجارة القوافل في العصر الوسيط - بغداد 1404 هـ / 1984 م (محاضرات حول قوافل التجارة في الصحراء) -
- الأمين حموض الله : تجارة القوافل بين المغرب والسودان الغربي - ص 69
- محمد زهير : تجارة القوافل - ص 161
- بوري فالح : المصادر العربية في التاريخ الإفريقي - ص 191
- 2 - مجلة الدروس أحسنية :
- علي جالو - العلاقات التاريخية بين المغرب وملاذ السودان - وزارة الأوقاف المغربية - 1406 هـ / 1986 م - ص
3 - المجلة التاريخية المصرية :
- حسن أحمد حميد - المرحلة الإفريقية في تاريخ المرابطين - الهيئة العامة للمكتبة - القاهرة - م 12 - ص 111
- إبراهيم علي مبرحان - غانة في العصور الوسطى م 13 - ص 35 ل 89
- حسن أحمد حميد - دور الغرب في نشر الحضارة في غرب إفريقيا م 14 - ص 45 ل 107
4 - مجلة المنار (مجلة شهرية) - (1315 هـ - 1316 هـ) إشراف رشيد رضا - مطبعة المنار - مصر -
م 4 - المسامحة في إفريقيا - ص 136
- م 7 - تاريخ السودان
5 - مجلة العربي - العدد 244 - مارس 1979
6 - مركز دراسات الوحدة العربية - العرب وإفريقيا - (منتدى الفكر العربي) ط 1 - بيروت - يناير 1984
7 - المهرجان الثقافي الإفريقي - الثقافة الإفريقية - ملتقى الجزائر 1969
8 - مجلة الامانة - العدد 3 - (أوت 1973)
- عبد القادر زعيبة : نبذة عن ماضي الصحراء الإفريقية قبل التاريخ - ص (100 - 101)
9 - محاضرات ملتقى الفكر الإسلامي - تلمسان - 1975 - ص 105
- ورجلان 1377 هـ / 1977 م - منشورات وزارة الشؤون الدينية - الجزائر
10 - مسعود (مزهودي) : حيا نفوسنا من الفتح الإسلامي إلى هجرة بني هلال - جامعة قسنطينة (رسالة دكتوراه)
11 - ألبونسكو : ليبيا القديمة - د - باريس - 1980

- 1 – BARTH .H – voyage et decouverte dans l’afrique septentrional et central pendant les annees 1845 – 1855 – édition 1853 . Paris .
- 2 – BAUMANN – H – Westermann : les peuples et les civilisations de l’Afrique – paris – 1928 .
- 3 – BASIL DAVIDSON : l’Afrique ancienne – T1 – PARIS 1973 .
- 4 – Encyclopédie générale de l’islam édition maison neuve – Larousse paris 1975 .
- 5- GABRIEL , GARDEL : les touareg Addjer .
– édition laccounnier– 1961 .
- 6-joseph cuoq-les musulmans en afrique-paris-1975
- 7- HERODOTE : histoire d’herodote – t2 + 4 – paris 1970 .
- 8 – LANG DIERK : le diwan des sultans de kanem . /.borno-weisbaden-1977
- 9- La grande encyclopédie – librairie Larousse – paris 1975 .
- 10 – MAUNY : tableau géographique de l’ouest africain au moyen âge – paris – 1961 .